الكتاب: إذهاب الحزن وشفاء الصدر السقيم
المؤلف: عبد السلام مقبل مجبرى (المتوفي: معاصر)
الناشر: دار الإيمان – القاهرة
الطبعة: –
عدد الأجزاء: 1
[ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]

الإهداء

إلى: سيدي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ... صاحب خبر السماء صلّى الله عليه وسلّم ... نفسي له الفداء ...

أنفاسك الطاهرة ... طالما أقرأت الكتاب المجيد ... فكان من يديك– يا سيدي– كلّ برّ أمين مبين رشيد ... فخلف من بعدهم– يا سيدي– خلف ورثوا الكتاب ... يأخذون عرض هذا الأدنى ... طمعا في السراب ... وبلي القران في صدور أقوام كما تبلى الثياب ... وانطلق الملأ منهم ينتجون: إن سيرهم على حرف الكتاب لفي ضلال مبين ... فحرفوه، ورموا به في غيابات الجب، وكانوا فاعلين ... وهم يصعدون ...

يصعدون– يا سيدي– ولا يلوون على أحد ... واشتري بايات الله ثمن قليل ...

وحشرج الصدر لذلك بعويل الأسوار، وسمعت اهات نداء الحق خلف أسوار العويل ... وملأ من المؤمنين للحق كارهون ... يجادلون في الحق بعدما تبين، وهم ينظرون ... وأحلوا الخسر؛ إذ حطموا باستكبارهم التواصي بحق وصبر، وهم لا يشعرون ... وصار ما سوى الكتاب المجيد عندهم هو العجاب ... فمسنا حين من الدهر تاهت عنا فيه حقيقة المتاب ... وأفل عنا كل نور صالح، وتركتنا شفقة عبد لله ناصح، ولغبنا بعوج ماديات المصالح، ونأت خلفنا هدايات عليّ حكيم ...

فذهبت الريح ... وبكى الغار ... وأنّ أحد وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ ... ألم تدعهم في أخراهم ... وأخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق ...

فكان نداؤك– يا حبيبي– يشق الأزمان للولهى، ويغيث أمة من اضطرام الفتنة حيرى: «هذا الكتاب ... فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا بعده أبدا» ، فسارع إلى الخيرات كلّ ممسّك بالكتاب يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ... يبتغي الحق مظانه، وعلى شدة القروح انقلبوا بنعمة من الله وفضل ... لم يمسسهم سوء ... فإذا

سعيهم محمّد محمود أحمد ... بما علمتهم من الكتاب المجيد ... حتى كادوا يكونون عليه– لهفا وشوقا– لبدا ... ينتظرون ورود الحوض، وشروق شمسك أمامه ... كأن وجهك ورقة مصحف علّمته ... وما زالوا– يا حبيبي– يخرون للأذقان ... يبكون ابتغاء شربة هنيئة لا تظمأ بعدها قلوب لهفى

طالما ظمئت إلى يدك الشريفة– أبدا ...
يرددون مع الحبيب الجليل ابن أم عبد– إذ أمرتهم بالتمسك بعهده–:
«اللهم أسالك إيمانا لا يرتد ... ونعيما لا ينفد ... ومرافقة نبينا محمد صلّى الله عليه وسلّم في أعلى جنان الخلد ...

(1/4)

بسم الله الرّحمن الرّحيم
المقدّمة
الحمد لله على الائه ... هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ... لقد جاءت رسل ربنا بالحق، ومقال الصدق، صلى اللة عليهم اجمعين ... اللهم صلّ على محمد صلاة أزدلف بها إلى مغفرتك، وسلم عليه تسليما يحشرني في زمرة أوليائه ... الهم اجعل صلاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير، وقائد الخير، ورسول الرحمة ... الهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه به الأولون والاخرون، وعلى اله وأصحابه الكرام الطيبين، الأخيار الطاهرين.
اللهم إني أعوذ بك أن أقول بحقّ أطلب به غير طاعتك، وأعوذ بك أن أتزين للناس بشيء يشينني عندك ... أعوذ بك أن أستعين بشيء من معاصيك على ضرّ نزل بي ... أعوذ بك أن تجعلني عبرة لأحد من خلقك في مقام الخزي ... اجعلى ممن ابتدأته بفضلك ... وأعقبته بودك، ورأفتك، ورحمتك.
وبعد: فكم عللت الفؤاد العليل بإشراق غده ان أن كان يتطلع لهفا وشوقا إلى معرفة المنهجية النبوية الصافية في تعليم اللفظ القراني ... فمتى غده إن لم يكن الان؟ والاخرة على الأبواب ... ومعرفة كهذه تفتح أبواب الإيمان واليقين والعمل والإخبات ففيها لكل ذلك مغتسل بارد وشراب ... وقد كانت رسالة العالمية العليا (الدكتوراه) محاوله أولية في سبيل تحقيق ذلك، إلا أن طولها، وعمق أبواب كثيرة من مسائلها دعا عددا من الأحباب النصحة لكتاب الله وللمسلمين إلى طلب اختصارها عسى أن يعم النفع بها لعامة المسلمين بعد أن كان موقوفا على

(1/5)

المختصين والباحثين ... فكان هذا الكتاب ... ملتمسا من الله عز وجل خير ختام وحسن ماب.

المنهجية النبوية في تعليم اللفظ القراني ... لماذا؟
1– لأن حاجة علماء الإقراء والتجويد ماسة وضرورية إلى منهج محدد يوضح لهم كيفية إقراء النبي صلّى الله عليه وسلّم اللفظ القراني، ليكون أساسا تقعيديا يعتمدون عليه في تأصيل عمليات الإقراء،

وركنا واضحا يتخذونه سبيلا تطبيقيا في تعليم اللفظ القراني وتعلمه.
2- ليستبين المقياس المطلق لصحة المنهجية التعليمية للفظ القراني، وبالتالي يتم تصحيح بعض الأخطاء الشائعة في المنهجيات التعليمية السائدة كالغلو في حفظ الألفاظ دون مصاحبة ذلك لمنهجية في تعلم المعاني، والتخلق بالخلق القراني ... فتكون هذه الدراسة محاولة في سبيل إعادة المنهجية النبوية إلى واقع الأمة، وتمثل أساسا لتقويم واقع الإقراء وتسديده في العصر الحاضر.
3- ليأوى معلم القران ومتعلمه من المسلمين عامة إلى ظلال وارفة عيشا مع قضايا علم القراءة والتجويد في صورتها الصافية، وسيرتها الأولى ... حيث كان الموجه القران الكريم، والسنة النبوية قبل حدوث الأقوال وتعددها- على فضلها- ... عسى أن ينشر الله له فيها من رحمته، ويهيئ له من أمره مرفقا إذا دلف إلى جنانها في عصر أحزاننا المستديمة على حد قول القائل:

دخلت، وقلبي قد طار مني ... ولكنه عاد لمّا دخلت
دخلت الرحاب، وأسلمت نفسي ... إلى تلف الوجد حتى سلمت
وكان المقام العظيم العظيم ... عليه يخيم نور وصمت
فطوف بي من جلال القران ... ذهول فهمت، وهمت، وهمت

4- لسد الثغرة القائمة في مؤلفات علوم القران الكريم؛ إذ لا يوجد- فيما أعلم- كتاب جامع يتضمن دراسة وصفية لتعليم النبي صلّى الله عليه وسلّم القران الكريم لأصحابه رضى الله عنهم، ويؤصل لقواعد علم التجويد، وإن سدت كتب فضائل القران ومقدمات التفاسير جزا عظيما وهاما من ذلك.

الأهداف التفصيلية للكتاب:

1- التأصيل الشرعي الدقيق لمناهج القراء، وقواعد التجويد حيث تخلو الكتب المؤلفة في هذا العلم- غالبا- من ذلك.
2- الوصول إلى نتائج مبينة في بعض قضايا اللفظ القراني الشائكة كمسألة التواتر القراني ... والتكبير عند خواتم القران ... عدد الحفاظ في عهد النبي صلّى الله عليه وسلّم ... صورة حفظ القران مسألة عامة شائعة ... التأكيد على حفظ كبار الصحابة رضي الله عنهم للقران كله في حياة النبي صلّى الله عليه وسلّم ... العرضة الأخيرة ... حل إشكالات في الفهم لبعض الروايات والنصوص التعليمية ... الكلام عن القراءة التفسيرية ... نظرية القراءة بالمعنى ... أسلوب إدارة النبي صلّى الله عليه وسلّم للجامعة النبوية القرانية ... تخرج الاف الحفاظ للقران الكريم على أيدي أئمة الإقراء من أصحابه رضي الله عنهم.
3- إظهار الأداة الواقعية التي تؤدي إلى الاطمئنان على دقة نقل ألفاظ القران الكريم، وعدم طروء أي تطور مخالف لما كان عليه الأمر قديما في نقلها إلا ما كان عائدا إلى خدمة الأصل التوقيفي ... فتتجلى عند ذاك واقعية الحقيقة الإيمانية (العقدية) الخالدة (حقيقة الحفظ الإلهي للقران الكريم) إِنَّا

نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (الحجر: 9) ، ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ (البقرة: 2) ، تَنْزِيلُ الْكِتابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ (السجدة: 2) ، من خلال وصف ذلك في العهد النبوي، وعرض حقائق التلاوة بطريقة فيها تنوع جديد.

(1/7)

4- رام المؤلف أن يبين أن النبي صلّى الله عليه وسلّم كان- في أداء البلاغ المبين للفظ القراني- كرئيس جامعة عصرية تضم تحتها عددا من الكليات، ومجموعة متخصصة من هيئة التدريس يبرز بعضهم ككبار المدرسين، ويمكن تشبيه بعضهم بالمعلم الأول في عصرنا ... وأما الطلاب فأعداد غفيرة تشكل الأمة بأسرها، ومنهم المتفرغون لتعلم القران الكريم كالسبعين الذين قتلوا في بئر معونة، كما حاول أن يبين مفردات المنهج الذي يجب على جميعهم أن يتعلموه «الواجب العيني» ، ثم يرتقي بعضهم إلى الدراسات العليا ليحيطوا بنسبة أكثر وأدق من المعرفة القرانية لهذا المنهج التعليمي «الفرض الكفائي» ...

5- فصّل الكتاب كيفية تعليم الناس اللفظ القراني وفق منهجية التلقي، وكيف كانت تتم عملية التلقين والتلقي على الرغم من كثرة العدد، مع ضرورة تطبيق اللفظ القراني، ومعرفة معانيه.

لماذا اختار الكتاب مصطلح (أصحاب) ولم يختر مصطلح (تلاميذ) ؟

لأن هذا هو المصطلح النبوي لتلاميذ النبي صلّى الله عليه وسلّم ... والاصطلاح على المتعلم بأنه (تلميذ) نشأ متأخرا «1» ، والأصحاب مأخوذ من الصحبة التي «تعني المصاحبة والمرافقة والمجالسة على حب الله تعالى وحب رسوله صلّى الله عليه وسلّم، والصحابة هم أصحاب محمد صلّى الله عليه وسلّم الذين صاحبوه وجالسوه وسمعوا منه وأخذوا عنه هدي الإسلام وسننه، فنصروه وعزّروه وجاهدوا معه بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله.

ولقد قام المنهج النبوي على تأسيس الصلة والصحبة والجندية كلها على المتابعة بالمحبة والصدق والإخلاص» «2» ، ولا شك أن الظلال النفسية لمصطلح صاحب لها

---

(1) انظر: لسان العرب (3/ 478) ومما ذكره أن التلاميذ هم الخدم والأتباع واحدهم تلميذ.

(2) أحمد علي الإمام (دكتور) : الصحبة والصحابة (ص 6) ، منشورات مجمع الفقه الإسلامي، الخرطوم.

(1/8)

أثرها الراقي بصورة أعلى بكثير من الظلال التي يثيرها مصطلح تلميذ خاصة في المرحلة الثانوية والجامعية، وقد طلب البعض عدم استعمال مصطلح تلميذ لطلاب العلم في هاتين المرحلتين.

حول الروايات الواردة في الكتاب:

يلتزم الكاتب إيراد الروايات المقبولة دون غيرها في صلب البحث، وقد يورد غيرها مما لم يشتد ضعفه على سبيل الاستشهاد– إن كانت تلك الروايا صالحة للاعتبار– وذلك ينسجم مع ما قاله الإمام أحمد– رحمه الله–: «الأحاديث الضعيفة قد يحتاج إليها في وقت، والمنكر أبدا منكر» «1» ، وكل ذلك بحسب ما يلائم كل قضية من درجة في التوثيق. وقد يذكر الكاتب تخريج الهيثمي في مجمع الزوائد وحكمه على الرواية، مع أنه إنما يحكم على السند الذي أمامه وليس على الحديث، ولذا فقد يضعّف بعض الأحاديث مع أنها مقواة من جهات أخرى، فأرجو ألا يغتر بذلك.

معوقات في مواجهة البحث:

1– شح المادة العلمية التفصيلية لهذا البحث، وما ذاك إلا لصيرورة مفردات مناهج التعليم للفظ القراني بدهيات لا يستغنى عنها، فصار الجانب العملي فيها مغنيا عن النقل العلمي، كما أن هذا اقتضى التنقيب البالغ عن النصوص المطلوبة في كل كتاب علمي يمكن الاطلاع عليه ... وهو ما جعل العبء مضاعفا.

2– غموض الترتيب في المادة المجموعة لعدم النسج على مثال سابق في خصوص الموضوع، كما أن جلالة الموضوع، وهيبته؛ إذ إن حقيقته محاولة العيش بين الرسول صلّى الله عليه وسلّم والقران الكريم والصحابة رضي الله عنهم مع أشرف وظيفة بعث بها

---

(1) أحمد علي الإمام (دكتور) : الصحبة والصحابة (ص 6) ، منشورات مجمع الفقه الإسلامي، الخرطوم.

الرسول صلّى الله عليه وسلّم هي تعليم الكتاب ... وهذا قد يؤود الباحث فيتنكب الصواب في ثنايا الاضطراب ... وذا أثر نفسي لا ينكره الباحث.

منهج الاختصار للبحث:

1– قرئ أصل هذا الكتاب عدة مرات أخر من أوله إلى اخره حتى يتم حذف ما يمكن حذفه، وتعديل ما يجب تعديله بحيث يتناسب مع الحيز المقترح له من عدد الصفحات.

2– حذفت الاراء الفقهية المختلفة، واكتفي ببيان الراجح فقط عند وجود الاختلاف في المسألة ... ومن أراد الاستزادة فعليه بالأصل.

3– اكتفي بأهم النصوص القرانية والحديثية التي توضح فكرة الموضوع، واقتصر على واحد منها عندما يسوغ ذلك، كما اكتفي في غالب الأحيان بموضع الشاهد من النص القراني أو النبوي، وحذف تفصيل الكلام على تخريج الأحاديث، وكلام الشراح حولها إلا ما لابد منه في نظر الكاتب.

4- حذفت العبارات التي يمكن بدونها فهم الفكرة الأصلية، وكان وجودها زيادة إيضاح وبيان، وامتد هذا التصرف إلى النصوص المنقولة عن أهل العلم.
5- حذفت الاعتراضات على الفكرة أو المعنى الراجح والأجوبة على ذلك غالبا.
6- دمجت عدد من المطالب والمباحث، وحذف بعضها لكن الكاتب أبقى على الهيكل العام (الفصول) كما هو.
7- تم حذف كثير من تفاصيل براهين النظريات التي مال إليها الباحث في الفصل الخامس، كما حذف موضوع التواتر القرائي بأكمله من هذا الفصل مما لا أظن الباحث يستطيع الاكتفاء بما هو موجود في هذا المختصر، فأنصح بالرجوع إلى الأصل في هذا الموضوع الكبير.

8- حذفت معلومات المرجع من أول موضع ورد فيه غالبا، واكتفى بمختصره، حيث يغني فهرس المراجع عن ذلك، كما تم حذف تراجم الأعلام، وتفاصيل التعريفات اللغوية.
9- تركت ما فيه ذكر لأخبار القراء من الصحابة والتابعين مما يزيّن القارئ به مجالسه وحلقته.
فإن اعترض على هذه الطريقة في الاختصار ... فأنا أسلم بذلك، وليكن هذا كتاب جديد يكون مدخلا للأصل.

الهيكل العام للبحث «خطة البحث» :
يتكون البحث من مقدمة وخمسة فصول، وقد اختار الباحث أن يسير سيرا متدرجا بالنسبة لتعليم قراءة القران الكريم، ابتداء بما قبل القراءة وحتى ختامها ...
ولما كان البحث دائرا حول شخصية النبي صلّى الله عليه وسلّم التعليمية في الإطار الخاص وهو تعليم ألفاظ القران الكريم لا التعليم لكل ما يتعلم فقد انعقد الفصل الأول لأجل ذلك فكان حول شخصية النبي صلّى الله عليه وسلّم التعليمية من الناحية العامة إشارة إليها، ومن الناحية الخاصة المتعلقة بتعليم اللفظ القراني.
ولما كان البحث دائرا حول تعليم ألفاظ القران الكريم فقد لزم من هذا بيان أصول هذا التعليم في منهجية النبي صلّى الله عليه وسلّم من الناحية الإدارية والمنهجية وعقد الفصل الثاني لأجل ذلك.
ولما كان محور البحث متركزا في كيفية تعليم تلاوة الألفاظ القرانية فقد عقد الفصل الثالث لإيضاح ذلك بالتفصيل، وبيان منهجية النبي صلّى الله عليه وسلّم في تعليم الترتيل «التجويد» .

ولما كان حفظ «جمع» القران يمثل الغاية من هذا التعليم فقد انعقد الفصل الرابع لبيان جمع القران كتابة وعن ظهر قلب، واستتبع هذا الكلام عن جامعي القران الكريم من الصحابة على يد النبي

صلّى الله عليه وسلّم «المخرجات التعليمية» .
ولأن القران قد اختص من بين سائر الكتب السماوية بنزوله على لغة العرب ومن ثم امتناع ترجمته حرفيا، مع الإذن بقراءته على سبعة أحرف ... فقد انعقد الفصل الخامس لبيان كيفية تعليم النبي صلّى الله عليه وسلّم ذلك، واستتبع هذا ربط ذلك بحقيقة التواتر القراني واثاره التي تدل على عدم مس القران الكريم كما أنزله الله تعالى بزيادة أو نقصان، وبيان الحقائق التي تجلي بعض الاستشكالات التي أوردت على المنهجية الشرعية لتناقل القران الكريم.
وعلى هذا انحصرت تبويبات البحث بعد المقدمة في التالي:
الفصل الأول: شخصية النبي صلّى الله عليه وسلّم التعليمية: وفيه ثلاثة مباحث:
المبحث الأول: طبيعة الوظيفة الرسالية لسيدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم.
المبحث الثاني: وظيفة التلاوة.
المبحث الثالث: حكم تعلم القران الكريم وتعليمه.
الفصل الثاني: أصول تعليم النبي صلّى الله عليه وسلّم أصحابه ألفاظ القران: وفيه أربعة مباحث:
المبحث الأول: تعليمه صلّى الله عليه وسلّم كيفية تعلمه لكلام الله القراني.
المبحث الثاني: وسائل تعليم ألفاظ القران الكريم كما وضعها النبي صلّى الله عليه وسلّم.
المبحث الثالث: وسائل النشر التعليمية لألفاظ القران الكريم في عموم المجتمع المسلم كما قام بها النبي صلّى الله عليه وسلّم.
المبحث الرابع: القواعد التربوية المصاحبة لعملية الإقراء «من حيث اللفظ» .

الفصل الثالث: جماع منهجية النبي صلّى الله عليه وسلّم في تحفيظ الألفاظ وترتيلها: وفيه ستة مباحث وهي:
المبحث الأول: تعليمه صلّى الله عليه وسلّم أساسيات الدرس القراني «منهج الحلقات القرانية» .
المبحث الثاني: تعليمه صلّى الله عليه وسلّم ماهية التجويد وحكمه.
المبحث الثالث: تعليمه صلّى الله عليه وسلّم أهمية التجويد وضوابطه الشرعية.
المبحث الرابع: تعليمه صلّى الله عليه وسلّم ترتيل ألفاظ القران الكريم.
المبحث الخامس: تعليمه صلّى الله عليه وسلّم مراتب الأداء الأعلى من التجويد.
المبحث السادس: تعليمه صلّى الله عليه وسلّم الملحقات بأحكام التجويد.
الفصل الرابع: تعليمه صلّى الله عليه وسلّم جمع القران الكريم حفظا وكتابة «المخرجات التعليمية» : وفيه أربعة مباحث:
المبحث الأول: أثر عامل السن في أسلوب تعليمه «منهجية النبي صلّى الله عليه وسلّم في تعليم الصغار» .
المبحث الثاني: تعليمه صلّى الله عليه وسلّم ألقاب حامل القران وصفاته.
المبحث الثالث: أصحاب «تلاميذ» النبي صلّى الله عليه وسلّم من أئمة الإقراء «المخرجات

التعليمية» .
المبحث الرابع: تعليمه صلّى الله عليه وسلّم جمع القران.
الفصل الخامس: تعليمه صلّى الله عليه وسلّم قراءة القران على أحرفه المنزلة: وفيه ثلاثة مباحث:
المبحث الأول: تعليمه صلّى الله عليه وسلّم القراءة بما تيسر من الأحرف السبعة.
المبحث الثاني: تعليمه صلّى الله عليه وسلّم أن القراءة سنة يأخذها الاخر عن الأول.

المبحث الثالث: المنهجية الشرعية لتناقل القران الكريم «التواتر في نقل ألفاظ القران» .
رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا وَهَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ، رَبَّنا إِنَّنا سَمِعْنا مُنادِياً يُنادِي لِلْإِيمانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئاتِنا وَتَوَفَّنا مَعَ الْأَبْرارِ (193) رَبَّنا وَآتِنا ما وَعَدْتَنا عَلى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعادَ.
وهذا أوان انطلاق القلم في البحث سائرا بسم الله مجراه ومرساه، وحسبنا الله ونعم الوكيل، على الله ربنا توكلنا.
الدكتور عبد السلام مقبل المجيدي

الفصل الأول: شخصية النبي صلّى الله عليه وسلّم التعليمية «الرسول المعلم» :
وفيه ثلاثة مباحث:
يتناول هذا الفصل شخصية النبي صلّى الله عليه وسلّم التعليمية بما يعطي لمعلم القران الكريم الدلالات الاتية:
1- الاعتزاز بهذه الوظيفة، واستشعار أنها فعل النبي صلّى الله عليه وسلّم وهديه، وسمته ... فهي أفضل الأعمال.
2- استشعار الاهتمام الشديد الذي أولاه الشرع لتلاوة القران وتعليمه بما يعين الفرد والمجتمع على استيعاب مدى الأهمية الشرعية ومن ثم الواقعية لهذين العملين في الحياة، وذلك لأن جميع وظائف النبي صلّى الله عليه وسلّم تفصيلا تعود إلى تلاوة الكتاب المجيد، وتعليمه ... وبناء على ذلك يبين الفصل الأخير حكم تعلم ألفاظ القران الكريم وتعليمه، ولتحقيق الغاية من هذا الفصل فقد انقسم منطقيا إلى ثلاثة مباحث هي:
المبحث الأول: طبيعة الوظيفة الرسالية لسيدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم.
المبحث الثاني: وظيفة التلاوة.

المبحث الثالث: حكم تعلم القران الكريم وتعليمه.
ولما كان المبحث الأول كالتقدمة للثاني والثالث كالتتمة كان الثاني أطول منهما.

(1/15)

المبحث الأول: طبيعة الوظيفة الرسالية لسيدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم:
وفيه ثلاثة مطالب:
يناقش هذا المبحث وظيفة النبي صلّى الله عليه وسلّم العامة، ويحلل الدلالات اللفظية لوصفها المصطلحي، وماهية مرتكزاتها تفصيلا ... ويرجع ذلك إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الوظيفة العامة للنبي صلّى الله عليه وسلّم.
المطلب الثاني: تحليل دلالات الوصف الإجمالي للوظيفة النبوية.
المطلب الثالث: تفصيل الوظيفة الرسالية للنبي صلّى الله عليه وسلّم.
المطلب الأول: الوظيفة العامة للنبي صلّى الله عليه وسلّم:
يمكن إيجاز وظيفة النبي صلّى الله عليه وسلّم في أن الله جل جلاله إنما بعثه معلما كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «إن الله لم يبعثني معنتا، ولا متعنتا، ولكن بعثني معلما ميسرا» «1» ، وجعل وظيفته الكاملة القيام ب (البلاغ المبين) كما قال عزّ وجل: فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ (المائدة: 92) وهذا الأسلوب يفيد حصر الوظيفة على البلاغ، وقصر المهمة على أن يكون البلاغ مبينا، وحصرت مهمته صلّى الله عليه وسلّم في ذلك ليعلم طبيعتها أهل المشرق والمغرب ممن اهتدى، أو اثر الردى ... فقد بين الله جل جلاله لنبيه صلّى الله عليه وسلّم أن المعاندين إن «جادلوك بالأقاويل المزورة، والمغالطات فأسند أمرك إلى ما كلفت من الإيمان والتبليغ» » .

---

(1) صحيح مسلم (2/ 110) .
(2) الجامع لأحكام القران (4/ 45) عند تأويل قوله: فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ... (ال عمران: 20) .

(1/16)

تحديد نطاق وظيفة الرسول صلّى الله عليه وسلّم:
وإذا كان ما سبق هو إخبار للمخاطبين يبين مهمة الرسول صلّى الله عليه وسلّم ويحصرها؛ فقد أكّد هذا الحصر بخطاب الله تعالى للرسول صلّى الله عليه وسلّم ذاته مباشرة بما يبين له نطاق مهمته ووظيفته صلّى الله عليه وسلّم قوله: فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (النحل: 82) ، وعمم الأمر خطابا للرسول صلّى الله عليه وسلّم وغيره زيادة في الإيضاح والتأكيد في قوله سبحانه وتعالى: وَما عَلَى

الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ (العنكبوت: 18) ، وهذه هي وظيفة الرسل عامة كما قال جل جلاله: فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ (النحل: 35) ، وقد أخذ هذا التحديد النظري طابعا تطبيقيا في إيضاح الرسل وظيفتهم لأقوامهم كما في قوله سبحانه وتعالى على لسان نوح وهود– عليهما السّلام– أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي (الأعراف: 62، 68) ، وعلى لسان صالح عليه السّلام: لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالَةَ رَبِّي (الأعراف: 79) ، وشعيب عليه السّلام: لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي (الأعراف: 93) ، ورسل صاحب يس: وَما عَلَيْنا إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ «1» (يس: 17) .

تعليم النبي صلّى الله عليه وسلّم أصحابه رضي الله عنهم حدود مهمته:

وقد علم النبي صلّى الله عليه وسلّم أصحابه نطاق مهمته الرسالية، لما يترتب على ذلك من ضرورات منهجية ترجع إلى حفظ أصول الدين وقواعده، وتتلخص في عنصر واحد: أن يكونوا شهودا على ذلك في الدنيا والاخرة:

أما في الدنيا فحتى لا يفتري عليه أحد بكتمان، أو نقصان، ويعلم الثقلان أن ما بلغه هو الدين الكامل.

---

(1) هذه إشارات، ويستعان لمزيد من التحليل ب: المعجم المفهرس لمعاني القران العظيم (1/ 225) .

وأما في الاخرة فحتى يشهدوا له عند الله جل جلاله.

من أجل ذلك بين لهم صلّى الله عليه وسلّم– غير ما تقدم– أن الله عزّ وجلّ أوجب عليه البلاغ لكل ما أوحى إليه من ربه عزّ وجلّ، وإن لم يفعل فما قام بوظيفته التي أرسل من أجلها، كما قال سبحانه وتعالى: يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ (المائدة: 67) ، كما قال الزهري في فقه هذه الاية:

«من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم» «1» ، ... فكل شيء سكت عنه صلّى الله عليه وسلّم فهو مما لم يؤمر بتبليغه– إن كان ثم شيء يبلّغ–، وقد علم الصحابة رضي الله عنهم بأنه لو كان ثم شيء يستحق البلاغ لأمر بتبليغه فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: صلّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم– قال إبراهيم: زاد أو نقص– فلمّا سلّم قيل له: يا رسول الله! أحدث في الصّلاة شيء؟ قال: «وما ذاك؟» قالوا:

صلّيت كذا وكذا. قال: فثنى رجليه، واستقبل القبلة، فسجد سجدتين ثمّ سلّم، ثمّ أقبل علينا بوجهه، فقال: «إنّه لو حدث في الصّلاة شيء أنبأتكم به» «2» .

استشهاده صلّى الله عليه وسلّم الخلق على قيامه بالبلاغ: وقد شهّد أمته على إبلاغه الرسالة، واستنطقهم بذلك في أعظم المجامع، كما في خطبته في حجة الوداع، فعن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال في خطبة حجة الوداع: «أيها الناس! إنكم مسؤولون عني فما أنتم

قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت، وأديت، ونصحت. فجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكسها إليهم ويقول: اللهم اشهد» «3» .

---

(1) صحيح البخاري (6/ 2738) .
(2) البخاري (1/ 156) ، مسلم (1/ 400) ، مرجعان سابقان.
(3) وورد مثل ذلك عن أبي بكرة عند البخاري (1/ 52) ، ومسلم (3/ 1305) ، وعن ابن عباس عند البخاري (2/ 619) ، وقد جاء مثل ذلك أيضا عن عدد من الصحابة في أكثر من موطن.. انظر: الأصل.

وشهد له الصحابة رضي الله عنهم بكمال البلاغ في الدنيا: فمنعوا بذلك أوهام المتخرصين أن يكون فرّط أو كتم أو خص بعض الناس بشيء من البيان العام الواجب تبليغه عليه صلّى الله عليه وسلّم، فعن ابن عباس أنه جاءه رجل فقال له: إن ناسا يأتونا فيخبرونا أن عندكم شيئا لم يبده رسول الله صلّى الله عليه وسلّم للناس، فقال ابن عباس: ألم تعلم أن الله سبحانه وتعالى قال: يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ «1» ، وعن مسروق عن عائشة قالت: من حدثك أن محمدا كتم شيئا مما أنزل الله عليه فقد كذب وهو يقول يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ «2» .

مادة البلاغ الأساسية:

ومادة البلاغ الأساسية هي القران الكريم كما قال جل جلاله: وَأُوحِيَ إِلَيَّ هذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ (الأنعام: 19) ، وقال عزّ وجلّ: وَهذا كِتابٌ أَنْزَلْناهُ مُبارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرى وَمَنْ حَوْلَها (الأنعام: 92) أي:
«مكة ومن حولها من أحياء العرب وسائر طوائف بني ادم من عرب وعجم» «3» ، وقال جل جلاله: وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ (هود: 17) ، وقال سبحانه وتعالى: تَبارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً (الفرقان: 1) .
ولأن مادة البلاغ الأساسية هي القران قال ابن عباس رضي الله عنها في قوله سبحانه وتعالى: وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ (المائدة: 67) : «يعني إن كتمت اية مما أنزل

---

(1) تفسير ابن كثير: (2/ 78) ، وقال عن هذا الحديث: «وهذا إسناد جيد» ، وتتمته: «والله ما ورثنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سوداء في بيضاء» .
(2) البخاري (6/ 2739) ، مرجع سابق.
(3) ابن كثير (2/ 157) ، مرجع سابق.

إليك من ربك لم تبلغ رسالته» «1» ، وقال لهم النبي صلّى الله عليه وسلّم: قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً (الأنعام: 90) ، «أي لا أطلب منكم على إبلاغي إياكم هذا القران أجرا أي أجرة ولا أريد منكم شيئا» «2» كما كان يبين أن هذا العلم الذي أوتيه، وأمر بتبليغه خير كثير كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «قد علمني الله عز وجل خيرا» «3» ، فتحددت وظيفة البلاغ بإيصال مادته الأساسية إلى هؤلاء الأحزاب باختلاف أمصارهم وأعصارهم.

الإبانة في البلاغ:

ونلحظ أن (الإبانة) صفة ضرورية ملازمة لوظيفة البلاغ، والإبانة نوعان:

1- إبانة لفظية: أي يجب على الرسول صلّى الله عليه وسلّم أن يكون لفظه بالبلاغ مبينا كما في قوله تعالى: بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (الشعراء: 195) .

2- وإبانة معنوية: أي يجب على الرسول صلّى الله عليه وسلّم أن يبين تأويل الكلام الذي أمر بتبليغه كما في قوله سبحانه وتعالى: وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ (النحل: 44) ، فمما «يجب أن يعلم أن النبي صلّى الله عليه وسلّم بين لأصحابه رضي الله عنهم معاني القران، كما بين لهم ألفاظه، فقوله تعالى: لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ يتناول هذا وهذا» «4» .

الاتصال بين الإبانة اللفظية والإبانة المعنوية:

واللفظ والمعنى متصلان اتصالا وثيقا إلا أنه لا يمكن للمعنى الثبات مع اهتزاز لفظه أو تغييره في الكلام المعجز إذ أول أوجه إعجازه تتمثل في إعجازه في لفظه كما لخص الخطابي- رحمه الله تعالى- أركان إعجاز القران في: «اللفظ الحامل،

---

(1) ابن كثير (2/ 79) ، مرجع سابق.

(2) ابن كثير (2/ 157) ، مرجع سابق.

(3) أحمد (5/ 368) ، وقال ابن كثير في تفسيره (3/ 456) ، مرجع سابق: «وهذا إسناد صحيح» .

(4) مقدمة في أصول التفسير (ص 208) .

المعنى القائم به، الرباط الناظم لهما» «1» ، ولأن إعجاز القران يعتمد على حقيقة واحدة هي أن الله سبحانه وتعالى قاله، كان لا بد من بلوغ أقصى درجات الإبانة اللفظية في كلام الله جل جلاله تمهيدا للإبانة المعنوية؛ ولذا يظهر الاهتمام بألفاظ القران واضحا في القران، ومن ذلك قول الله عزّ وجلّ: حم (1) وَالْكِتابِ الْمُبِينِ «أي البين الواضح الجلي المعاني والألفاظ؛ لأنه نزل بلغة العرب التي هي أفصح اللغات للتخاطب بين الناس، ولهذا قال تعالى إِنَّا جَعَلْناهُ أي أنزلناه قُرْآناً عَرَبِيًّا أي بلغة العرب

فصيحا واضحا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ أي تفهمونه وتتدبرونه كما قال عزّ وجلّ: بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ» «2» .
وصار الطلب الشرعي لضبط ألفاظ القران الكريم استحضارا واستظهارا وإتقانا للأداء بديهية شرعية في حياة الصحابة رضي الله عنهم، كما كان تعظيمه، وصونه باستظهار ألفاظه، والعمل على نشره كتابة وحفظا وتعليما من أبرز مقاصد التنزيل الحكيم: أي ليعظم عندهم بألفاظه، فيحافظ عليها، ويتبع معانيها: كما في قوله سبحانه وتعالى: وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ (الزخرف: 4) ف «بين شرفه في الملأ الأعلى ليشرفه ويعظمه ويطيعه أهل الأرض ... » «3» وكما قال تبارك وتعالى: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (77) فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ (78) لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (79) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ (80) (الواقعة: 77– 80) وقال تعالى: كَلَّا إِنَّها تَذْكِرَةٌ (11) فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ (12) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (13) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (14) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (15) كِرامٍ بَرَرَةٍ (عبس: 11– 16) فإذا كانت «الملائكة يعظمون المصاحف المشتملة على القران في الملأ

---

(1) بيان إعجاز القران (ص 26) .
(2) ابن كثير (4/ 123) ، مرجع سابق.
(3) ابن كثير (4/ 123) ، مرجع سابق.

الأعلى، فأهل الأرض بذلك أولى وأحرى لأنه نزل عليهم وخطابه متوجه إليهم فهم أحق أن يقابلوه بالإكرام والتعظيم، والانقياد له بالقبول والتسليم لقوله جل جلاله:
وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ (الزخرف: 4) » «1» .
وبايات الله التي تبلغ البحار، وما وراء البحار ... كان مستمسك العارفين ...
ولها كان تعظيم السادات من المؤمنين ... يعظمون ايات الله ... وهي حبل النجاة في يوم الهول المبين:
قرت بها عين قاريها فقلت له ... لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم
إن تتلها خيفة من حر نار لظى ... أطفأت نار لظى من وردها الشبم
كأنها الحوض تبيض الوجوه به ... من العصاة وقد جاؤه كالحمم
وكالصراط وكالميزان معدلة ... فالقسط من غيرها في الناس لم يقم

المطلب الثاني: تحليل دلالات الوظيفة الرسالية الإجمالية:

بعد أن استقر أن وظيفة النبي صلّى الله عليه وسلّم هي (البلاغ) ، وعلمت مادته فيجب معرفة ماهيته؛ وسر اختيار هذا المصطلح للدلالة عليه.
فأصل البلاغ البلوغ وهو الوصول من بلغ يبلغ بلوغا «2» ، وتظهر من مفاهيم البلاغ الدلالات التالية:
1– أنه يجب وصول المبلّغ به ليتم البلاغ:

فعدم وصوله نقص في التبليغ، إذ بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا: وصل وانتهى، والبلاغ: ما بلغك، وفي التنزيل العزيز: إِلَّا بَلاغاً مِنَ اللَّهِ وَرِسالاتِهِ

---

(1) ابن كثير (4/ 123) ، مرجع سابق.
(2) تفسير القرطبي (6/ 327) .

(الجن: 23) ، أي لا أحد منجى إلا أن أبلّغ عن الله ما أرسلت به، والإبلاغ: الإيصال، وكذلك التّبليغ، والاسم منه البلاغ «1» ، وهذا يقتضي فعل الوسائل القولية والعملية لإيصال المبلغ به.
2- الكفاية بالمبلغ به كما في قوله جل جلاله: إِنَّ فِي هذا لَبَلاغاً لِقَوْمٍ عابِدِينَ (الأنبياء: 106) ، وكما في قوله سبحانه وتعالى: هذا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ (إبراهيم: 52) والإشارة للقران الكريم كما في قوله عزّ وجلّ: أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ يُتْلى عَلَيْهِمْ (العنكبوت: 51) والبلاغ هنا الكفاية «أي كفاية لأنه يبلغ مقدار الحاجة» «2» ؛ ومنه قول الراجز:
تزجّ من دنياك بالبلاغ ... وباكر المعدة بالدّباغ
«3» ويظهر من هذه الايات أن المادة الأساسية للتبليغ هو القران الكريم.
3- أن القران المبلغ به هو السبيل الوحيد الذي يوصل إلى مطلوب الإنسان من السعادة، فالبلاغ ما يتبلّغ ويتوصّل به إلى الشيء المطلوب «4» ، وتبلّغ بالشيء:
وصل به إلى مراده «5» .
4- الاجتهاد في أداء الرسالة فقولك: «أراه من المبالغين في التبليغ، بالغ يبالغ مبالغة وبلاغا إذا اجتهد في الأمر» «6» .

---

(1) لسان العرب (8/ 419) .
(2) القرطبي (6/ 327) ، مرجع سابق.
(3) معجم مقاييس اللغة (1/ 156) .
(4) النهاية في غريب الأثر (1/ 152) .
(5) انظر: لسان العرب (8/ 419) ، مرجع سابق.
(6) لسان العرب (8/ 419) ، مرجع سابق.

5- ويدل الوصف الشخصي للنبي صلّى الله عليه وسلّم ب (الرسول) ، والوصف الوظيفي له ب (البلاغ) على المصدر الإلهي لتعلم الأنبياء، وذكر هذا والتأكيد عليه هو دأب كل نبي ورسول يقولون: إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ ما أُرْسِلْتُ بِهِ (الأحقاف: 23) أي لا أعلم من ذلك إلا ما علمني الله، وإنما أنا رسول إليكم من الله مبلغ أبلغكم عنه ما أرسلني به من الرسالة «1» ، فهذا قول هود عليه السّلام، ومثله قول النبي صلّى الله عليه وسلّم قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ (الكهف: 110) «أي قل يا محمد إنما أنا بشر مثلكم من بني ادم لا علم لي إلا ما علمني الله» «2» ومثله على لسان يوسف عليه السّلام: ذلِكُما مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي (يوسف: 37) ، وكان يبلغهم بالقران كمادة أساسية في منهاج التبليغ، فيحاولون إبعاده عن ذلك، وصرفه عنه فيقولون ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هذا أَوْ بَدِّلْهُ (يونس: 15) ، فيكون رده هو التأكيد على هذه المصدرية كما في قوله تعالى قُلْ ما يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِي (يونس: 15) «وإنما هو رسول مبلّغ، ومأمور متبّع» «3» .
ونظرا لهذه المقتضيات يحاسب الرسل على ذلك كما في قوله عزّ وجلّ: لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ (الجن: 28) ، وكما في قوله جل جلاله: ما قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا ما أَمَرْتَنِي بِهِ (المائدة: 117) .

---

(1) انظر: تفسير الطبري (26/ 25) .
(2) الطبري (16/ 39) ، مرجع سابق.
(3) الطبري (11/ 95) ، مرجع سابق.

المطلب الثالث: تفصيل الوظيفة الرسالية للنبي صلّى الله عليه وسلّم:
جاء تفصيل هذه الوظيفة (البلاغ) ، وبيان امتداداتها في ايات أخر؛ إذ ورد بيانها في أربع ايات من القران الكريم: في سورة البقرة موضعان، وموضع في سورة ال عمران، وموضع في سورة الجمعة، وترجع صيغها الإجمالية إلى قوله سبحانه وتعالى: كَما أَرْسَلْنا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِنا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (البقرة: 151) وقوله عزّ وجلّ: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ (الجمعة: 2) ، وقد فرّعت هذه الايات وظيفة البلاغ إلى ثلاثة فروع:
[فروع وظيفة البلاغ]

الأول: يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ:
وقدم تلاوة الايات على سائر الفروع الاخرى في كل الايات، بل قد انفردت هذه الوظيفة بالذكر في عدد من المواضع كقوله جل جلاله: رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفاً مُطَهَّرَةً (البينة: 2) ، وكذلك قوله عزّ وجلّ: رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِ اللَّهِ مُبَيِّناتٍ (الطلاق: 11) ، ويَتْلُوا هنا في موضع نصب نعت لرسول ومعناه يقرأ، والتلاوة القراءة، وآياتِ اللَّهِ يعني القران «1» فقوله سبحانه وتعالى: يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ أي يقرأ عليهم اي كتابه وتنزيله «2» .

(1) انظر: القرطبي (18/ 92) ، مرجع سابق.
(2) انظر: الطبري (4/ 163) ، مرجع سابق.

الثاني: وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ:
فالكتاب يعني القران، ويعني بالحكمة السنة التي سنها الله جل ثناؤه للمؤمنين على لسان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وبيانه له، وقال ابن عباس: الكتاب الخط بالقلم لأن الخط فشا في العرب بالشرع لما أمروا بتقييده بالخط، وقال مالك بن أنس: الحكمة الفقه بالدين «1» ، ولخص بعضهم معاني الحكمة بقوله:
والحكمة العلم وقول الحق ... وفعله مقترنا بالصدق
«2» فالمراد أنه يعلمهم كتاب الله الذي أنزل عليه مقروا ومكتوبا، ويبين لهم تأويله ومعانيه «3» ، و (يعلمهم الكتاب والحكمة) صفة أيضا ل (رسولا) مترتبة في الوجود على التلاوة «4» ، وكذلك التزكية تترتب في الوجود على التلاوة ...
والفرعان الأولان هما مدار هذا الكتاب؛ إذ يتحدث الأول عن التلاوة، والاخر عن تعليم الكتاب تلاوة وكتابة ... وبذلك تعلم ألفاظ القران الكريم.

الثالث: وَيُزَكِّيهِمْ:
التزكية هي التطهير والزكاة النماء والزيادة فيكون معنى قوله جل جلاله وَيُزَكِّيهِمْ يطهرهم من الشرك بالله، وعبادة الأوثان، ودنس الكفر والذنوب، وينميهم ويكثرهم بطاعة الله»
، فالتطهير إنما يكون باتباعهم إياه، وطاعتهم له فيما أمرهم ونهاهم «6» ، فيحملهم على ما يصيرون به أزكياء طاهرين من خبائث العقائد

(1) انظر: القرطبي (18/ 92) ، مرجع سابق.
(2) التيسير في علوم التفسير (ص 29) .
(3) وانظر: الطبري (4/ 163) ، مرجع سابق.
(4) انظر: روح المعاني (28/ 93) ، مرجع سابق.
(5) انظر: الطبري (1/ 558) ، مرجع سابق.
(6) انظر: الطبري 4/ 163، مرجع سابق.

والأعمال «1» ، وبذلك «يجعلهم أزكياء القلوب بالإيمان» كما قاله ابن عباس «2» ، وبين ابن كثير– رحمه الله تعالى– الوسيلة العملية لأداء عملية التزكية بقوله:
«يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر لتزكو نفوسهم وتطهر من الدنس والخبث الذي كانوا متلبسين به في حال شركهم وجاهليتهم» «3» .
ومعنى الاية إجمالا: «يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى إليه من البينات، ويعلمهم القران، والحكمة وما يكمل به نفوسهم من أحكام الشريعة والمعارف الحقة» «4» .

من حكم ترتيب هذه الفروع في المواضع الأربعة «5» :
نلحظ أن التلاوة جاءت في الايات كلها في أول الفروع، ثم اختلف ترتيب الفرعين الاخرين حيث جاء التعليم للكتاب والحكمة أولا في دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السّلام في قوله عزّ وجلّ: رَبَّنا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (البقرة: 129) ، والدعاء من أساليب الطلب، وجاءت التزكية قبل التعليم في ايات الإخبار في الموضع الثاني من سورة (البقرة: 151) ، و (ال عمران: 16) ، و (الجمعة: 2) ، وقد تجلت من ذلك عدة حكم:
1– جاءت الفروع بهذه الهيئة في الترتيب مع أنها تعود لأمر واحد هو البلاغ المبين لأن المقام مقام تفصيل للنعم المطلوبة أو المرادة في العباد، ويدل على ذلك

---

(1) انظر: روح المعاني (28/ 93) ، مرجع سابق.
(2) انظر: القرطبي (18/ 92) ، مرجع سابق.
(3) ابن كثير (1/ 425) ، مرجع سابق.
(4) تفسير أبي السعود (1/ 162) .
(5) يسمى هذا العلم (علم توجيه متشابه الكتاب) ، وهو فن مستقل من علوم القران ... انظر: في الكتب المؤلفة فيه في مقدمة (السخاوي) علم الدين أبي الحسن علي بن محمد السخاوي ت 643 هـ: كتاب هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبيين متشابه الكتاب.

قوله عزّ وجلّ: وَيُعَلِّمُكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (البقرة: 151) فإن الموصول مع كونه عبارة عن الكتاب والحكمة قطعا قد عطف تعليمه على تعليمهما وما ذلك إلا لتفصيل فنون النعم في مقام يقتضيه كما في قوله تعالى وَنَجَّيْناهُمْ مِنْ عَذابٍ غَلِيظٍ (هود: 58) عقب قوله تعالى نَجَّيْنا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا (هود: 58) «والمراد بعدم علمهم أنه ليس من شأنهم أن يعلموه بالفكر والنظر وغير ذلك من طرق العلم لانحصار الطريق في الوحي» «1» .
2– رتّبت بهذا الشكل دلالة على ضرورتها وترتبها في الوجود، والمعلم البارز في الترتيب أن التلاوة جاءت أولا في كل الايات، وذلك لأنها أساس الفرعين الاخرين، إذ حقيقة التعليم للكتاب تلاوة

متعدية بإقراء ألفاظه، وتحفيظها وتفهيمها ببيان أحكامه للاخرين، وقد كان معظم تبليغه وكلامه صلّى الله عليه وسلّم تلاوة القران لا يزيد عليه إلا الأقل منه، ويدل على أن ذلك هو أساس وظائفه قوله عزّ وجلّ إِنَّما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَها وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (91) وَأَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ (النمل: 91– 92) .

3– وجاءت وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ ثانية في الدعاء: لأنها صفة أخرى مترتبة في الوجود على التلاوة، وأخر التزكية لأنها عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة «2» .

4– ويمكن النظر إلى الحكمة في الترتيب في كل سورة على حدة بالنظر إلى طبيعة وصف المخاطبين أو المتكلم عليهم: فلما كان ظاهر دعوته عليه السّلام أن البعث

---

(1) انظر: تفسير أبي المسعود (1/ 178) ، روح المعاني (28/ 93) ، مرجعان سابقان.

(2) تفسير أبي السعود (1/ 178) ، مرجع سابق.

لأمة مسلمة كانوا إلى تعليم ما ذكر أحوج منهم إلى التزكية؛ فإن أصلها موجود بالإسلام، فأخر قوله وَيُزَكِّيهِمْ أي يطهر قلوبهم بما أوتي من دقائق الحكمة فترتقي بصفائها ولطفها من ذروة الدين إلى محل يؤمن عليها فيه من أن ترتد على أدبارها، وتحرف كتابها كما فعل من تقدمها، والتزكية اكتساب الزكاة بما هو لها بمنزلة الغذاء للجسم، «ولما ذكر سبحانه في سورة الجمعة بعثه في الأميين عامة اقتضى المقام تقديم التزكية التي رأسها البراءة من الشرك الأكبر ليقبلوا ما جاءهم من العلم، وأما تقديمها في ال عمران مع ذكر البعث للمؤمنين فلاقتضاء الحال بالمعاتبة على الإقبال على الغنائم الذي كان سبب الهزيمة لكونها إقبالا على الدنيا التي هي أم الأدناس» «1» .

5– ومن حكم الترتيب أن التلاوة عامة لجميع الناس، والتزكية خاصة بمن استجاب للايات فامن بها، وتعليم الكتاب والحكمة خاص ببعض المؤمنين «2» .

6– وفي هذا الترتيب يظهر لنا الفرق في عملية تعليم القران (علم القراءة) عن عملية تعليم الأحكام، فعلم القراءة طريقه (التلقي) الذي تشير إليه لفظة يَتْلُوا، وعلم الأحكام أعم من التلقي فقد يكون بالاستنباط مثلا كما تشير إليه لفظة وَيُعَلِّمُهُمُ فرتب «التعليم على التلاوة كما هو الواقع لأن التلاوة أول ما يقرع السمع، والتعليم الذي هو التفهم بعده» «3» .

---

(1) (البقاعي) برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ت 885 هـ: نظم الدرر في تناسب الايات والسور.

(2) أشار شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (16/ 185) إلى شيء يشبه هذا مع خلاف في جزئية من الفكرة.

(3) (السيوطي) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكرت 911 هـ: قطف الأزهار في كشف الأسرار،

تحقيق د. أحمد بن محمد الحمادي، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية– قطر، 1414 هـ– 1994 م.

(1/29)

7– ومن الحكم الظاهرة لهذا الترتيب: أن التلاوة للقران يجب أن تكون عامة للناس، وعامة في مجتمع المؤمنين ظاهرة لا يكون أحد من المؤمنين في المجتمع إلا سامعا أو قائما بها ... بالقدر الذي يجعل هجران القران المذكور في قول جل جلاله: وَقالَ الرَّسُولُ يا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً (الفرقان: 30) ، منتف عنه.. أما التعليم للكتاب تعليما تفصيليا دقيقا ففرض كفاية يقوم به بعض المؤمنين عن المجتمع كله.

وهذا يقتضي منهجيا من الدولة المسلمة: العمل على إشاعة القران بالوسائل الإعلامية والتوجيهية المختلفة، ومواكبة تطور العصر في هذا السبيل.

علاقة البلاغ بالتلاوة والتعليم:

تقدم أن البلاغ هو الوصف المجمل لوظيفة النبي صلّى الله عليه وسلّم، ويزاد هنا توضيح ذلك:

فالبلاغ هو غاية التلاوة وهو باعث التعليم كما في قوله تعالى بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ (المائدة: 67) ، ولا يبلغه إلا إذا تلاه، ولا بد من الإبانة في محاور البلاغ الثلاثة: التلاوة، والتعليم، والتزكية ... وهذا البلاغ ينبغي أن يبقى متواصلا لكل الأجيال القادمة كما في قوله– تعالى ذكره–: «لأنذركم به ومن بلغ» ، فاقتضى هذا أمورا من حيث العملية التعليمية لألفاظ القران الكريم:

بقاء تلاوته بعد النبي صلّى الله عليه وسلّم ليحدث البلاغ.

أن تكون تلاوته بالطريقة ذاتها التي تلاه بها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من حيث أداء اللفظ الخارجي ومن حيث أداؤه الداخلي، وإن لم يكن هذا فما بلغت رسالة الله إلى العالمين.

أن يعلم النبي صلّى الله عليه وسلّم صحابته طريقة تلاوته للقران الكريم وحفظه وأدائه ليتم ذلك البلاغ المتواصل، وأن يعلمهم صلّى الله عليه وسلّم طريقة التعليم ليعلموا من بعدهم حتى يبقى البلاغ متصلا.

(1/30)

.. وبذا مضى خليل الله الأكرم صلّى الله عليه وسلّم معلم الناس أكرم كلام ... وخير هدي ونظام ... مضى يجذب القلوب إليه وهو يجري من فمه الطاهر الزكي عسلا مصفى ... يتلو ... ولتلاوته مذاق لم يتغير طعمه أبد الدهر ... فأنى عن حبه يبتعد اللاهون؟ وبمن غيره تستشفي نظرات المتيمين؟

قلبي– وحبّك للقلوب شفاء– ... بهواك يخفق، والهوى استهداء

يا من بعثت مسددا ومؤيدا ... و «محمدا» ، وزكت بك الالاء

الوحي وحي الله أنت مكانه ... وبيانه، وصراطه الوضاء
قرانه يهدي لأقوم منهج ... في العالمين، وايه غراء

المبحث الثاني: وظيفة التلاوة:
لما كانت تلاوة ألفاظ القران الكريم هي أساس الوظائف الاخرى ... فإن هذا يقتضي التوسع في شرح مفهوم التلاوة، وبيان أهميته، وحيزه الواقعي من وظيفة البلاغ ... ولتحقيق ذلك انقسم هذا المبحث إلى أربعة مطالب:

المطلب الأول: مدلول التلاوة:
المطلب الثاني: علاقة التلاوة بالتعليم: والمراد هنا هل التلاوة وظيفة تعليمية في ذاتها؟.
المطلب الثالث: المنهج المقرر للتلاوة والتعليم.
المطلب الرابع: قيامه صلّى الله عليه وسلّم بوظيفة تعليم القران على أوسع نطاق.
المطلب الأول: مدلول التلاوة:
اقترن هذا اللفظ (التلاوة) دون غيره من الألفاظ بقراءة القران الكريم لما له من دلالات تجعله دون غيره المعبر عن مراد الله عزّ وجلّ من القراءة، وأهم مدلولين لهذا اللفظ:

أولا: التلاوة
تعني القراءة: فتلوت القران تلاوة: قرأته، ومن ذلك قول الله جل جلاله: قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْراةِ فَاتْلُوها (ال عمران: 93) «1» ، وعمّ به بعضهم كل كلام؛ كما في قوله جل جلاله: فَالتَّالِياتِ ذِكْراً (الصافات: 3) سواء كانوا هم الملائكة، أو غيرهم ممن يتلو ذكر الله تعالى، وكما في قوله سبحانه وتعالى: وَاتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ (البقرة: 102) ؛ قال عطاء: على ما تحدّث

(1) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (13/ 510) .

وتقصّ، وقيل: ما تتكلم به كقولك فلان يتلو كتاب الله أي: يقرؤه ويتكلم به، ثم صارت التلاوة حقيقة عرفية في قراءة القران الكريم، وقد تكون قراءة لغيره لكن في النادر وعند التقييد بذلك «1» .
وسميت القراءة تلاوة لأن الايات أو الكلمات أو الحروف يتلو بعضها بعضا في الذكر، والتلو التبع «2» ، كما قال الثعالبي: «يقرؤنه حق قراءته، وهذا أيضا يتضمن الاتباع والامتثال» «3» ،

«فاستعملت التلاوة في القراءة لأنه يتبع بعض الكلام ببعض في حروفه حتى يأتي على نسقه» «4» ، وفي قوله سبحانه وتعالى:
هُنالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ (يونس: 30) ، قرأ حمزة والكسائي تتلو «من التلاوة أي تقرأ ذكر ما قدمت أو من التلو أي تتبع عملها فيقودها إلى الجنة أو إلى النار» «5» ، والتلاوة بمعنى القراءة من أعظم خصائص القران الكريم فالكتب المتقدمة لا يجب فيها هذه التلاوة «6» .

ثانيا: الاتباع:
إذ «التاء واللام والواو أصل واحد، وهو الإتباع. يقال: تلوته إذا تبعته» «7» .

---

(1) انظر: التبيان في تفسير غريب القران (ص 351) .
(2) التبيان في غريب القران (ص 82) ، مرجع سابق.
(3) (الثعالبي) عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الجزائري: الجواهر الحسان في تفسير القران (1/ 104) ، دار القلم، بيروت.
(4) انظر: القرطبي 1/ 369، مرجع سابق.
(5) تفسير البيضاوي المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل (3/ 195) .
(6) (القاضي عبد الجبار) قاضي القضاة عماد الدين أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد ت 415 هـ: تنزيه القران عن المطاعن، طبعت على نفقة: محمد سعيد الرافع– صاحب المكتبة الأزهرية– ط 1 1329 هـ– طبعت بمطبعة الجمالية بمصر.
(7) انظر: معجم مقاييس اللغة (1/ 181) ، مرجع سابق.

والمراد بالاتباع هنا أمران:

أ– الاتباع اللفظي:
بأن يتبع اللفظ اللفظ في قراءة القران الكريم على هيئة مخصوصة، فسميت قراءة القران تلاوة لأته يتبع اية بعد اية «1» ، ومنه جاءت الخيل تتاليا أي متتابعة «2» .

ب– الاتباع العملي:
ومنه تلا إذا اتّبع «3» فعلى قارئ القران يتبع في قراءته ما أنزله الله عز وجل، كما كان النبي صلّى الله عليه وسلّم يتبع ذلك إذا قرأه عليه جبريل عليه السّلام، ويقال: كان يتلو كتاب الله؛ هو الذي يقرؤه ويعمل بما فيه، فيكون تابعا له، والقران يكون سائقا له وقائدا «4» ، ومنه (فإذا قرأناه فاتبع قرانه) ، ويوضح ذلك قوله جل جلاله: وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتابَ (البقرة: 44) ففيه توبيخ عظيم لمن فهم، وتتلون تقرؤن الكتاب التوراة وكذا من فعل فعلهم وكان مثلهم، وفلان يتلو فلانا أي: يحكيه

ويتبع فعله «5» ، واتباعه هنا يكون بامتثال الأمر والنهي، وروى سفيان الثوري في تفسيره عن أبي رزين في قوله سبحانه وتعالى: يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ (البقرة: 121) قال: «يتبعونه حق اتباعه، ويعملون به حق عمله» ، وقال قتادة:
«هم أصحاب محمد صلّى الله عليه وسلّم آمنوا بكتاب الله، وعملوا بما فيه» «6» .

---

(1) انظر: معجم مقاييس اللغة (1/ 181) ، مرجع سابق.
(2) مختار الصحاح (ص 23) ، لسان العرب (14/ 102) .
(3) لسان العرب (14/ 102) ، مرجع سابق.
(4) انظر: (السخاوي) علم الدين علي بن محمد ت 643 هـ: جمال القراء وكمال الإقراء (1/ 91) ، مرجع سابق.
(5) انظر: لسان العرب (14/ 104) ، مرجع سابق.
(6) فتح الباري شرح صحيح البخاري (13/ 510) ، مرجع سابق.

وأما قول الله عزّ وجلّ: الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ (البقرة: 121) فشامل للمعنيين «1» ؛ إذ معناه يقرأونه حق قراءته ... ويعملون بما فيه فيتّبعونه حقّ اتّباعه «2» كما قال الغزالي:
«وتلاوة القران حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب، فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل، وحظ العقل تفسير المعاني، وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار، والائتمار. فاللسان يرتل، والعقل يترجم، والقلب يتعظ» «3» .
ثالثا: أن تكون القراءة في التلاوة على هيئة مغنّاة مخصوصة أي مرتلة ترتيلا مع التغني، ف «العرب تسمي المراسل في الغناء والعمل المتالي، والمتالي الذي يراسل المغنّي بصوت رفيع؛ قال الأخطل:
صلت الجبين كأنّ رجع صهيله ... زجر المحاول، أو غناء متال»
«4» كما تظهر المحاكاة في التلاوة ومحاولة التقليد المقطعي والتنغيمي، ومنه قولهم:
فلان يتلو فلانا أي يحكيه ويتبع فعله «5» .

---

(1) الصحيح أنه يجوز إرادة المعنيين بعبارة واحدة، وقد وضع الأصوليين بناء على ذلك أصولا، واستخرجوا للألفاظ دلالات، أشار المفسرون لذلك، وقد عقد الراغب الأصفهاني فصلا بعنوان: (فصل في جواز المعنيين المختلفين بعبارة واحدة) انظر: مقدمة التفسير (ص 425) .
(2) انظر: (السخاوي) علم الدين علي بن محمد ت 643 هـ: جمال القراء وكمال الإقراء (1/ 91) ، مرجع سابق.
(3) (الغزالي) أبو حامد محمد بن محمد ت 505 هـ: إحياء علوم الدين (1/ 287) ، دار المعرفة، بيروت.

(4) لسان العرب (14/ 102) ، مرجع سابق.
(5) انظر: لسان العرب (10/ 104) ، مرجع سابق.

العلاقة بين التلاوة والقراءة:

مما سبق يتبين أن العلاقة بين التلاوة القراءة علاقة عموم وخصوص وجهي، فكل منهما خاصة من وجه عامة من وجه اخر، فالتلاوة خاصة من الناحية العرفية بقراءة القران الكريم أو ما يماثله من الكتب المنزلة، عامة من حيث ضرورة اجتماع الاتباع اللفظي مع المعنوي، والقراءة عامة من حيث شمولها لكل مقروء كتابا منزلا أو غيره، خاصة في الأمر النظري دون المعنوي، وعلى هذا ينزل قول الراغب: «التلاوة الاتباع، وهي تقع بالجسم تارة، وتارة بالاقتداء في الحكم، وتارة بالقراءة وتدبر المعنى، والتلاوة في عرف الشرع تختص باتباع كتب الله تعالى المنزلة تارة بالقراءة، وتارة بامتثال ما فيه من أمر ونهي، وهي أعم من القراءة فكل قراءة تلاوة من غير عكس» «1» .

المطلب الثاني: علاقة التلاوة بالتعليم:

والمراد هنا هل التلاوة وظيفة تعليمية في ذاتها؟ وما خصائصها الدالة على ذلك؟.

التلاوة وظيفة تعليمية:

وذلك لأن مجرد إلقاء اللفظ القراني يتضمن الإشارة إلى السامع أن يؤمن به ويتعلمه من حيث هو قران، ويدعم هذه الحقيقة الواقعية من الناحية الشرعية قوله جل جلاله وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها (الإسراء: 110) كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ولا تجهر بصلاتك أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبون القران، ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم القران حتى يأخذوه عنك» » ، وفي هذا إيضاح لطبيعة الوظيفة التعليمية لألفاظ القران الكريم، وإصرار على تثبيتها في نفوس الملأ على أنها أساس وظائفه، وجوهر تبليغه.

---

(1) (الراغب) أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني ت 502 هـ: المفردات في غريب القران (ص 79) .
(2) ابن كثير (3/ 70) ، مرجع سابق، والحديث في صحيح ابن خزيمة (3/ 39) .

وإذا كان البلاغ أصل التعليم، فإن أول جزء في التعليم والبلاغ المبين هو إبانة لفظ القران الكريم تلاوة فردية على نفسه، ومتعدية بقراءته على الغير أو بتعليمه لهم.

من خصائص التلاوة التعليمية للقران الكريم عند النبي صلّى الله عليه وسلّم:
1- ألزم صلّى الله عليه وسلّم برفع صوته رفعا معتدلا تبين معه الايات حتى يستبين لسامعه مع سرية الدعوة أو اشتداد الأذى عليها فيؤخذ عنه، كما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما.
2- التكرار لتلاوة ألفاظ القران الكريم: للناس عامة، ويدل له التكرار في الكلام على مواقف الكفار من القران الكريم، كما في قوله عزّ وجلّ: وَإِذا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ (الانشقاق: 21) ، وقوله وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (فصلت: 26) ، فقد كانوا يشتطون في محاولة صرف الناس عن سماع كلام الله بالاستهزاء والسخرية حتى كان ذلك مبررا كافيا لرد اعتدائهم بالقتل فقد روى ابن جرير أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قتل يوم بدر صبرا عقبة بن أبي معيط وطعيمة بن عدي والنضر بن الحارث، وكان المقداد أسر النضر، فلما أمر بقتله قال المقداد: يا رسول الله! أسيري؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إنه كان يقول في كتاب الله عزّ وجلّ ما يقول» فأمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بقتله، فقال المقداد: يا رسول الله أسيري؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «اللهم أغن المقداد من فضلك» فقال المقداد: هذا الذي أردت. وفيه أنزلت هذه الاية وَإِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا قالُوا قَدْ سَمِعْنا لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هذا إِنْ هذا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ (الأنفال: 31) «1» .

(1) الطبري (9/ 231) ، مرجع سابق، ورواه أبو داود في المراسيل (ص 249) ، انظر: (أبو داود) سليمان بن الأشعث السجستاني ت 275 هـ: المراسيل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1408 هـ.

وكان النبي صلّى الله عليه وسلّم يكثر من تلاوة القران الكريم على من يبلغهم عامة، فيصل إلى شغاف من أراد الله بهم خيرا، ويحجب عن غفلة القلوب فكانوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً (الكهف: 101) ف «لعداوتهم النبي صلّى الله عليه وسلّم لا يقدرون أن يسمعوا ما يتلو عليهم» «1» .
3- نقله صلّى الله عليه وسلّم الوظيفة لأصحابه رضي الله عنهم تعبدا لجعل نطاق المستمعين أكثر: فقد قام الصحابة رضي الله عنهم بتلاوة القران الكريم على الناس منذ وقت مبكر فعن عائشة زوج النبي صلّى الله عليه وسلّم رضي الله عنها قالت: لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم طرفي النهار بكرة وعشية، فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا قبل الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة- وهو سيد القارة- فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر:
أخرجني قومي، فأنا أريد أن أسيح في الأرض فأعبد ربي، قال ابن الدغنة: إن مثلك لا يخرج، ولا يخرج، فإنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، وأنا لك جار، فارجع فاعبد ربك ببلادك. فارتحل ابن الدغنة فرجع مع أبي بكر فطاف في أشراف

كفار قريش فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله، ولا يخرج، أتخرجون رجلا يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق. فأنفذت قريش جوار ابن الدغنة وآمنوا أبا بكر، وقالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر فليعبد ربه في داره، فليصل وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك، ولا يستعلن به فإنا قد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا، فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر، فطفق أبو بكر يعبد ربه

(1) (الواحدي) أبو الحسن علي بن أحمد ت 468 هـ: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/ 673) ، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم- بيروت، ط 1، 1415 هـ.

في داره، ولا يستعلن بالصلاة ولا القراءة في غير داره، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجدا بفناء داره، وبرز فكان يصلي فيه ويقرأ القران، فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلا بكّاء لا يملك دمعه حين يقرأ القران، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم، فقالوا له: إنا كنا أجرنا أبا بكر على أن يعبد ربه في داره، وإنه جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره، وأعلن الصلاة والقراءة، وقد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا، فأته، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن ذلك فسله أن يرد إليك ذمتك، فإنا كرهنا أن نخفرك، ولسنا مقرّين لأبي بكر الاستعلان. قالت عائشة: فأتى بن الدغنة أبا بكر فقال: قد علمت الذي عقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن ترد إلى ذمتي، فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له. قال أبو بكر: إني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله. ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم يومئذ بمكة «1» .

وهذا يدل على أن القراءة العامة كانت مذ كان الوحي، ولم تكن قاصرة على الرسول صلّى الله عليه وسلّم.

4- زيادة التكرار على المؤمنين، ليحفظوها ويعوها كما قال سبحانه وتعالى: وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلى رَبِّهِمْ (الأنعام: 51) ، فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخافُ وَعِيدِ (ق: 45) مع أنه ينذر به إنذارا عاما كما في قوله جل جلاله: كِتابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرى لِلْمُؤْمِنِينَ (الأعراف: 2) ، وكما في قوله عزّ وجلّ: كَذلِكَ أَرْسَلْناكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِها أُمَمٌ لِتَتْلُوَا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ (الرعد: 30) .

(1) . البخاري (2/ 803) ، مرجع سابق.

5- أمر بمداومة التلاوة والحرص عليها كما في قوله سبحانه وتعالى: إِنَّما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَها وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (91) وَأَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ (النمل: 91- 92) ، اتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ (العنكبوت: 45) ، ف (اتل) هنا «أمر من التلاوة والدأب عليها» «1» .

6- كان يقرأ جميع القران في الصلاة وإن لم يرو حديثيا جزئيات تلك القراءة، لكن روي إجمالا ما يدل على ذلك فروى عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما قال: «ما من المفصل سورة صغيرة ولا كبيرة إلا قد سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يؤم بها الناس في الصلاة» «2» ، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أنزل الله عزّ وجلّ على رسوله صلّى الله عليه وسلّم المفصل بمكة، فكنا حججا نقرؤه لا ينزل غيره «3» .

وصف التلاوة في القران الكريم:

تكرر وصف مهمة النبي صلّى الله عليه وسلّم بتلاوة القران وحصرها في ذلك كما في قوله تعالى ذكره وَما كانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّها رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِنا (القصص: 59) ، وعرف الصحابة أن هذه الوظيفة هي أساس وظائفه كما كان يؤديها بمقتضياتها كما قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:

وفينا رسول الله يتلو كتابه ... إذا انشق معروف من الصبح ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالمشركين المضاجع «4»

---

(1) القرطبي 13/ 347، مرجع سابق.
(2) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد 2/ 114.
(3) سنن سعيد بن منصور 2/ 388، وإسناده قوي كما في التعليق على شرح مشكل الاثار 4/ 397.
(4) البخاري 1/ 387 ابن كثير 3/ 460، مرجعان سابقان.

ولا شك في المراد التعليمي مع القصد التعبدي المحض في هذه القراءة كما يقول (سير وليم موير) الذي نقل رأيه صاحب كتاب (حياة محمد) : «كان الوحي المقدس أساس أركان الإسلام، فكانت تلاوة ما تيسر منه جزا جوهريا من الصلوات اليومية عامة أو خاصة، وكان القيام بهذه التلاوة فرضا وسنة يجزى من يؤديهما جزاء دينيا صالحا ... لذلك وعت القران ذاكرة كثرة المسلمين الأولين إن لم يكونوا جميعا. وقد يسرت عادات العرب هذا العمل. فقد كانوا ذوي ولع بالشعر عظيم ... ولما كانت الوسائل لتحرير ما يفيض عن شعرائهم في غير متناول اليد، فقد اعتادوا أن ينقشوا هذه القصائد كما كانوا ينقشون ما يتعلق بأنسابهم وقبائلهم على صفحات قلوبهم، وبذلك نمت ملكة

الذاكرة غاية النمو ... وقد بلغ بعض أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم من قوة الذاكرة ودقتها، ومن التعلق بحفظ القران واستذكاره حدا استطاعوا معه أن يعيدوا بدقة يقينية كل ما عرف منه إلى يوم كانوا يتلونه» «1» .

ملامح تعليمية في حياة المعلم القدوة صلّى الله عليه وسلّم:
1- ظهر التأكيد على التلاوة في الايات المدنية، فالايات الأربع التي ذكرت فيها وظائف النبي صلّى الله عليه وسلّم الثلاث كلها في سور مدنية دلالة على أهمية إيلاء هذا الجانب أشد الاهتمام بعد تأمين الدولة الإسلامية، وليس معنى ذلك عدم الاستنفار لأداء هذه الوظيفة في عهد قبل ذلك بل المراد توسيع دائرة التعليم في هذا العهد، وابتكار محاضن فردية ومؤسسية له بحسب نمو المجتمع مدنيا، واتساعه جغرافيا، ولذا ورد المن بأن النبي صلّى الله عليه وسلّم إنما أرسل لأجل ذلك كما قال جل جلاله: كَما أَرْسَلْنا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ (البقرة: 151) .

(1) انظر: حياة محمد ليهكل بواسطة محمد طاهر عبد القادر الكردي المكي: تاريخ القران وغرائب رسمه وحكمه (ص 1) ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

2- أن هذه الوظيفة وظيفة مشتركة بين جميع الأنبياء، على أنه قد تميز بها النبي صلّى الله عليه وسلّم تميزا ظاهرا لتميزه بالقران ثم بالخاتمية، وقد حدد هذه الوظيفة ابتداء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام «1» .
3- أن النبي صلّى الله عليه وسلّم تأهل بالصفات التعليمية اللازمة للمعلم الكامل القدوة (النموذج) ، وعرف الصحابة عنه ذلك، ومما يؤشر في هذا السبيل: ما قاله معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه: «فلما صلّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فبأبي هو وأمي ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه، فو الله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني» «2» ، والمراد الإشارة إلى هذا المعلم من صفاته صلّى الله عليه وسلّم لا التفصيل.
4- كان النبي صلّى الله عليه وسلّم يجعل ذلك أول شيء يجب أن يتعلمه العبد عند إسلامه، وإن كان مقدار المحفوظ المعلّم يتفاوت بحسب الأهلية للتصدر معلّما دائما للإقراء، أو مسلما يجب عليه حفظ ورد معين ... ويوضح ذلك ما رواه سعد بن جنادة رضي الله عنه قال: كنت فيمن أتى النبي صلّى الله عليه وسلّم من أهل الطائف، فخرجت من أهلي من السراة غدوة، فأتيت منى عند العصر فصاعدت في الجبل، ثم هبطت فأتيت النبي صلّى الله عليه وسلّم فأسلمت، وعلمني قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (الإخلاص: 1) وإِذا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزالَها (الزلزلة: 1) وعلمني هؤلاء الكلمات: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وقال: «هن الباقيات الصالحات وفي رواية قل يا أيها الكافرون» «3» .

(1) انظر: ابن كثير (1/ 184) ، مرجع سابق.

(2) مسلم (1/ 381) ، مرجع سابق.
(3) الطبراني في الكبير (6/ 51) ، الحديث في مجمع الزوائد (7/ 166) ، مرجع سابق، وانظر: الإصابة (3/ 49) .

ويتضح مما سبق أن تعليم القران الكريم على الهيئة التي كانت في عهد النبي صلّى الله عليه وسلّم أفضل الأعمال: وقد أثبت النبي صلّى الله عليه وسلّم هذه الحقيقة بقوله: «خيركم من تعلم القران وعلمه» «1» ، ولا شك أن أول ما أمر النبي صلّى الله عليه وسلّم بتعليمه إنما كان تعليم ألفاظ القران الكريم كما في صريح تلك الايات المتقدمة، وهو أول جزء من أجزاء وظيفة البلاغ الذي أمر به في رسالته، وقد سئل الثوري– رحمه الله تعالى– عن الجهاد وإقراء القران فرجح الثاني واحتج بهذا الحديث.
فإن اعترض على كون تعليم القران الكريم أفضل أنواع التعليم بحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ذات يوم من بعض حجره، فدخل المسجد، فإذا هو بحلقتين إحداهما يقرؤون القران ويدعون الله، والاخرى يتعلمون ويعلّمون، فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: «كلّ على خير: هؤلاء يقرؤون القران ويدعون الله فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وهؤلاء يتعلمون ويعلّمون وإنما بعثت معلما» فجلس معهم «2» ، فدل هذا بظاهره على تقديم تعليم غير القران من أمور الشرع.
فالجواب: ليس في الحديث ذكر لتعليم القران الكريم في الحلقة الأولى بل غاية ما فيه ذكر قراءتهم للقران لا تعليم ألفاظه، وليس هذا مدار المسألة، على أن ذكر التعليم في الحلقة الثانية منصرف أول ما ينصرف إلى تعليم القران الكريم، ولذا طلب الأوس والخزرج من يعلّمهم القران الكريم، كما أن الرسول صلّى الله عليه وسلّم عندما طلب منه إرسال من يعلم القبائل كان يرسل معهم القراء، ويحمل على هذا الرواية الاخرى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مر بمجلسين في

(1) البخاري (4/ 1919) ، ابن حبان (1/ 324) ، الترمذي (5/ 173) ، مراجع سابقة.
(2) سنن ابن ماجه (1/ 83) .

مسجده فقال: «كلاهما على خير، وأحدهما أفضل من صاحبه: أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه والعلم، ويعلّمون الجاهل، فهم أفضل وإنما بعثت معلما» قال:

ثم جلس فيهم «1» ، وفي لفظ: دخل النبي صلّى الله عليه وسلّم المسجد وقوم يذكرون الله عزّ وجلّ، وقوم يتذاكرون الفقه، فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: «كلا المجلسين إلى خير، أما الذين يذكرون الله عز وجل ويسألون ربهم فان شاء أعطاهم وان شاء منعهم، وهؤلاء يعلّمون الناس ويتعلمون، وإنما بعثت معلما وهذا أفضل» فقعد معهم «2» .

وقد أمر صلّى الله عليه وسلّم بالصبر على ذلك، وكانت له الحلقات الخاصة للقراءة والإقراء: كما في قول الله– تعالى ذكره–: وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَالْعَشِيِّ (الكهف: 28) ، فقد قال بعض المفسرين فيها: «كان ذلك تعلّمهم القران وقراءته» «3» ، ويدل لهذا حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: إني لجالس ذات يوم في عصابة من ضعفاء المهاجرين، ورجل منا يقرأ علينا القران ويدعو لنا، وإن بعضنا لمستتر ببعض من العري وجهد الحال؛ إذ خرج علينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فلما راه قارئنا أمسك عن القراءة، فجاء وجلس إلينا، فقال بيده، فاستدارت له حلقة القوم فقال: «ألم تكونوا ترادون حديثا بينكم» قالوا: بلى يا رسول الله صاحبنا يقرأ علينا القران ويدعو لنا. قال: «فعودوا في حديثكم» فقال الرجل: يا رسول الله اقرأ وأنت فينا؟ قال: «نعم» . ثم قال: «الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن

---

(1) (الدارمي) أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن 255 هـ: سنن الدارمي (1/ 111) ، تحقيق: أحمد فواز زمرلي، خالد السبع العلمي، 1407 هـ، دار الكتاب العربي– بيروت.

(2) (الطيالسي) أبو داود سليمان بن داود الفارسي البصري ت 204 هـ: مسند الطيالسي (ص 298) ، دار المعرفة، بيروت.

(3) الطبري (7/ 205) ، مرجع سابق.

أصبر نفسي معهم» .. «1» .، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ذات يوم إلى المسجد، فوجد أصحابه عزين يتذاكرون فنون العلم، فأول حلقة وقف عليها وجدهم يقرؤون القران وجلس إليهم، فقال: «بهذا أرسلني ربي» ثم قام إلى الثانية فوجدهم يتكلمون في الحلال والحرام وجلس إليهم ولم يقل شيئا ثم قام إلى الثالثة فوجدهم يذكرون توحيد الله عز وجل ونفي الأشباه والأمثال عنه وجلس إليهم كثيرا ثم قال: «بهذا أمرني ربي» قال جابر: لأن التوحيد معرفة الله عز وجل، ومن لا يعرف توحيد الله فليس بمؤمن «2» .

المطلب الثالث: المنهج المقرر للتلاوة والتعليم:

بعد تقرير أن التلاوة وظيفة تعليمية في ذاتها ولكن للألفاظ فقط كالتعليم للكتاب الذي يزيد عليها في تفهيم المعاني لا بد من الكلام على المنهج الذي اختاره الله جل جلاله للبلا غ تلاوة وتعليما، وحدوده اللفظية «3» ، غير أننا نشير هنا إلى أن النبي صلّى الله عليه وسلّم علم أصحابه عمومية القران وعدم جعله مادة خاصة، لا يعلمها إلا المتخصصون «4» :

(1) (الطبراني) مسند الدنيا أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب ت 360 هـ: المعجم الأوسط (8/ 357) ، مراجعة: محمود الطحان، 1405– 1985، مكتبة المعارف– الرياض.
(2) (الأزدي) الربيع بن حبيب بن عمر البصري: مسند الربيع (ص 32) ، تحقيق محمد إدريس وعاشور بن يوسف، دار الحكمة، بيروت، ط 1، 1415 هـ ... وإسناد هذا الحديث والذي قبله بحاجة إلى مزيد نظر.
(3) انظر في مناقشة تعريف القران الكريم: تلقي النبي صلّى الله عليه وسلّم ألفاظ القران الكريم (ص 289) للمؤلف.
(4) والحديث عن القران من حيث هو قران لا عن القراات.

الحدود اللفظية للقران الكريم:

كانت سور القران وآياته النازلة معلومة معروفة، ومن ثم فحدوده باتت بدهية عند جملة المسلمين، وسوره النازلة يتابعها كل مسلم يكون قريبا من النبي صلّى الله عليه وسلّم، وذلك للتالي:
1– لأنه مادة البلاغ الأساسية: فليس للنبي صلّى الله عليه وسلّم من همّ صباح مساء إلا تبليغه تلاوة وتعليما: بلغ النبي صلّى الله عليه وسلّم القران الكريم بخصوصه، وغيره من أنواع الوحي كالحديث النبوي تابع له إيضاحا وتفسيرا غالبا، فالقران هو أساس البلاغ كما هو منهاج التعليم فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «كان رسول صلّى الله عليه وسلّم يعرض نفسه على النّاس في الموقف فقال ألا رجل يحملني إلى قومه فإنّ قريشا قد منعوني أن أبلّغ كلام ربّي «1» ، ولذا اشتد اهتمامه بإقراء القران: فهو وسيلة إنذاره وإبلاغه رسالته هي القران فبه ينطق، وبه يتكلم، وبه يخبر عن ماهية رسالته عندما يريد البيان، وبه يجادل، وبه يجاهد كما قال جل جلاله: لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ (الأنعام: 19) ، فمن بلغه هذا القران من عرب وعجم وأسود وأحمر وإنس وجان فهو نذير له ولهذا قال سبحانه وتعالى: وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ (هود: 17) ، ولا يكفرون به إلا بعد سماعه» «2» ، وهي في الدّلالة كقوله سبحانه وتعالى: تَبارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً (الفرقان: 1) فصارت المهمة في المقام الأول إبلاغ القران، ولما جادل عتبة بن ربيعة النبي صلّى الله عليه وسلّم لم يعد جواب النبي صلّى الله عليه وسلّم أن قرأ صلّى الله عليه وسلّم على عتبة بن ربيعة أوائل سورة فصلت لما أراد صلّى الله عليه وسلّم أن يرد عليه «3» .

(1) أحمد (3/ 390) ، الترمذي (5/ 184) وقال: «هذا حديث غريب صحيح» .
(2) ابن كثير (1/ 3) ، مرجع سابق.
(3) في حديث طويل أخرجه الحاكم (2/ 278) ، مرجع سابق، وصححه.

وكما أن القران بلاغ فهو بيان لسائر المكلّفين من النّاس من عرف لغة العرب منهم ومن لم يعرف، «وإن كان من لا يعرف لغة العرب يحتاج إلى أن يعرف معناه بلغته وينقل إلى لسانه» كما في قوله سبحانه وتعالى: هذا بَيانٌ لِلنَّاسِ (ال عمران: 138) ، وقال سبحانه وتعالى: إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ (التكوير: 27) فلما كان يخبرهم عن القران إنما كان يخاطبهم به عنه حتى كأنه بدهية معروفة بينهم، يعلمونها، ويعلمون حدودها كما لو كانت أسماءهم «1» .

ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلّم انقطع الوحي كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وإن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الان بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه وليس إلينا من سريرته شيء، الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوا لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال: إن سريرته حسنة» «2» ... وانقطاعه يعني كمال المنزل، وضرورة إبلاغه للعالمين، فالانقطاع دليل الكمال.

2- تكرير ذكره في مقام الإيصاء: ويتضح ذلك بذكره له في مقام الإيصاء ...

فلا يوصيهم بمجهول فعن أبي شريح الخزاعي قال: خرج علينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: «أبشروا وأبشروا أليس تشهدون ألاإله إلا الله وأني رسول الله؟» قالوا: نعم قال: «فإن هذا القران سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدا» «3» ،

وعن زيد بن أرقم قال:

قام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خمّا بين مكة والمدينة، فحمد الله،

---

(1) أتى الباحث في هذا المقام باية مكية، واية مدنية اختصارا وللدلالة على المراد.

(2) البخاري (2/ 934) ، مرجع سابق، ووردت مثل هذه العبارة عن أم أيمن فيما رواه مسلم (4/ 1907) .

(3) ابن حبان بترتيب ابن بلبان (1/ 329) ، وصححه الألباني في: صحيح الجامع الصغير (1/ 69) .

وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: «أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» (هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على ضلالة) فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال:

«وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» «1» ،

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلا جاءه فقال: أوصني فقال: «سألت عما سألت عنه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من قبلك» فقال: «أوصيك بتقوى الله، فإنه رأس كل شيء وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القران فإنه روحك في السماء وذكرك في

الأرض» «2» .
وهو عندما يوصيهم بذلك، ويكرر، ويؤكد ... أفتراه يوصيهم بمجهول، غير معلوم الماهية أو الحدود عندهم؟ وقد حصر وصيته بالكتاب الشريف، وأخبر صلّى الله عليه وسلّم أن «كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض» «3» ليدل على عمومه وشيوعه، وصيرورته من العلم العام بينهم، فمن لم يحفظه عرف ماهيته الجملية وحدوده العامة، بخلاف الحديث النبوي الذي لا يعلمه إلا الخاصة غالبا، وقد يعترض معترض هاهنا بقول النبي صلّى الله عليه وسلّم: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه لا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القران فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ... » «4» ، فالحديث يدل على

---

(1) مسلم (4/ 1873) ، مرجع سابق.
(2) مسند أحمد (3/ 82) ، مرجع سابق، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (1/ 498) ، مرجع سابق.
(3) مصنف ابن أبي شيبة (6/ 125) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (2/ 826) .
(4) أبو داود (4/ 200) ، مرجع سابق.

حجية السنة، وهذا صحيح وليس تقرير الباحث حول ذلك؛ إنما التقرير حول شيوع القران وصيرورته من العلم العام بين المسلمين وغيرهم، على أن هناك فرقا ضروريا بين علم القران وعلم الحديث أن القران محدود معلوم ومعروف يتردد في المحاريب أما الأحاديث فيعلمها الخاصة دون غيرهم.
3– القران هو معجزته التي قامت مقام العصا عند موسى عليه السّلام وأربت عليها، وقامت مقام إحياء الموتى عند عيسى عليه السّلام وأربت عليها ... لذاك لا يعرض على الناس مسلمهم وكافرهم إلا القران ... فصار شيوع العلم به، وبماهيته وحدوده كالعلم بهذه المعجزات ... وقد ذكر النبي صلّى الله عليه وسلّم ذلك فقال: «ما من الأنبياء نبيّ إلا أعطي ما مثله امن عليه البشر وإنّما كان الّذي أوتيت وحيا أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة» «1» .
4– حديث القران عن نفسه حديث يدل على شدة ظهوره بين الناس، كما في قوله هذا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ (إبراهيم: 52) ، وَإِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ (41) لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (فصلت: 41– 42) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (77) فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ (الواقعة: 77– 78) وَالطُّورِ (1) وَكِتابٍ مَسْطُورٍ (2) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (3) (الطور: 1– 3) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (196) (الشعراء: 196) إِنَّ هذا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولى (18) (الأعلى: 18) ، وقال: حم (1) وَالْكِتابِ الْمُبِينِ (2) (الزخرف: 1– 2) ، (الدخان: 1– 2) .
وقال الله تعالى: وَإِذا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا (الأعراف: 204) وقال سبحانه وتعالى: وَإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ

(1) البخاري (4/ 1905) ، مرجع سابق.

قالُوا أَنْصِتُوا (الأحقاف: 29) . وقال الله سبحانه وتعالى: قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقالُوا إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنا أَحَداً (الجن: 1- 2) .
5- تحديده كتابيا بشكل دقيق: حدد النبي صلّى الله عليه وسلّم القران الكريم مكتوبا على صورة دقيقة؛ فكان القران- كلام الله المنزل- محصورا معلوما معروفا لا يعتريه ريب ولا التباس عند المسلمين واليهود والنصارى وباقي العالمين، وهو الموجود بين الدفتين عندنا فيما عدا ما هو معلوم من أسماء السور، والتحزيب، وقد ورد تحديد هذا المنهج على لسان النبي صلّى الله عليه وسلّم، وأنه بين دفتين قبل أن يجمع بين دفتين فقد قدم أبو جمعة الأنصاري صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بيت المقدس ليصلي فيه، فلما انصرف خرجوا معه ليشيعوه، فلما أرد الانصراف قال: إن لكم جائزة وحقا أن أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قلنا: هات رحمك الله قال: كنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومعنا معاذ بن جبل عاشر عشرة، وفي لفظ: ومعنا أبو عبيدة بن الجراح فقلنا: يا رسول الله هل من قوم أعظم منا أجرا؟ امنا بك واتبعناك.
قال: «ما يمنعكم من ذلك ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم بين أظهركم يأتيكم الوحي من السماء؟ بلى قوم يأتون من بعدكم يأتيهم كتاب بين لوحين فيؤمنون به، ويعملون بما فيه، أولئك أعظم منكم أجرا، أولئك أعظم منكم أجرا، أولئك أعظم منكم أجرا» » .

(1) مسند الروياني (2/ 513) ، الاحاد والمثاني (4/ 152) ، الطبراني في الكبير (4/ 23) . تنبيه: عظم الأجر لا يعني زيادة الفضل، إذ لا شك أن أجور من بعد الصحابة للصحابة مثلها إلى يوم القيامة كما ثبت في مسلم، فلا يبلغ أحد مد أحد الصحابة ولا نصيفه ... ولعل الأجر المذكور على احاد الأعمال لا على جملتها ...

وترى النبي صلّى الله عليه وسلّم انتقل من ذكر الكتاب وتحديده بأنه بين لوحين إلى ذكر الإيمان به والعمل دلالة على ظهوره، ولا شك أن العمل به لا يكون إلا عن معرفته أي معرفة ما فيه.
و (علم القران) هو المصطلح العلمي المعروف لعلوم القرات والتجويد عند السلف:
فقد قال أهل العلم في تقسيم العلم: «العلوم الاعتقادية إما متعلقة بالنقل، أو فهم المنقول وتقريره وتشييده بالأدلة، أو استخراج الأحكام المستنبطة، فالنقل إن كان مما أتى به الرسول صلّى الله عليه وسلّم بواسطة الوحي فهو علم القران ... » «1» ، وقد يطلق على علم القران علم القراءة كما

يكثر هذا الاصطلاح في كشف الظنون «2» .

---

(1) أبجد العلوم، الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم 1/ 98. تنبيه: استخدم الباحث هذا المصطلح العلمي– علم القران– بدلا من مصطلح علم القراءة لانصراف الذهن عند سماع هذا الأخير إلى علم القرات مع أن نقل القران يدخل فيه دخولا أوليا وانظر ورود مصطلح علم القران على ألسنة العلماء مثلا في: (الهروي) أبو عبيد القاسم بن سلام ت 224 هـ: غريب الحديث (2/ 12) ، تحقيق: د. محمد عبد المعيدخان، دار الكتاب العربي، بيروت، 1396 هـ، وكذلك في: (ابن الجوزي) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي إبن عبيد الله بن حمادي بن أحمد بن جعفر ت 597 هـ: غريب الحديث (2/ 37) ، تحقيق: د. عبد المعطي أمين قلعجي دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1985 م، لسان العرب (9/ 41) ، مرجع سابق، وفي (11/ 130) قال ابن منظور تعليقا على حديث «إن من العلم جهلا» : «قيل وهو أن يتعلم ما لا يحتاج إليه كالنجوم وعلوم الأوائل ويدع ما يحتاج إليه في دينه من علم القران والسنة» ، وانظر: (ابن النديم) محمد بن إسحاق أبو الفرج ت 385 هـ: الفهرست (1/ 128، 1/ 326) ، دار المعرفة، بيروت، 1398 هـ– 1978 م، وتكرر هذا المصطلح في أبجد العلوم كثيرا، انظر: (2/ 52، 2/ 106، 2/ 303 ...) ، مرجع سابق.
(2) انظر: كشف الظنون (1/ 11، 1/ 15، 3/ 1317) ، مرجع سابق.

ويتضح أن (علم القران) هو أساس بقية العلوم:
في تقديم التلاوة على تعليم الكتاب والحكمة، فقد تكرر بذلك تعليم القران في التلاوة ثم في تعليم الكتاب لأن تعليم ألفاظ القران تدخل في ذلك دخولا أوليا، فهو أساس وظائف النبي صلّى الله عليه وسلّم، فالتلاوة أساس التعليم، والتعليم أساس التزكية كما في قوله عزّ وجلّ وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى إذ كان المطلوب من النبي صلّى الله عليه وسلّم أن يقرئ ابن أم مكتوم رضي الله عنه، وكان علم نقل اللفظ القراني أساس العلوم الشرعية الاخرى وعليها تأسس بناؤها ثم شمخ واشمخر، فالألفاظ أساس التفسير، والمباني أوعية المعاني، ولذا عرفوا علم التفسير بما يفيد شمول نقل علم اللفظ القراني: فقالوا: «هو العلم الباحث عن أحوال ألفاظ كلام الله سبحانه وتعالى من حيث الدلالة على مراد الله تعالى» «1» ، ففي كل ذلك يكون علم القران في مقدمات مصادر علم التفسير.
وكون الإقراء هو الأساس بالنسبة إلى تعليم العلوم الاخرى:
مما عرفه السلف فقد سئل ابن محيريز عن مسألة فقال للسائل: ما تصنع بالمسائل؟ قال: لولا المسائل لذهب العلم قال: لا تقل ذهب العلم، إنّه لا يذهب العلم ما قرئ القران ولكن لو قلت يذهب الفقه، وعن الوليد بن مسلم قال: كنا إذا جالسنا الأوزاعي فرأى فينا حدثا قال: يا غلام! قرأت القران؟ فإن قال: نعم قال: اقرأ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ (النساء: 11) ، وإن قال: لا! قال: اذهب تعلم القران قبل أن تطلب العلم، وعن أبي هشام الرفاعي يقول:

كان يحيى بن يمان إذا جاءه غلام أمرد استقرأه رأس سبعين من الأعراف، ورأس سبعين من يوسف فإن قرأه حدّثه وإلا لم يحدثه «2» .

---

(1) انظر: كشف الظنون (1/ 427) ، مرجع سابق.
(2) الجامع لأخلاق الراوي واداب السامع (1/ 80) .

ومجالس العلم التي كان يحييها الصحابة رضي الله عنهم تنصرف في الغالب للإقراء:
وغيره يأتي تبعا فقد قال بعض أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود وهو يقرئنا القران فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن هل سألتم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبد الله ما سألني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك.. «1» .، وعن أبي رجاء العطاردي قال: كان أبو موسى يقرئنا يجلسنا حلقا حلقا عليه ثوبان أبيضان، فإذا قرأ هذه السورة اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) (العلق: 1) قال: «هذه الاية أول سورة أنزلت على محمد صلّى الله عليه وسلّم» «2» .
ومن ناحية عقلية:
فقد اجتمعت ثلاثة أمور توجب في الضرورة العقلية البدء بتعليم ألفاظ القران الكريم، وصرف الأوقات إليه:
أحدها «من جهة الموضوع فإن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة.
وثانيها من جهة الغرض فإن الغرض منه الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية التي هي الغاية القصوى.
وثالثها من جهة شدة الحاجة فإن كل كمال ديني أو دنيوي مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى» «3» ولأن ألفاظ القران الكريم تكون حقيقة (القران) وماهيته، فهي أول العلم بكتاب الله ودينه مما يجعل تحديده يظهر ظهورا عاما على مستويين إجمالي، وتفصيلي.

---

(1) أحمد (1/ 398) ، مرجع سابق.
(2) مجمع الزوائد (7/ 139) ، مرجع سابق، وقال: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح» .
(3) أبجد العلوم (1/ 175) ، مرجع سابق.

من جهة أخرى: تنقسم العلوم الشرعية إلى نقلية وعقلية «وأصناف العلوم النقلية كثيرة؛ لأن المكلف يجب عليه أن يعلم أحكام الله سبحانه وتعالى المفروضة عليه وعلى أبناء جنسه، وهي مأخوذة من الكتاب والسنة بالنص أو بالإجماع أو بالإلحاق، فلا بد من النظر في الكتاب ببيان ألفاظه أولا، وهذه هي علوم أداء الألفاظ القرانية من تلقين وتجويد وإقراء.
ثم بإسناد نقله وروايته إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم الذي جاء به من عند الله سبحانه وتعالى واختلاف روايات القراء في قراءته وهو علم القرااات ... » «1» .

تعريف القران (المنهج التعليمي) :
وعلى هذا فكتاب الله سبحانه هو كلامه، وهو القران الذي نزل به جبريل عليه السلام على النبي صلّى الله عليه وسلّم، ولا يعترض على هذا بأن البعض قد ذهبوا إلى أن الكتاب غير القران، إذ هذا القول على غرابة فلسفته عن الدين، فهو مخالف لصريح القران الكريم؛ إذ يقول الله تعالى: وَإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (29) قالُوا يا قَوْمَنا إِنَّا سَمِعْنا كِتاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (الأحقاف: 29– 30) ، وقال فَقالُوا إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً (الجن: 1) فأخبر الله تعالى أنهم استمعوا القران وسموه قرانا وكتابا، وقال تعالى: حم (1) وَالْكِتابِ الْمُبِينِ (2) إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (الزخرف: 1– 3) سماه قرانا وكتابا وهذا مما لا خلاف فيه بين المسلمين وهو «ما نقل إلينا بين دفتي المصحف نقلا متواترا، وقيدناه بالمصحف

(1) وانظر: كشف الظنون (1/ 40) ، مرجع سابق، والكلام مأخوذ منه بتصرف وتغيير بما يوافق رؤية الباحث.

لأن الصحابة رضي الله عنهم بالغوا في نقله وتجريده عما سواه حتى كرهوا التعاشير والنقط كيلا يختلط بغيره فنعلم أن المكتوب في المصحف هو القران وما خرج عنه فليس منه؛ إذ يستحيل في العرف والعادة مع توفر الدواعي عل حفظ القران أن يهمل بعضه فلا ينقل أو يخلط به ما ليس منه» «1» ، واحد أول القران واخره من بدهيات الإسلام، فالقران هو الكتاب، وهو قول الله، وهو «الذي أجمع المسلمون عليه من السور والايات في القران» «2» .

المطلب الرابع: قيامه بوظيفة تعليم القران على أوسع نطاق:
تقدمت الإشارة إلى أن التلاوة وظيفة تعليمية بحد ذاتها، أضيف لها وظيفة التعليم التفصيلي للكتاب والحكمة ... فصار ملخص ذلك أن النبي صلّى الله عليه وسلّم إنما بعث معلما وهو ما ذكره النبي صلّى الله عليه وسلّم في قوله: «إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلما ميسرا» «3» ... ولذا قام بوظيفة تلاوة الكتاب وتعليمه على أوسع نطاق:

تلاوته صلّى الله عليه وسلّم على المشركين:
أما تلاوته صلّى الله عليه وسلّم القران على المشركين، فمن مؤشراته ما تقدم من ايات وأحاديث، وقد قرأ النبي صلّى الله عليه وسلّم سورة النجم على أهل مكة مسلمهم وكافرهم، فسجد فيها وسجد من معه «4» ...

---

(1) (ابن قدامة) موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي الدمشقي ت 620 هـ: روضة الناظر وجنة المناظر (2/ 62) ، مكتبة المعارف– الرياض.
(2) (الجويني) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف أبو المعالي إمام الحرمين ت 478 هـ: البرهان في أصول الفقه (1/ 366) ، تحقيق: د. عبد العظيم محمود الديب، دار الوفاء، المنصورة– مصر، 1418 هـ، ط 4.
(3) مسلم 2/ 1104، مرجع سابق.
(4) البخاري 1/ 363، مرجع سابق.

تعليمه صلّى الله عليه وسلّم القران للمسلمين:
وأما إقراؤه للمسلمين، فذلك دأبه ودينه، فكان يقرئ من استطاع من المسلمين بنفسه، وذلك ظاهر، وهو ما يشغل معظم يومه وليلته: فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مر بمجلسين في مسجده، فقال: «كلاهما على خير وأحدهما أفضل من صاحبه أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه فإن شاء أعطاهم وان شاء منعهم واما هؤلاء فيتعلمون الفقه والعلم ويعلمون الجاهل فهم أفضل وإنما بعثت معلما» قال ثم جلس فيهم «1» ، وقد سبق أن رأس التعليم الذي بعث له صلّى الله عليه وسلّم تعليم القران الكريم، وصرح النبي صلّى الله عليه وسلّم بذلك في قوله: «خيركم (وفي لفظ: إن أفضلكم) من تعلم القران وعلمه» «2» والتعليم ليس إلا الإقراء كما ثبت في الرواية الاخرى «خيركم من قرأ القران وأقرأه» «3» وكمثل تطبيقي على ذلك فإن سعد بن أبي وقاص روى أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «خياركم من تعلم القران، وعلم القران» ثم قال الراوي عن سعد: فأخذ بيدي وأقعدني هذا المقعد أقري «4» .
وعن أنس رضي الله عنه قال: أتى أبو طلحة أم سليم وهي أم أنس فقال: عندك يا أم سليم شيء؟ فإني مررت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يقرئ أصحاب الصفة سورة النساء وقد ربط على بطنه حجرا من الجوع ... الحديث «5» .

---

(1) ابن ماجه (1/ 83) ، الدارمي (1/ 111) ، مرجعان سابقان.
(2) البخاري (4/ 1919) ، مرجع سابق.
(3) الطبراني في الكبير (10/ 161) عن ابن مسعود.

(4) سنن سعيد بن منصور (1/ 102) ، مرجع سابق، الدارمي (2/ 529) ، مرجع سابق.
(5) الطبراني في الأوسط (3/ 267) ، مرجع سابق.

وقد كان جبريل عليه السّلام يقرئه الايات فيقرئ أصحابه من فوره ولئن سألوه عن المعنى لأحرى أن يستوثقوا من اللفظ قبل المعنى ومن ذلك ما ذكره أبو سعيد الخدري: لما نزلت وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ (الفجر: 23) تغير لون رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعرف في وجهه حتى أشتد على أصحابه ثم قال: أقرأني جبريل كَلَّا إِذا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (21) وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (22) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ (الفجر: 21– 23) .. «1» ..
وقد كان القراء والمقرئون أحب الناس إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقد سمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ضجة في المسجد يقرؤون القران ويقرئونه فقال: طوبى لهؤلاء! هؤلاء كانوا أحب الناس إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم «2» .

إرساله صلّى الله عليه وسلّم المقرئين لتأدية الوظيفة:
من لم يستطع صلّى الله عليه وسلّم أن يقرئه أرسل إليه المعلمين للقران الكريم إلى مختلف الأصقاع كوظيفة أساسية في بدء نشر الإسلام في أي منطقة: فعن أبي موسى رضي الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعث معاذا وأبا موسى إلى اليمن فأمرهما أن يعلّما النّاس القران «3» ، وإلى المدينة أرسل مصعب بن عميرو هو المقرئ الذي بعثه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى الأنصار يقرئهم القران بالمدينة قبل قدوم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأسلم معه خلق كثير «4» .

---

(1) انظر: القرطبي (20/ 55) .
(2) رواه الطبراني في الأوسط (7/ 214) .
(3) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 256) .
(4) الحاكم (3/ 728) ، مرجع سابق.

وكذلك كان يفعل مع البلاد المفتوحة، ومن ذلك أنه لما فتح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مكة استخلف عليها عتاب بن أسيد يصلي بهم وخلف معاذا يقرئهم ويفقههم «1» .
وعن أنس رضي الله عنه أن أهل اليمن قدموا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقالوا: ابعث معنا رجلا يعلّمنا كتاب ربّنا والسّنّة قال فأخذ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بيد أبي عبيدة فدفعه إليهم وقال: «هذا أمين هذه الأمّة» «2» ، ويعني باليمن هنا أهل نجران.

داخل بيته صلّى الله عليه وسلّم: وقد قام بذلك خير قيام داخل بيته كما قام خارجه: فقد كان الوحي ينزل داخل بيوت النبي صلّى الله عليه وسلّم، والقران يتلى كما قال سبحانه وتعالى: وَاذْكُرْنَ ما يُتْلى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آياتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ (الأحزاب: 34) ف آياتِ اللَّهِ القران ووَ الْحِكْمَةِ السنة «3» .

تعيينه صلّى الله عليه وسلّم عرفاء الإقراء:
وكان لضرورة إقرائه القران الكريم يدفع من قدم عليه إلى إمام من أئمة الإقراء فعن عبادة بن الصّامت رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يشغل فإذا قدم رجل مهاجر على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، دفعه إلى رجل منّا يعلّمه القران، فدفع إليّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رجلا، وكان معي في البيت أعشّيه عشاء أهل البيت فكنت أقرئه القران ... » «4» ، وهذا يدل أيضا على مقدار اعتناء الصحابة بحفظ القران الكريم، وتعلمه وتعليمه.

---

(1) سير أعلام النبلاء (1/ 447) .
(2) الحاكم (3/ 299) ، مرجع سابق، وقال: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بذكر القران» .
(3) تفسير الجلالين (ص 554) ، دار الحديث، القاهرة، ط 1، وانظر: القرطبي (14/ 182) ، الطبري (22/ 9) .
(4) أبو داود (3/ 265) ، الحاكم (3/ 401) ، أحمد (5/ 324) .

إقراؤه صلّى الله عليه وسلّم للجن:
حتى أقرأ الجن القران كما فعل مع الإنس فهو مرسل إلى الثقلين: فقد سئل علقمة تلميذ ابن مسعود: هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليلة الجن؟
قال فقال علقمة: أنا سألت ابن مسعود فقلت: هل شهد أحد منكم مع رسول الله صلّى الله عليه وسلم ليلة الجن؟ قال: لا ولكنا كنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ذات ليلة، ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب، فقلنا: استطير أو اغتيل. قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا: إذا هو جاء من قبل حراء، قال: فقلنا: يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم؟ فقال: «اتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القران» «1» ومعنى عدم حضوره الوارد في قوله: لم أكن ليلة الجن مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ووددت أني كنت معه «2» أي قربه مع النبي صلّى الله عليه وسلّم في المكان ذاته.
وقد بين النبي صلّى الله عليه وسلّم أن داعي الجن جاءه فأمره الله بالإجابة كما في رواية لابن حبان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «أمرت الليلة أن أقرأ على الجن واقفا بالحجون» «3» .
وقد اهتم الجن لذلك وفرحوا به حتى كادوا يكونون عليه لبدا فعن ابن عباس رضي الله عنه في الاية

قال: «لما سمعوا النبي صلّى الله عليه وسلّم يتلو القران كادوا يركبونه من الحرص لما سمعوه ودنوا منه ... وهو يصلي بأصحابه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده، فعجبوا من طواعية أصحابه فقالوا: لقومهم لَمَّا قامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ

(1) مسلم (1/ 332) ، مرجع سابق، وتتمته: قال: فانطلق بنا فأرانا اثارهم، واثار نيرانهم ...) .
(2) مسلم (1/ 333) ، مرجع سابق.
(3) موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان (1/ 438) .

كادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً (الجن: 19) » «1» ... ألا يكون الفرح في الإنس بكتاب الله أولى وأحرى.
ولم تكن قراءته صلّى الله عليه وسلّم عليهم لمرة واحدة بل تكررت فعن جابر رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على أصحابه، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى اخرها فسكتوا فقال: «لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم كنت كلما أتيت على قوله فبأي الاء ربكما تكذبان قالوا لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد» «2» ... فأين مردود الإنس– أخي– أين؟.

أمره صلّى الله عليه وسلّم للصحابة رضي الله عنه ومن بعدهم بتعليم القران وتبليغ الاي:
فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بتعليم القران وحثنا عليه.. الحديث «3» ، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «بلغوا عني ولو اية» » .
وكان الصحابة رضي الله عنهم يعرض بعضهم القران على بعض، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كنت أقرئ عبد الرحمن بن عوف.. «5» ..
ونعى صلّى الله عليه وسلّم على قوم عدم قيامهم بواجب التعليم العام فكيف يذهب التصور بشأن التعليم القراني؟، فعن عبد الرحمن بن أبزى رضي الله عنه قال:

(1) تفسير الشوكاني (5/ 313) ، دار الفكر، بيروت ... وهذا على أحد التفسيرين الواردين في الاية، وانظر: مفاتح فهم القران (ص 573) .
(2) الترمذي (5/ 399) .
(3) وقال في مجمع الزوائد (7/ 159) ، مرجع سابق: «رواه الطبراني وفيه سويد بن عبد العزيز وهو متروك وأثنى عليه هشيم خيرا وبقية رجاله ثقات» .
(4) البخاري (3/ 1275) ، مرجع سابق، وتتمته: «وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب

علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» .
(5) البخاري (6/ 2670) ، مرجع سابق.

«خطب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ذات يوم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر طوائف من المسلمين فأثنى عليهم خيرا، ثم قال: «ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم؟ ولا يعلمونهم؟ ولا يفطنونهم؟ ولا يأمرونهم؟ ولا ينهونهم؟ وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم؟ ولا يتفقهون؟ ولا يتفطنون؟ والله ليعلمن قوم جيرانهم، ويفقهونهم، ويفطنونهم، ويأمرونهم، وينهونهم، وليتعلمن قوم من جيرانهم، ويتفقهون، ويتفطنون، أو لأعاجلنهم العقوبة في الدنيا» .
ثم نزل فدخل بيته، فقال قوم: من ترونه عني بهؤلاء؟ قالوا: نراه عنى الأشعريين، هم قوم فقهاء، ولهم جيران جفاة من أهل المياه والأعراب، فبلغ ذلك الأشعريين، فأتوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقالوا: يا رسول الله، ذكرت قوما بخير، وذكرتنا بشر، فما بالنا؟
فقال: «ليفقهن قوم جيرانهم، وليفطننهم، وليأمرنهم، ولينهونهم، ولتيعلمن قوم من جيرانهم، ويتفطنون، ويتفقهون، أو لأعاجلنهم العقوبة في الدنيا» فقالوا:
«يا رسول الله أنفطن غيرنا؟» فأعاد قوله عليهم، فأعادوا قولهم: أنفطن غيرنا؟
فقال ذلك أيضا.
فقالوا: «أمهلنا سنة، فأمهلهم سنة ليفقهوهم، ويعلموهم، ويفطنوهم» .
ثم قرأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هذه الاية: لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلى لِسانِ داوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَكانُوا يَعْتَدُونَ (78) كانُوا لا يَتَناهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ ما كانُوا يَفْعَلُونَ (المائدة: 78– 79) «1» .

---

(1) الحديث قال فيه الألباني: «ضعيف ... » ، انظر: (الألباني) محمد ناصر الدين: أحاديث المزارعة والمؤاجرة والرد على المفترين على الصحابة والتابعين والعلماء (ص 41) ضمن كتاب البرهان في رد البهتان والعدوان، وانظر: عبد الفتاح أبو غدة: الرسول المعلم وأساليبه في التعليم (ص 15) ، وقد

[حثه ص تعليم الأجيال الناشئة القرآن الكريم أولا]
وكان صلّى الله عليه وسلّم يحث على أن تعلّم الأجيال الناشئة القران الكريم أول ما تعلّم:
فعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: كنت جالسا عند النبي صلّى الله عليه وسلّم فسمعته يقول: «تعلموا البقرة ... وإن القران يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك فيقول: أنا صاحبك القران الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت

ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته وإنك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا فيقولان:
عم كسينا هذا فيقال: بأخذ ولد كما القران، ثم يقال: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ حدرا كان أو ترتيلا» الحديث «1» .
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «يجيء القران يوم القيامة كالرجل الشاحب يقول لصاحبه: هل تعرفني أنا الذي كنت أسهر ليلك وأظمئ هواجرك وإن كل تاجر من وراء تجارته وأنا لك اليوم من وراء كل تاجر فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا وما فيها فيقولان يا رب أنى لنا هذا فيقال لهما بتعليم ولد كما القران» «2» .

قال في تخريجه: قال الحافظ ابن السكن: «إسناد هذا الحديث صالح» كما نقله في «كنز العمال» (3: 685) ، وقال الحافظ المنذري: رواه الطبراني في «الكبير» ، وقال الحافظ الهيثمي: «وفيه بكير بن معروف» ، قال البخاري: أرم به، ووثقه أحمد في رواية، وضعفه في أخرى، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به فعلى هذا يكون سند الحديث ضعيفا إن لم نعتد بالرواية عن أحمد في توثيقه، وإن اعتددنا بها فهو حديث حسن أو يقارب الحسن. وهذا الذي جزم به الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» فإنه أورده بلفظ «عن علقمة ... » الرسول المعلم (ص 17) .
(1) الحاكم (1/ 756) ، الدارمي (2/ 543) ، مرجعان سابقان.
(2) روى الدارمي نحوه 2/ 543، أحمد 5/ 348.

وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: «من قال سبحان الله العظيم نبت له غرس في الجنة، ومن قرأ القران فأكمله وعمل بما فيه ألبس والداه تاجا هو أحسن من ضوء الشمس في بيوت من بيوت الدنيا لو كانت فيه فما ظنكم بالذي عمل به» «1» ، وعن أبي هريرة يبلغ به النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «ما من رجل يعلم ولده القران في الدنيا إلا توج أبوه يوم القيامة بتاج في الجنة يعرفه به أهل الجنة بتعليم ولده القران في الدنيا» «2» .
والأحاديث يعضد بعضها بعضا، وهي تدل بدلالة الإشارة على الحض الشديد للوالدين على تعليم أولادهم القران، وتحفيظهما إياه وما يستتبع ذلك من العمل به، وهذا يوحي بضرورة أن تكون مادة القران الكريم جزا مستقلا من التعليم العام والتعليم العالي، وأن تكون مادة ملزمة لسائر
التخصصات، مع تفاوت الكمية المناسبة لكل بحسبه كلما أنتهي من جزء لفظي أو معنوي انتقل إلى غيره بحيث يبقى الجيل المسلم على صلة لا تنقطع بها.
ولذلك كله كان تعلم القران بدهية في حياة الصحابة رضي الله عنهم حتى صار مقياسا لغيره كما قال عمر رضي الله عنه: تعلموا الفرائض واللحن والسنة كما تعلمون القران «3» .

---

(1) أبو داود (2/ 170) ، مرجع سابق.
(2) الطبراني في الأوسط (1/ 100) .
(3) سنن البيهقي الكبرى (6/ 209) .

من المقتضيات المنهجية التعليمية لذلك في خطط التنمية الأساسية في البلاد الإسلامية:
1- رسم خطط استراتيجية في مجالات التربية والتعليم والتوجيه والثقافية والعلاقات الخارجية تشمل كيفية تبليغ القران الكريم وتعليمه، والوصول إلى حد الاكتفاء من المتخصصين في جوانبه المختلفة، وفروعه الدقيقة.
2- متابعة بعث المتقنين من القراء إلى الافاق للتأكد من نشر القران ومعرفة الواجب منه على الأقل، ومن تسلسل المنهجية عند عمر رضي الله عنه في ذلك ما جاء عن أبي موسى رضي الله عنه أنّه قال حين قدم البصرة: بعثني إليكم عمر بن الخطّاب أعلّمكم كتاب ربّكم، وسنّتكم، وأنظّف طرقكم «1» .
3- الاعتزاز والافتخار بوظيفة معلم القران الكريم، وعدم التصاغر من قبل القائم بها، وأن يقذف في وعي الأمة وإدراكها مقدار جلالة هذه الوظيفة، فتتغير النظرة السائدة الان على ضالة وظيفة معلم الصبيان.
4- أن تعطى هذه الوظيفة حقها من الرعاية والاهتمام سواء من حيث الرواتب الدائمة أو من حيث المحفزات المصاحبة، وحرصا عليها من الابتذال فيهتم بإعداد ملاكاتها التعليمية وفق بقية الصفات التي ستظهرها هذه الدراسة فتكون في مكانها اللائق.
هذا هو النبي صلّى الله عليه وسلّم ... صارخ في برية التيه التي سيطرت على العالم: يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً ... أبلغه للصغير

(1) الدارمي (1/ 149) ، مرجع سابق، وفي مجمع الزوائد (5/ 213) ، مرجع سابق: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح» .

والكبير، والإنس والجن، والرجال والنساء، والأعراب والأعاجم ... لم يترك تبليغ القول الثقيل في ليل أو نهار ... فذا ميراثه.. فأين هم ورثته؟ أين ورثته؟ ... لكنّ النور الذي نزل عليك قد عمّ انتشر ... يا رسول الله ... ف:
كيف ترقى رقيك الأنبياء ... يا سماء ما طاولتها سماء
أمع الصبح للنجوم تجل ... أم مع الصبح للظلام بقاء

وإذا ما تلا كتابا من الله ... تلته كتيبة خضراء
حبذا عقد سؤدد وفخار ... أنت فيه اليتيمة العصماء

(1/65)

المبحث الثالث: حكم تعلم القران الكريم وتعليمه:
وبعد ما تقدم لا بد من الخوض بشيء من التفصيل الفقهي في حكم تعليم القران وتعلمه وذلك في الجهتين اللتين تكونان الأمة، وهاتان الجهتان تشكلان مطلبين:
المطلب الأول: على النبي صلّى الله عليه وسلّم.
المطلب الثاني: على الأمة.

المطلب الأول: حكم تعلم القران على النبي صلّى الله عليه وسلّم:
بعث النبي صلّى الله عليه وسلّم معلما، وكان أول أدب قراني أدبه ربه سبحانه وتعالى به هو قوله جل جلاله:
اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ (العلق: 1) ، مع أنه ليس بقارئ ولا كاتب فيكون المراد بالقراءة التلاوة عن ظهر قلب ... وعلى هذا يكون تعلم القران الكريم وتعليمه جزا من حقيقة كونه نبيا، وهو يمثل ماهية رسالته ... فلا تتصور نبوته، ولا تتأتى حقيقة رسالته إلا بكونه متعلما للقران الكريم من جبريل عليه السّلام، معلما له للثقلين ...
وهذا من أعظم أدلة وجوب حفظ القران عليه، والحفظ يشكل أرقى صور تعلم كتاب الله تعالى، ولذا اشتد حرصه صلّى الله عليه وسلّم على استظهار القران وحفظه أنه كان يحرك لسانه فيه في أشد حالات حرجه وشدته حتى قال الله عزّ وجلّ فقال له في سورة القيامة لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ (القيامة: 16– 19) ، وقال جل جلاله له في سورة طه وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً (114) (طه: 114) ، «ومن هنا كان صلّى الله عليه وسلّم أول جامع للقران في قلبه الشريف، وسيد الحفاظ في عصره المنيف، ومرجع المسلمين في كل ما يعنيهم من أمر القران

(1/66)

وعلوم القران، وكان صلّى الله عليه وسلّم يقرؤه على الناس على مكث كما أمره مولاه وكان يحيي به الليل، ويزين الصلاة، وكان جبريل عليه السّلام يعارضه إياه في كل عام مرة وعارضه إياه في العام الأخير مرتين» «1» .
وأما تفصيل ذلك فقد أشير إليه في كتاب تلقي النبي صلّى الله عليه وسلّم ألفاظ القران الكريم

للمؤلف.

المطلب الثاني: حكم تعلم القران الكريم وتعليمه على الأمة:
أول مسألة في هذا الموضوع تتعلق بحفظ القران: هل هو واجب على أمة النبي صلّى الله عليه وسلّم؟
الجواب: نعم! والأدلة ذاتها الواردة على وجوب حفظ النبي صلّى الله عليه وسلّم عن ظهر قلب ترد هنا لعالمية الرسالة الزمانية والمكانية، والأمة هي التي تحمل هذه الرسالة بعده صلّى الله عليه وسلّم.
[حقيقتان]
وأما قوله سبحانه وتعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (الحجر: 9) ، وقوله جل جلاله لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ (الأنعام: 115) فخبر يدل على حقيقتين:

1- الحقيقة الخبرية:
حيث تكفل الله سبحانه وتعالى بالحفظ لكتابه فلا مبدل لكلماته، فتكفل الله بحفظه أي من كل ما يقدح فيه كالتحريف والزيادة والنقصان وغير ذلك حتى أن الشيخ المهيب لو غير نقطة يرد عليه الصبيان ويقولون له- أيا كان-: الصواب كذا «2» ، وأما التوراة فقال الله جل جلاله عن أحبارها بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ اللَّهِ (المائدة: 44) «فجعل حفظه إليهم فضاع» كما قال

(1) (الزرقاني) الشيخ محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القران (1/ 168) ، ط 3، 1943 هـ، دار إحياء الكتب العربية.
(2) انظر: روح المعاني (14/ 16) ، مرجع سابق.

سفيان بن عيينة «1» ، وأما القران فاستحفظه أهله مع تكفل الله بالحفظ، فإن يتول قوم من أهله عن ذلك استبدل الله بهم غيرهم، ولكن الاستحفاظ عام على الأمة جميعا، وهذا معنى ما قرره أهل العلم من أن جمع القران عن ظهر قلب فرض كفاية، مما سيأتي تفصيله بعد قليل- إن شاء الله تعالى-.

2- الحقيقة الإنشائية:
حيث أمر الله جل جلاله عباده بأن يحاولوا التشرف بالدخول في الأدوات الواقعية التي يحفظ الله بها كتابه، ومن هذا الباب فعل الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهم في الجمع الأول للمصحف بعد زمن الرسول صلّى الله عليه وسلّم، وفعل عثمان رضي الله عنه في الجمع الثاني، ولم يقولوا قد تكفل الله بحفظه فلا شأن لنا.
وعلى هذا التقرير يكون «المختار أن حفظ القران وإبقاءه كما نزل حتى يأتي أمر الله تعالى بالإعجاز وغيره مما شاء الله عز وجل، ومن ذلك توفيق الصحابة رضي الله عنهم لجمعه» «2» .

وتعلم القران الكريم وتعليمه على الأمة:
أمران مجتمعان لا ينفكان؛ إذ الجامع بين تعلم القران وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره جامع بين النفع القاصر والنفع المتعدي ولهذا كان أفضل الخلق كما قال النبي صلّى الله عليه وسلّم: «خيركم من تعلم القران وعلمه» «3» ، وهو من جملة من يدخل في قوله جل جلاله: وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صالِحاً وَقالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (فصلت: 33) «والدعاء إلى الله يقع بأمور شتى من جملتها تعليم

---

(1) القرطبي (10/ 6) ، مرجع سابق.
(2) روح المعاني (14/ 16) ، مرجع سابق.
(3) البخاري (4/ 1919) ، ابن حبان (1/ 324) ، الترمذي (5/ 173) ، مراجع سابقة.

القران، وهو أشرف الجميع وعكسه الكافر المانع لغيره من الإسلام كما قال سبحانه وتعالى:
فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآياتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْها» «1» .
وثاني مسألة: ما هو المقدار الواجب حفظه على الأمة من القران الكريم؟
والجواب: هذه المسألة ذات جهتين:
الجهة الأولى: تعلم شيء من القران تؤدى به الصلوات:
فهذا فرض عين إجماعا قطعيا عند الأمة، وهو أمران: سورة الفاتحة، ثم أي قدر من القران يجزئ بعدها، فقد قرر أئمة الفقه أنه « (يجب) أن يحفظ (منه) أي القران (ما يجب في الصّلاة) أي الفاتحة على المشهور، أو الفاتحة وسورة على مقابله» «2» ، ومن أهم المؤشرات في هذا الموضوع أنه لا يوجد أحد من الأمة يسقط عنه ذلك إلا العاجز الذي ورد في مثله حديث ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال: إني لا أحسن من القران شيئا فعلمني شيئا يجزئني منه، فقال:
«قل سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر» قال: هذا لربي فما لي؟
قال: «قل اللهم اغفر لي وارحمني وارزقني وعافني» «3» ، وقول الرجل (إني لا أحسن) معناه لا أستطيع التعلم كما في قوله في الرواية الاخرى: يا رسول الله إني لا أستطيع أن أتعلم القران فعلمني ما يجزئني من القران «4» حتى أوجب بعض العلماء على من لم يتعلم القران إلا بعد زمن أن يعيد جميع صلواته التي صلاها قبل تعلمه إن وجد للتعلم سبيلا قبل ذلك فلم يتعلم، ففي حلية العلماء:
«واتسع الزمان له

---

(1) فتح الباري (9/ 76) ، مرجع سابق.
(2) كشاف القناع عن متن الإقناع (1/ 429) ، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى (1/

500) .
(3) ابن حبان (5/ 116) ، مرجع سابق.
(4) صحيح ابن حبان (9/ 76) ، مرجع سابق، ابن خزيمة (1/ 273) ، مرجع سابق، أبو داود (1/ 220) ، مرجع سابق.

ووجد من يعلمه فصلى بغير القراءة وجب عليه إعادة ما صلى إذا تعلم القران وفي قدر ما يعيده وجهان أصحهما أنه يعيد كل صلاة صلاها إلى أن تعلم» «1» ، كما أوجبوا على الحائض المتحيرة مراجعة القران خوف النسيان «2» ، وفي هذا قرر أهل العلم أن تعليم الواجب العيني من القران واجب عيني تحرم عليه الأجرة، واختلفوا فيما بعد ذلك.
الجهة الثانية: تعلم ما فوق ذلك وتعليمه:
ينبغي أن يشار هنا إلى أن مسألتي التعليم والتعلم مرتبطتان ارتباطا لا ينفك، فلا تفرد مسألة التعلم عن مسألة التعليم، وكل دليل لهذه هو دليل لأختها.
والصورة العليا لهذه الجهة: أن يتعلم المرء جميع ألفاظ القران وأن يحيط بجوانبها اللفظية المختلفة، إذ «المقصود من التّعليم للقران أن يكون حفظا وإتقانا لقوانينه من إخفاء وإظهار ونحوهما وتعليم مخارج الحروف» «3» ، فقد علمهم النبي صلّى الله عليه وسلّم أن هذا فرض كفاية على الأمة، ولكن ثم نوع من التلاوة التي تقتضي التعليم والتعلم هو واجب عيني على المكلفين وهو القراءة لأقل شيء لا يكون به القران مهجورا «4» ، ... وقرر ذلك السيوطي– رحمه الله تعالى– فقال: «اعلم أن حفظ القران فرض كفاية على الأمة صرح به الجرجاني في الشافي والعبادي وغيرهما ...
وتعليمه أيضا فرض كفاية» «5» وقال في كشف القناع: «وحفظه فرض كفاية

(1) حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء (2/ 92) .
(2) حاشية البجيرمي على شرح منهج الطلاب (التجريد لنفع العبيد) (1/ 140) ، المكتبة الإسلامية، ديار بكر– تركيا.
(3) (أطفيش) محمد بن يوسف بن عيسى أطفيش: شرح النيل وشفاء العليل (في الفقه الأباضي) (1/ 354) .
(4) وهل تكفي القراءة في الصلاة لئلا يكون القران مهجورا؟ فيه نظر.
(5) الإتقان في علوم القران (1/ 264) .

إجماعا» «1» ، وقال في حاشية البجيرمي: «تعلّم القران فرض كفاية بأن تحفظه على ظهر قلب» «2» ، وقرر الزركشي– رحمه الله تعالى– أنه «إذا لم يكن في البلد أو القرية من يتلو القران أثموا بأسرهم» «3» ، وهذا الذي عناه ابن الجزري– رحمه الله تعالى– بقوله: «تعلم القراءة فرض كفاية فإن لم يكن من يصلح له إلا واحد تعين عليه، وأن كان جماعة يحصل المقصود ببعضهم فإن امتنعوا كلهم أثموا، وإن قام به بعضهم سقط الحرج عن الباقين» «4» ، ومن جملة شواهد تعليم النبي صلّى الله عليه وسلّم لهم ذلك غير ما تقدم:

1– علمهم النبي صلّى الله عليه وسلّم أن الله سبحانه وتعالى يأمرهم بأن تكون حالة حفظ القران (تعلمه) وتعليمه هي صفتهم الدائمة كأمة في قوله سبحانه وتعالى: وَلكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِما كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتابَ وَبِما كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (ال عمران: 79) ، فقد قال الضحاك في هذه الاية: «لا ينبغي لأحد أن يدع حفظ القران جهده فإن الله سبحانه وتعالى يقول:

وَلكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ» «5» .

2– علمهم النبي صلّى الله عليه وسلّم أن الله عزّ وجلّ يأمرهم بقراءة القران وذلك لا يكون دون تعليم وتعلم، وذلك في قوله جل جلاله: فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ (المزمل: 20) ، فقد قيل في تأويلها: «إن المراد به قراءة القران في غير الصلاة» «6» ، والصحيح أن الأمر هنا فيه تفصيل فلا يقال بأنه للوجوب مطلقا ولا للاستحباب مطلقا بل هو للوجوب في حالتين:

---

(1) كشف القناع عن متن الإقناع (1/ 235) مرجع سابق.

(2) حاشية البجيرمي على الخطيب في الفقه الشافعي (تحفة الحبيب على شرح الخطيب) (1/ 229) .

(3) تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي (8/ 150) .

(4) منجد المقرئين ومرشد الطالبين (ص 14) .

(5) تفسير القرطبي (4/ 122) ، مرجع سابق.

(6) تفسير القرطبي (19/ 58) ، مرجع سابق.

الأولى: لأقل ما لا يطلق عليه هجرا للقران الكريم، وهذا في حق جميع الأمة.

الثانية: وللوجوب له جميعا على من يؤدى بهم فرض الكفاية، وللاستحباب فيما عدا ذلك، وقد قيل بأنه للوجوب مطلقا لأن المراد قراءته ولا يلزمه إذا قرأه وعرف إعجازه ودلائل التوحيد منه أن يحفظه «لأن حفظ القران من القرب المستحبة دون الواجبة» «1» وهذا قريب من التفصيل المذكور إن لم يكن هو. وأما مقدار ما تضمنه هذا الأمر من القراءة فورد فيه خمسة أقوال: أحدها جميع القران لأن الله تعالى يسره على عباده قاله الضحاك، الثاني ثلث القران حكاه جويبر، الثالث مائتا اية قاله السدي الرابع مائة اية قاله ابن عباس الخامس ثلاث ايات كأقصر سورة قاله أبو خالد الكناني» «2» ، والظاهر أن القدر المطلوب هو ما لا يعد به عرفا هاجرا للقران، ولا مستهينا به، على أن

الترك الذي يسمى هجرا لا يحتاج إلى استحضار نية، بل العمل فيه دليل عليه، وإن لم يقصد ...
وسبب هذا الترجيح القرائن التي تتمثل بكل ما في هذا الكتاب من أدلة تبين عظمة القران ومكانته، وحرمة هجره.
3- وَقالَ الرَّسُولُ يا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً (الفرقان: 30) ، ومهجورا مفعول ثان أي صيروا القران مهجورا بإعراضهم عنه «3» بأن «تركوه وصدوا عنه وعنه صلّى الله عليه وسلّم: «من تعلم القران وعلق مصحفه ولم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني

---

(1) تفسير القرطبي (19/ 58) ، مرجع سابق.
(2) تفسير القرطبي (19/ 58) ، مرجع سابق.
(3) التبيان في إعراب القران (2/ 162) .

وبينه» «1» ، فإن هجر القران أنواع ومنها: هجر تعلمه ثم تلاوته، وسماعه والإيمان به، والإصغاء إليه «2» .
والاية توجب تعلم القران بطريق أسلوب الحكيم، حيث يظهر فيها التهديد على الهجر، وتسمية فاعله من المجرمين عند توضيح دعاء الرسول؛ إذ قال تعقيبا على دعاء الرسول صلّى الله عليه وسلّم الذي جاء بصيغة شكوى: وَكَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ (الفرقان: 31) ، فبين أن من هجر القران فهو من أعداء الرسول صلّى الله عليه وسلّم، وأن هذه العداوة أمر لابد منه ولا مفر عنه» «3» ، كما أن هذا الفعل فيه تشبه بالمشركين الذين هجروا القران وأعرضوا عنه ولم يسمعوا له فهم كما قال الله جل جلاله: وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ (الأنعام: 26) «4» ؛ ولذا جاء عن الأوزاعي قال: كان يعجبهم النظر في المصحف بعد القراءة هنيهة، قال بعضهم:
وينبغي لمن كان عنده مصحف أن يقرأ فيه كل يوم ايات يسيرة ولا يتركه مهجورا «5» .
ملحوظة: يتضح من الدليلين السابقين أن حفظ القران أو النظر الدوري فيه ملزم لكل أفراد الأمة حتى لا يحدث الهجر له، وحتى يقرأ ما تيسر منه امتثالا للأمر الذي تكرر مرتين في اية واحدة هي الاية الأخيرة من سورة المزمل ... دلالة على التأكيد والأهمية مع إعلام الله عزّ وجلّ للقوم أنه يعلم تشتت أحوالهم الدنيوية، وعلى الرغم من ذلك فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ، وهذا أمر عام لكل قطاعات الأمة يتطلب بذل الوسائل المتاحة لتعميم التعليم القراني.

---

(1) تفسير البيضاوي (4/ 215) ، مرجع سابق، والحديث المذكور ذكره البيضاوي ولم أعثر عليه.
(2) وانظر: الفوائد (ص 82) .
(3) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية (4/ 106) .

(4) وانظر: الطبري (19/ 9) ، مرجع سابق.
(5) انظر: (الزركشي) : البرهان في علوم القران (1/ 463) .

4- الأمر الصريح بتعلم كتاب الله سبحانه وتعالى، مع إجماع الأمة على أن الوجوب كفائي: ومن هذه الأوامر: قوله «تعلموا القران، واقرؤه (وفي لفظ: فاقرؤوه، وفي لفظ للترمذي: وأقرئوه «1» » ...) فقوله (تعلموا القران) «أي لفظه ومعناه» «2» ، والفاء في قوله (فاقرأوه) كحرف العطف (ثم) في قوله سبحانه وتعالى: وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ (هود: 3) ، أي تعلموا القران، وداوموا تلاوته، والعمل بمقتضاه يدل عليه، والدلالة في الحديث تصريحا وتشبيها واضحة على الأمر بتعلم القران وتعليمه، وإنما تترتب تلاوته وقراءته على ذلك.
5- أن ذلك التعلم والتعليم هو حقيقة الرسالة النبوية لسيدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم، توجد بوجوده، وتنتفي بانتفائه.. وهو قد أرسل للعالمين نذيرا كما في قول الله سبحانه وتعالى: وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ (الأنبياء: 107) ، والشيء الذي أمر بتبليغه والإنذار به هو القران كما في قوله جل جلاله: تَبارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً (الفرقان: 1) ، وما سبق من إيضاح لحقيقة وظيفة البلاغ للنبي صلّى الله عليه وسلّم يفصل هذا المعنى، ولأنه مات صلّى الله عليه وسلّم فلا يستطيع تجاوز حدود الزمان والمكان فإن أتباعه يدعون إلى سبيله قُلْ هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي (يوسف: 108) ، وهذا يدل على وجوب تعلم القران عليهم وتعليمه، ولذا خص الاية بذكر البلاغ في قوله (بلغوا عني ولو اية) مع أنه قد يبلغ غيرها من الأحاديث مثلا، وقد سبق أن تبليغ القران هو الأصل كما في قول الله جل جلاله: لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ (الأنعام: 19) ، وسمى الله جل جلاله القران بلاغا هذا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ (إبراهيم: 52) .

---

(1) الترمذي (5/ 156) ، مرجع سابق.
(2) تحفة الأحوذي (8/ 150) ، مرجع سابق.

6- كل أصل عقدي، أو حكم فقهي، أو قاعدة شرعية ... يحتاج إلى القران، ويفتقر إليه، فأي دليل يساق على وجوب العلم، أو العمل بشيء من ذلك هو دليل على وجوب تعلم القران الكريم، وتعليمه، ولذا قال ابن تيمية- رحمه الله تعالى-: «فإن إعانة المسلمين بأنفسهم وأموالهم على تعلم القران وقراءته وتعليمه من أفضل الأعمال» «1» .
7- أن ذلك من النصيحة المطلوبة لكتاب الله سبحانه وتعالى كما قال صلّى الله عليه وسلّم: «الدين

النصيحة قلنا لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم» «2» ، كما قرر الطحاوي- رحمه الله تعالى-: «أنّ ذلك عندنا على تعليم كتابه ... » «3» .

8- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «تعلموا القران وعلموه الناس ... » «4» ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه وأبي بكرة نحوه «5» ورواه الدارقطني عن أبي سعيد أيضا ولكنه قال: «تعلموا العلم ... » بدلا من «القران» «6» ، وبقية الحديث مثل حديث ابن مسعود ... وهو يدل على ما هو معلوم من كون القران مصدر العلم والبصيرة والبيان.

9- وكتب معاوية إلى عبد الرحمن بن شبل أن علم الناس ما سمعت من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فجمعهم فقال إني سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: «تعلموا القران

---

(1) ابن تيمية (24/ 316) ، مرجع سابق.

(2) البخاري معلقا (1/ 30) ، مسلم (1/ 74) ، ابن حبان (10/ 435) ، الترمذي (4/ 324) ، مراجع سابقة.

(3) (الطحاوي) أحمد بن محمد بن سلامة مشكل الاثار (2/ 300) ، دار الكتب العلمية.

(4) رواه (النسائي) السنن الكبرى (4/ 63) .

(5) الطبراني في الأوسط (4/ 237) ، مرجع سابق.

(6) سنن الدارقطني (4/ 82) .

فإذا علمتموه فلا تغلوا فيه ولا تجفوا عنه ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به» فذكر الحديث «1» .

وقد كثر في الأحاديث تكرار الأمر (تعلموا القران، تعلم كتاب الله ...)

ونكتفي بما سبق.

معنى الكفائية في هذا الفرض:

أي «هل يشترط في كلّ ناحية، تعلّم واحد أو لا بدّ من جمع بحيث يظهر حفّاظه، أو لا بدّ في كلّ بلد من ذلك؟» «2» ، بين أهل العلم أن معنى فرض الكفاية هنا «ألا ينقطع عدد التواتر فيه فلا يتطرق إليه التبديل والتحريف، فإن قام بذلك قوم يبلغون هذا العدد سقط عن الباقين وإلا أثم الكل، وتعليمه أيضا فرض كفاية» «3» ، بل ذكروا ضرورة الاحتياط بموت بعض هذا العدد أو نسيانهم؛ ومما قرروه هنا أنه ينبغي أن يكون حافظ القران كالقاضي والمفتي في لزوم وجودهما، وهذا مما يرفع من مكانة الحافظ، ويجعله شديد الاعتزاز بما عنده في غير غرور «4» .

تفريعات على هذه المسألة:

استنبط العلماء من الأدلة السابقة وأمثالها عدة أمور تعليمية في المنهجية النبوية في علم القراءة، منها:

(1) أحمد (3/ 428) ، شرح معاني الاثار (3/ 18) ، مرجعان سابقان وقال في مجمع الزوائد (4/ 95) ، مرجع سابق: «رواه أحمد وأبو يعلي باختصار والطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات» ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (260) ، مرجع سابق، وانظر: لمحات الأنوار رقم (507) ، مرجع سابق.
(2) حاشية البجيرمي على الخطيب (1/ 345) ، مرجع سابق.
(3) الإتقان (1/ 264) ، مرجع سابق.
(4) حاشية البجيرمي على الخطيب (1/ 345) ، مرجع سابق.

1- قرروا أنه يجوز للحائض: «القراءة للتعلم لأن تعلم القران من فروض الكفايات وينبغي لها جواز مس المصحف وحمله إذا توقفت قراءتها عليهما» «1» .
2- أكدوا على تقديم حفظ القران على غيره من العلوم الكفائية فقد «سئل شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله تعالى-: أيّما طلب القران أو العلم أفضل؟ فأجاب: أمّا العلم الّذي يجب على الإنسان عينا كعلم ما أمر الله به، وما نهى الله عنه، فهو مقدّم على حفظ ما لا يجب من القران، فإنّ طلب العلم الأوّل واجب، وطلب الثّاني مستحبّ، والواجب مقدّم على المستحبّ. وأمّا طلب حفظ القران: فهو مقدّم على كثير ممّا تسمّيه النّاس علما: وهو إمّا باطل، أو قليل النّفع، وهو أيضا مقدّم في التّعلّم في حقّ من يريد أن يتعلّم علم الدّين من الأصول والفروع، فإنّ المشروع في حقّ مثل هذا في هذه الأوقات أن يبدأ بحفظ القران، فإنّه أصل علوم الدّين» «2» .
3- ولكن لابد للباحث أن يكرر أن المراد بحفظ القران هنا هو على المنهجية النبوية التي يقوم هذا البحث بتوضيحها لا على المنهجية السائدة من بتر المحفوظ عن معانيه أو العمل به على ما سيأتي تفصيله في الفصول القادمة- إن شاء الله تعالى-.
4- كما قرروا أن «تعلّم بواقي القران أفضل من صلاة التّطوّع» «3» .

أثر ذلك في حياة الصحابة رضي الله عنهم:
ما سبق وأمثاله- وهو كثير «يحفز الهمم ويحرك العزائم إلى حفظ القران، واستظهاره والمداومة على تلاوته» «4» فضلا عن تعلم شيء منه.

(1) انظر: حاشية البجيرمي على شرح منهج الطلاب (1/ 140) ، مرجع سابق.
(2) الفتاوى الكبرى (1/ 212) .
(3) بريقة محمودية (1/ 245) ، مرجع سابق.
(4) مناهل العرفان (1/ 207) ، مرجع سابق.

وكان تعلم القران هو الأصل، بل هو بدهية إسلامية في مجتمع المسلمين، ويظهر هذا من قول عمر رضي الله عنه: تعلموا الفرائض واللحن والسنة كما تعلمون القران «1» ، فجعل تعلم القران هو الأصل الذي يتم بناء عليه القياس، فمن هنا هب الصحابة «هبة واحدة يحفظون القران ويفهمون القران ويعملون بالقران وينامون ويستيقظون على القران، نقرأ في القران الكريم قوله سبحانه إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللَّهِ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجارَةً لَنْ تَبُورَ (29) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (فاطر: 29– 30) ، فتأمل كيف قدم تلاوة القران على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة» «2» ، وكانوا يقلون من الحديث عن رسول الله رضي الله عنه، «وكأن ابن عمر اتبع رأي أبيه في ذلك فإنه كان يحض على قلة التحديث عن النبي صلّى الله عليه وسلّم لوجهين أحدهما خشية الاشتغال عن تعلم القران» «3» .

تسلسل المنهجية:

وكان هذا هو منهج أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم مع تلاميذهم حثا على تعلم القران وتلاوته فقد كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: «تعلموا القران، واتلوه، تؤجروا بكل حرف عشر حسنات أما إني لا أقول الم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» «4» ، وعنه رضي الله عنه قال: «يا أيها الناس تعلموا القران فإن أحدكم لا يدري متى يخيل إليه» ، وأتى بمصحف قد زيّن بذهب فقال رضي الله عنه: «إن أحسن ما زين به المصحف تلاوته بالحق» «5» .

---

(1) الدارمي (2/ 441) ، مرجع سابق، البيهقي في الكبرى (6/ 209) .
(2) مناهل العرفان (1/ 205) ، مرجع سابق.
(3) فتح الباري (13/ 243) ، مرجع سابق.
(4) سعيد بن منصور في سننه (1/ 35) ، ابن أبي شيبة (6/ 118) ، مرجعان سابقان.
(5) مصنف عبد الرزاق (4/ 323) .

كما حث أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على قراءة للقران يكون معها المرء غير هاجر لكتاب الله فقد أخرج ابن أبي داود عن ابن عمر رضي الله عنه قال: «إذا فرغ الرجل من حاجته ثم رجع إلى أهله ليأت المصحف فليفتحه فليقرأ فيه فإن الله سيكتب له بكل حرف عشر حسنات أما أني لا أقول ألم ولكن الألف عشر واللام عشر والميم عشر» ، وعن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: «إن استطعت أن تقرب إلى الله عز وجل فإنك لا تقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه» «1» .

وبذا تتوافر أدوات الحفظ الواقعي المعجز للقران الكريم، وهذا جعل واحدا من المستشرقين المعاصرين يقول عن القران الكريم: «فبين أيدينا كتاب معاصر فريد في أصالته وفي سلامته لم يشك في صحته كما أنزل أي شك جدي، وهذا الكتاب هو القران، وهو اليوم كما كان يوم كتب لأول مرة تحت إشراف محمد، وعلى الرغم من أن الأفكار قد دونت في الرقاع وسعف النخل، والعظام في لحظات غريبة فالسور والايات الأصلية قد حفظت ... وهذا الكتاب ليس مجموعة أحاديث أو تقارير يفترض فيها أن محمدا قد قالها فهي نفس الايات التي أملاها بنفسه يوما بعد يوم، وشهرا بعد شهر خلال حياته ... والمهم هو أن القران هو العمل الوحيد الذي عاش أكثر من اثني عشر قرنا دون أن يبدل فيه، ولا يوجد شيء يمكن أن يقارن بهذا أدنى مقارنة في الديانة المسيحية» «2» .

---

(1) الحاكم (2/ 494) ، مرجع سابق.
(2) هو المستشرق الأمريكي (ف. بودلي) . انظر: عماد الدين خليل (دكتور) : الإسلام والوجه الاخر للفكر الغربي (قراات) (ص 50) ، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1418 هـ/ 1997 م.

الفصل الثاني: أصول تعليم النبي صلّى الله عليه وسلّم أصحابه ألفاظ القران:
يناقش هذا الفصل أصول تعليم اللفظ القراني عند النبي صلّى الله عليه وسلّم، وهي تقوم على أربعة محاور:
تعليمهم كيف تعلم هو اللفظ القراني ليتم الاقتداء به في تلك الكيفية ما دامت في حدود الطاقة البشرية.
والوسائل التي اعتمد عليها مكانا وأسلوبا وطريقة إدارة ليتم التعليم.
ووسائل النشر لقيام هذا التعليم باتساع أفقي ورأسي.
والقواعد التربوية الضرورية المصاحبة لتعليم اللفظ القراني.
وبها تتضح الهيئة الإدارية للجامعة القرانية النبوية، كما تتضح بعض ملامح مفردات المنهج العلمي فيها ...
فهذه محاور أربعة في أربعة مباحث ... وإليها تشد رحال أهل العزم من حملة القران ومقرئيه المصطفين الأخيار:

المبحث الأول: تعليمه صلّى الله عليه وسلّم كيفية تعلمه لكلام الله القراني:
وفيه ثلاثة مطالب:
يبين هذا المبحث دقة ضبط النبي صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه رضي الله عنهم لما يتعلق بألفاظ

القران الكريم كما يبين تعلم الصحابة رضي الله عنهم ذلك من النبي صلّى الله عليه وسلّم، وأنه علمهم كيف تلقى القران الكريم عن جبريل عليه السّلام عن الله عزّ وجلّ، ليقتدوا به في حدود قدرتهم البشرية، ولذا انقسم المبحث إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعليمه صلّى الله عليه وسلّم كيفية نزول ألفاظ القران وتلقيها.
المطلب الثاني: تعليمه صلّى الله عليه وسلّم أماكن القراءة.
المطلب الثالث: مقتضيات ذلك: إلزامهم الاقتداء به في هيئة تلاوته لألفاظ القران الكريم.
المطلب الأول: تعليمه صلّى الله عليه وسلّم كيفية نزول ألفاظ القران وتلقيها:
علّم النبي صلّى الله عليه وسلّم أصحابه رضي الله عنهم التفاصيل الدقيقة التي أحاطت بالنزول القراني من السماء إلى الأرض حيث بين لهم زمن النزول، ومدته، وسببه: فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «أنزل الله القران إلى السماء الدنيا (في رمضان) في ليلة القدر، فكان الله إذا أراد أن يوحي منه شيئا أوحاه، أو أن يحدث منه في الأرض شيئا أحدثه» «1» ، ومثل هذا لا يقال بمحض الرأي فله حكم الرفع، فهو تعليم منه صلّى الله عليه وسلّم لأنه أضافه إلى زمن النبي صلّى الله عليه وسلّم كما هو مقرر في مواضعه «2» .

---

(1) الحاكم (2/ 240) ، مرجع سابق، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» .
(2) انظر في هذه المسألة في كتب أصول الحديث: مثل تدريب الراوي في تقريب النواوي (1/ 185) .

وعلمهم النبي صلّى الله عليه وسلّم اليوم والشهر الذي نزل فيه القران، فالشهر كما في قوله عزّ وجلّ شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ (البقرة: 185) واليوم وصفا كما في قوله: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ (الدخان: 3) وقول الله عزّ وجلّ: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (القدر: 1) واليوم تاريخا كما في قول الله سبحانه وتعالى: وَما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ (الأنفال: 41) ، واليوم تحديدا كما جاء عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أن رجلا قال له: يا رسول الله صوم يوم الاثنين؟ قال: «فيه ولدت، وفيه أنزل علي القران» «1» .
وعلمهم صلّى الله عليه وسلّم متى يكثر النزول: فقد تتابع الوحي قبل وفاته مثلا، فعن أنس ابن مالك رضي الله عنه: «أن الله عز وجل تابع الوحي على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبل وفاته حتى توفي أكثر ما كان الوحي يوم توفي رسول الله» «2» ، والمراد بالنسبة لما كان ينزل سابقا، فالأمر نسبي على ما هو معلوم.
كما علمهم صلّى الله عليه وسلّم متى يقل كما في حديث عائشة: «ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم» «3» ، وعائشة رضي الله عنها لم تشهد ذلك، فيكون علمها بذلك عن تعليم تلقيني.

وتعلموا أماكن النزول، وهو ما يسمى بعلم المكي والمدني، وهو علم مستقل، فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «أنزل القران في ثلاثة أمكنة مكة والمدينة والشام» «4» ، ولعله يعني بالشام- إن صح الحديث- أطراف الجزيرة حيث تبوك ... كما ضبطوا الليلي والنهاري، والصيفي والشتائي «5» .

---

(1) مسلم (2/ 820) ، مرجع سابق.
(2) مسلم (4/ 2312) ، مرجع سابق.
(3) البخاري (4/ 1894) ، مرجع سابق.
(4) مجمع الزوائد (7/ 157) ، مرجع سابق، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني وفيه عفير بن معدان وهو ضعيف» .
(5) انظر تفاصيل ذلك في: الإتقان (1/ 65) ، مرجع سابق.

وتعلموا كم بين نزول أول القران وبين اخره:
فقد قال ابن عباس رضي الله عنه: «فكان بين أوله واخره عشرين سنة» ، بل ضبطوا كيفية النزول في السماء، ومقدار النازل منه، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «فصل القران من الذكر فوضع في بيت العزة في السماء الدنيا فجعل جبريل عليه السّلام ينزل على النبي صلّى الله عليه وسلّم [يتلوه] يرتله ترتيلا» قال سفيان: خمس ايات ونحوها «1» ، وتعلموا مدة نزوله في كل مكان نزل فيه: فعن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم: «أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لبث بمكة عشر سنين ينزل عليه القران وبالمدينة عشرا» «2» .

وقد علمهم صلّى الله عليه وسلّم تفاصيل أدق من ذلك:
بعضها علموها من القران مباشرة، وبعضها منه صلّى الله عليه وسلّم حتى ضبطوا هيئة النزول: من حيث كمية المنزل الجملي إلى السماء الدنيا، والمنزل التفصيلي إلى الأرض، وعلامات نزوله (سبب النزول) ، ومن ذلك- مثلا- ما جاء عن ابن عباس قال: «أنزل القران جملة واحدة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة» وقرأ: وَقُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ (الإسراء: 106) الاية وفي رواية (فرّق في السنين) ، وفي أخرى: «وضع في بيت العزة في السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل على النبي صلّى الله عليه وسلّم» «3» ، وعنه في الله عزّ وجلّ: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (القدر: 1) قال: «أنزل القران جملة واحدة حتى وضع في بيت العزة في السماء الدنيا، ونزله جبريل عليه السّلام على محمد صلّى الله عليه وسلّم بجواب كلام

---

(1) الحاكم (2/ 667) ، وصححه، ووافقه الذهبي، وكذلك رواه الضياء في المختارة (10/ 154) ، مرجع سابق.

(2) مسند الإمام الربيع بن حبيب (ص 284) .
(3) فتح الباري شرح صحيح البخاري (9/ 4) ، مرجع سابق.

(1/84)

العباد وأعمالهم» «1» ، وعنه قال: نزل القران جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا، وكان بموقع النجوم، وكان الله عزّ وجلّ ينزل على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعضه في أثر بعض فقالوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً (الفرقان: 32) «2» .
وعلمهم صلّى الله عليه وسلّم كيف علمه الله سبحانه وتعالى قراءة القران وإقرائه كما في قول الله جل جلاله:
وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (المزمل: 4) ، وقوله لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ (الإسراء: 106) «3» .
وكان فقهاء الصحابة رضي الله عنهم يجمعون بين الأدلة وفق هذه القاعدة: فقد قال ابن عباس رضي الله عنه وسئل عن قوله إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (القدر: 1) وقوله شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ (البقرة: 185) وهو ينزل في غيره– فقال:
«نزل به جبريل عليه السّلام جملة واحدة ثم كان ينزل منه في الشهور» «4» .
وذكر الله عزّ وجلّ ذلك التنجيم في كتابه تعليما للصحابة رضي الله عنهم ثم لمن بعدهم في الإسراء والفرقان والواقعة، وقد صرح بذلك في الواقعة عدد من المفسرين «5» ، ويرجحه ذكر القران بعده وحفظه جملة في السماء «6» ، فقد جاء «عن عكرمة في قول الله عزّ وجلّ فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ (الواقعة: 75) قال: القران نزل جملة واحدة فوضع في مواقع النجوم فجعل جبريل عليه السّلام ينزل بالاية والايتين وقال غيره: بمواقع النجوم بمساقط نجوم القران كلها أوله واخره» ، ومن الحجة لهذا

---

(1) الطبراني في الكبير (12/ 32) ، مرجع سابق.
(2) النسائي في الكبرى (6/ 519) ، مرجع سابق.
(3) وانظر تفصيل ذلك في كتاب التلقي كاملا، مرجع سابق.
(4) التمهيد (17/ 50) ، مرجع سابق.
(5) أكد على ذكرها للخلاف الوارد في تفسير معنى المواقع، والظاهر ألا مانع من إرادة المعنيين.
(6) ولا ينفي هذا المعنى الثاني.

(1/85)

القول قوله عزّ وجلّ: وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (الواقعة: 76– 77) .
كمية المنزل: الذي استقرئ من الأحاديث الصحيحة وغيرها أن القران كان ينزل بحسب الحاجة خمس ايات وعشرا وأكثر وأقل، وقد صح نزول العشر ايات في قصة الإفك جملة، وصح نزول عشر

ايات من أول المؤمنون جملة، وصح نزول غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ (النساء: 95) ، واحدها وهي بعض اية، وكذا قوله جل جلاله:
وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ (التوبة: 28) نزلت بعد نزول أول الاية وذلك بعض اية، وأخرج ابن أشته في كتاب المصاحف عن عكرمة قال:
«أنزل الله القران نجوما ثلاث ايات وأربع ايات وخمس ايات» «1» .
وكل هذا تعليم منه صلّى الله عليه وسلّم لكيفية نزول ايات القران عليه.

تعليمه صلّى الله عليه وسلّم كيفية تلقيه للقران:
وتم تعليمهم هذا النوع تعليما تفصيليا، وقد بحث في رسالة ماجستير تحت عنوان تلقي النبي صلّى الله عليه وسلّم ألفاظ القران الكريم فيرجع إليه «2» ، وقد قالت أم سلمة:
كان جبريل عليه السّلام يملي علي النبي صلّى الله عليه وسلّم «3» ، أي يلقنه الحروف تلقينا بطيئا كهيئة المملي، وكما كان النبي صلّى الله عليه وسلّم يتلقى من جبريل الحرف بعد الحرف، كذلك كان الصحابة منه صلّى الله عليه وسلّم.
والحكمة الواضحة من هذا كله متابعة التعلم على هيئة متدرجة تمكّن أكبر قدر منهم على حفظ المنزل الجديد من القران.

---

(1) الإتقان (1/ 123) ، مرجع سابق.
(2) تلقي النبي صلّى الله عليه وسلّم ألفاظ القران الكريم، مرجع سابق.
(3) رواه الطبراني في الأوسط (7/ 197) ، مرجع سابق، وهو في مجمع الزوائد (7/ 157) ، مرجع سابق.

تسلسل المنهجية: وكذلك كان من بعدهم عنهم فقد قال أبو عبد الرحمن السلمي: «قرأت على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه القران كثيرا، وأمسكت عليه المصحف فقرأ علي، وأقرأت الحسن والحسين حتى قرا عليّ القران، وكانا يدرسان على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فربما أخذ على الحرف بعد الحرف» «1» .

المطلب الثاني: تعليمه صلّى الله عليه وسلّم أماكن القراءة:
مكان القراءة الأساس هو المسجد فهو المقر الرئيس للجامعة النبوية القرانية، فعن عقبة بن عامر الجهنيّ رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوما ونحن في الصّفّة، فقال:
«أيّكم يحبّ أن يغدو إلى بطحان أو العقيق فيأتي كلّ يوم بناقتين كوماوين زهراوين فيأخذهما في غير إثم ولا قطع رحم؟ قال: قلنا: كلّنا يا رسول الله يحبّ ذلك قال: فلأن يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلّم ايتين من كتاب الله خير له من ناقتين، وثلاث خير من ثلاث، وأربع خير من أربع ومن

أعدادهنّ من الإبل» «2» .
وكان يحثهم على لزوم المسجد لذلك حثا شديدا:
فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «ما من قوم يجتمعون في بيت من بيوت الله عزّ وجلّ يقرؤن ويتعلّمون كتاب الله عزّ وجلّ يتدارسونه بينهم إلا حفّت بهم الملائكة، وغشيتهم الرّحمة، وذكرهم الله فيمن عنده ... » «3» ، وكان صلّى الله عليه وسلّم يعلمهم أن ذلك جزء من وظيفة المسجد: فقد قال صلّى الله عليه وسلّم لهم معلما: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة،

(1) كتاب السبعة في القراات (ص 68) .
(2) مسلم (1/ 552) ، مرجع سابق.
(3) مسلم (4/ 2074) ، مرجع سابق.

وقراءة القران ... » الحديث «1» ، وهذا يقتضي منهجيا: أن تقوم خطط المؤسسات القرانية الرسمية وغيرها على جعل المسجد هو المكان النموذجي للإقراء، وفي حالة التوسع لا مانع من جعل دور القران دائرة حول المسجد أو ملتصقة به بطريقة أو بأخرى.

هل الإقراء منحصر في المسجد؟:

وكون المسجد هو المكان النموذجي لتعلم القران وتعليمه، لا يمنع ذلك من قراءة القران في أي مكان، وعلى أي حال، ويدل على ذلك حديث عبد الله ابن مغافل رضي الله عنه حيث قال: «رأيت النبي صلّى الله عليه وسلّم يقرأ وهو على ناقته أو جمله وهي تسير به وهو يقرأ سورة الفتح أو من سورة الفتح قراءة لينة يقرأ وهو يرجع» «2» ، ففيه دليل على «ملازمته صلّى الله عليه وسلّم للعبادة لأنه حالة ركوبه الناقة وهو يسير لم يترك العبادة بالتلاوة» «3» ، وقد بوب البخاري لذلك: «باب القراءة على الدابة» «4» أي لراكبها، «وكأنه أشار إلى الرد على من كره ذلك» ، وقال ابن بطال: «إنما أراد بهذه الترجمة أن في القراءة على الدابة سنة موجودة، وأصل هذه السنة قوله سبحانه وتعالى: لِتَسْتَوُوا عَلى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ (الزخرف: 13) » «5» ، فالأمر واسع في اتخاذ أماكن الإقراء، وقد قال النبي صلّى الله عليه وسلّم: «إن البيت الذي يقرأ فيه القران يكثر خيره والبيت الذي لا يقرأ فيه القران يقل خيره» «6» ، فالأصل أن كل مكان

(1) مسلم (1/ 236) ، مرجع سابق.
(2) البخاري (4/ 1925) ، مرجع سابق.
(3) فتح الباري (9/ 92) ، مرجع سابق.
(4) البخاري (4/ 1921) ، مرجع سابق.

(5) فتح الباري (9/ 83) ، مرجع سابق.
(6) عبد الرزاق (3/ 369) ، وله شواهد أخرجها صاحب لمحات الأنوار (1/ 280) ، برقم (353) وما بعده، مرجع سابق.

صالح لقراءة القران وإقرائه كما أن الأرض جعلت للنبي صلّى الله عليه وسلّم مسجدا وطهورا إلا ما ورد النص بالمنع من الصلاة فيه، فيمنع فيه من قراءة القران كذلك.

هل المسجد مناسب لتعليم الصبيان القراءة؟:
ولا يرد على هذا التقرير تعليم الصبيان وما قد يجره من مفاسد تلويث المسجد والضوضاء والتشويش على المصلين؛ إذ قد يمنع من ذلك لعارض لا لذات الأمر، وقد سئل ابن تيمية: هل تعليم القران بالمسجد من حيث هو حرام أم لا؟
فأجاب: إقراء القران في المسجد قربة عظيمة ففي الحديث الصّحيح «إنّما بنيت المساجد لذكر الله والصّلاة وقراءة القران» قال تعالى: وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ (النور: 36) وهذا عامّ في إقراء البالغين وغيرهم بشرطهم الاتي، وأمّا ما راه مالك من كراهة القراءة في المصحف في المسجد، وأنّه بدعة أحدثها الحجّاج، وأن يقاموا إذا اجتمعوا للقراءة يوم الخميس أو غيره فهو رأي انفرد به ومن ثمّ قال الزّركشيّ: «هذا استحسان لا دليل عليه، والّذي عليه السّلف والخلف استحباب ذلك لما فيه من تعميرها بالذّكر وقراءة القران للحديث الصّحيح، أي الّذي قدّمناه هذا كلّه حيث كان المتعلّمون مميّزين يؤمن منهم تنجيس المسجد وتقذيره وعدم التّشويش على المصلّين، فإن كان فيهم غير مميّزين لا يؤمن تنجيسهم أو تقذيرهم له حرم على المعلّم إدخالهم وعلى الحاكم– وفّقه الله وسدّده– زجره وردعه عن إدخاله مثل هؤلاء، وكذلك عليه نهيه أيضا عن رفع الصّوت لإقامة صلاة فيه، والحاصل أنّه لا يجوز إخراجه من المسجد بالكلّيّة لأجل ذلك من أوّل وهلة، وإنّما يمنع أوّلا من تمكينه من تنجيس المسجد أو تقذيره بمن يدخل إليه فيه ... » «1» .

(1) الفتاوى الكبرى (1/ 345) ، مرجع سابق.

المقاعد:
وقد كان صلى الله عليه وسلم يجلس ليتلقى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الوحي من جبريل عليه السّلام في المسجد في مكان يدعى بمقاعد جبريل عليه السّلام فعن عائشة: أنها لما توفي سعد بن أبي وقاص صلّى الله عليه وسلّم أرسل أزواج النبي صلّى الله عليه وسلّم أن يمروا بجنازته في المسجد

فيصلين عليه، ففعلوا فوقف به على حجرهن يصلين عليه ثم أخرج به من باب الجنائز الذي كان إلى المقاعد.. «1» .. وعن حارثة بن النعمان قال: مررت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومعه جبريل عليه السّلام جالس في المقاعد، فسلمت عليه، ثم أجزت فلما رجعت وانصرف النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «هل رأيت الذي كان معي» قلت: نعم! قال: «فإنه جبريل وقد رد عليك السلام» «2» .

والمقاعد هي الدكاكين «3» التي كانت عند باب دار عثمان كانوا يجلسون عليها فسميت المقاعد «4» .

---

(1) مسلم (2/ 688) ، مرجع سابق.

(2) رواه أحمد (5/ 433) ، مرجع سابق، ورواه الطبراني في الكبير (3/ 227) مرسلا، مرجع سابق، وقال الهيثمي في المجمع (9/ 313) ، مرجع سابق: «ورجاله ثقات» ، وقال ابن حجر في الإصابة (1/ 618) : «وروى أحمد والطبراني من طريق الزهري أخبرني عبد الله بن عامر بن ربيعة عن حارثة بن النعمان قال: مررت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومعه جبرائيل جالس في المقاعد، فسلمت عليه فلما رجعت قال: «هل رأيت الذي كان معي» قلت: نعم! قال: «فإنه جبريل وقد رد عليك السلام» وقال ابن حجر تعقيبا: «إسناده صحيح أيضا» ، انظر: (ابن حجر) أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ت 852 هـ: الإصابة في تمييز الصحابة (1/ 618) ، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1412 هـ- 1992 م..

(3) الدّكّان هو الذي يقعد عليه أي الدكة المبنية ... والدّكّان أيضا واحد الدّكاكين وهي الحوانيت فارسي معرب. انظر: مختار الصحاح (ص 87) ، النهاية (2/ 128) مرجعان سابقان.

(4) التمهيد (22/ 213) ، مرجع سابق.

وهي مصاطب حول المسجد «1» ، فهذه المقاعد عرفت بمقاعد جبريل عليه السّلام، وقد صرّح بذلك فيما رواه أنس رضي الله عنه قال: «صلّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم صلاة الظهر يوما ثم انطلق حتى قعد على المقاعد التي كان يأتيه عليها جبريل فجاء بلال فناداه بالعصر» «2» .

وهذا يدل على أن التعلم يمكن أن يكون حول المسجد ملتصقا به على هيئة دور التحفيظ اليوم ... وهذه الأماكن بمثابة قاعات الكليات التي يتمم فيها ما قد يفوت في المسجد.

المطلب الثالث: إلزامهم الاقتداء به في هيئة تلاوته للفظ القراني:

والدليل الكلي الجامع لهذا: لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ (الأحزاب: 21) ؛ إذ إن معنى أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ «خصلة حسنة من حقها أن يؤتسى بها» «3» ، ويدخل في ذلك تلاوته لألفاظ القران الكريم أصلا وأداء ف «الأسوة القدوة، والأسوة ما يتأسى به أي يقتدى به في جميع أفعاله، ويتعزى به في جميع أحواله» «4» ، وعلى رأس ذلك تلاوة القران الكريم، وعلى هذا فالاية «عامة في

(1) (الزرقاني) محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني ت 1122 هـ: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (1/ 98) ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1411 هـ، وهي- جمعا بين الأحاديث- غير الحجارة أو الدرج أو الدكاكين التي بقرب دار عثمان، وفي كل الأحوال فهي مواضع جرت العادة بالقعود فيها.
(2) مسند أحمد (3/ 139) ، مرجع سابق، وتتمته: «فقام كل من كان له بالمدينة أهل يقضي الحاجة ويصيب من الوضوء، وبقى رجال من المهاجرين ليس لهم أهالي بالمدينة فأتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بقدح أروح فيه ماء فوضع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كفه في الإناء فما وسع الإناء كف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كلها فقال بهؤلاء الأربع في الإناء ثم قال: «ادنوا فتوضؤوا» ويده في الإناء فتوضؤوا حتى ما بقى منهم أحد إلا توضأ قال قلت: يا أبا حمزة! كم تراهم؟ قال: بين السبعين والثمانين» .
(3) البيضاوي (4/ 368) ، مرجع سابق.
(4) القرطبي (14/ 155) ، مرجع سابق.

كل أفعاله صلّى الله عليه وسلّم إذا لم يعلم أنها من خصوصياته» «1» ، وبذلك كان الصحابة رضي الله عنهم يستدلون بها في جميع أحوالهم، فقد قال بعض أصحاب عبد الله بن عمر رضي الله عنهما له: رأيتك في السفر لا تصلي قبل الصلاة ولا بعدها؟ فقال: يا ابن أخي صحبت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كذا وكذا فلم أره يصلي قبل الصلاة ولا بعدها، ويقول الله تعالى: لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ «2» ، وعن ابن عمر أنه سئل عن رجل معتمر طاف بالبيت أيقع على امرأته قبل أن يطوف بين الصفا والمروة؟
فقال: «قدم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فطاف بالبيت، وصلّى خلف المقام ركعتين، وسعى بين الصفا والمروة» ثم قرأ لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ «3» ... وإنما كان هذا الاستطراد في وجه الدلالة لئلا يقول قائل بأن السياق هنا يخصص المنساق ... كما ترد هنا جميع أدلة الاقتداء نحو فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ (الأنعام: 90) .

حكمة تعليمه صلّى الله عليه وسلّم لهم ما سبق:
وإنما كان النبي صلّى الله عليه وسلّم يعلمهم بما ذكر في القران، وبما يخبرهم به من حديثه الشريف عن كيفية تلقيه للفظ القران الكريم لأجل أن يقتدوا به في تلاوة القران الكريم وجمع ألفاظه تعلما وتعليما فيما كان في حدود طاقتهم البشرية ... وزاد عن ذلك بما كان يصنعه في حلقات الإقراء التي كان يؤدي فيها درسا يوميا لإقرائهم القران، بالإضافة إلى عرضه اليومي لشيء من القران في ست ركعات جهرية يومية من صلاته حيث كان إمامهم، فلا بد لهم من الاقتداء به في أركان الصلاة وهيئاتها التفصيلية، وكذلك في تلاوة لفظ القران الكريم أصلا وأداء، ومما يوضح

(1) روح المعاني (21/ 167) ، مرجع سابق.
(2) (أبو عوانة) يعقوب بن إسحاق الأسفرائيني ت 316 هـ: مسند أبي عوانة (2/ 337) .
(3) البخاري (1/ 154) ، مرجع سابق.

ذلك أكثر ما جاء عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: أرسل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى امرأة:
«انظري غلامك النجار يعمل لي أعوادا، أكلم الناس عليها» ، فعمل هذه الثلاث الدرجات عندما أمر بها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فوضعت هذا الموضع فهي من طرفاء الغابة، ولقد رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قام عليه فكبر، وكبر الناس وراءه، وهو على المنبر، ثم رفع فنزل القهقرى، حتى سجد في أصل المنبر ثم عاد حتى فرغ من اخر صلاته ثم أقبل على الناس، فقال: «يا ايها الناس إني صنعت هذا لتأتموا بي ولتعلموا صلاتي» «1» .

التقعيد على ذلك: تأدية اللفظ كما سمع من النبي صلّى الله عليه وسلّم:
ولقد كان من أهم القواعد التعليمية المصاحبة لعملية الإقراء: تأدية اللفظ كما سمعوه من النبي صلّى الله عليه وسلّم فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:
«نضر الله امرأ سمع منا حديثا (فحفظه حتى يبلغه غيره) فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع، (فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه) » «2» ، ولا شك أن مراد النبي صلّى الله عليه وسلّم بقوله (حديثا) يتسع ليتضمن القران أولا، أو ليدخل من باب قياس الأولى كما قال الله عزّ وجلّ: فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ (الطور: 34) ، فسمى القران حديثا.
وهذا الحديث بين أن من أهم الأهداف التعليمية التي أراد النبي صلّى الله عليه وسلّم أن تتحقق في الصحابة رضي الله عنهم:
الحث على البلاغ لما يسمعه الصحابي من النبي صلّى الله عليه وسلّم.

(1) مسلم (1/ 386) ، مرجع سابق.
(2) ابن حبان (1/ 268) ، مرجع سابق، وما بين القوسين عنده من رواية زيد بن ثابت.

وأن يكون المبلّغ كما سمع منه صلّى الله عليه وسلّم، ولذ قال ابن حبان تبويبا لهذا الحديث: «ذكر البيان بأن هذا الفضل إنما يكون لمن أدى ما وصفنا كما سمعه سواء من غير تغيير ولا تبديل» «1» .

فهذه الأدلة العامة في مسألة الاقتداء في أداء اللفظ القراني.

ومن الأدلة الخاصة:
قول علي رضي الله عنه: «إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يأمركم أن تقرؤوا كما علمتم» «2» ، فهذا في أداء اللفظ، وويدل على الاقتداء به في الهيئة التي يكون عليها المرء عند أداء اللفظ ما قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقضي حاجته فيقرأ القران، ويأكل معنا اللحم، ولم يكن يحجبه– وربما قال– يحجزه عن القران شيء ليس الجنابة» «3» ، ومن أجل هذا الاقتداء به صلّى الله عليه وسلّم فقد ظهر تعليمه صلّى الله عليه وسلّم في تعليم الصحابة رضي الله عنهم من تلاميذه، وتميّز أساليبهم وهي انعكاس صحيح لأسلوبه، وما ذكر من أخبارهم في ذلك حجة على ما لم قيام ما لم يذكر.

---

(1) ابن حبان (1/ 271) ، مرجع سابق.
(2) ابن حبان (3/ 21) ، مرجع سابق.
(3) المختارة (2/ 215) ، أبو داود (1/ 59) ، البيهقي في سننه الكبرى (1/ 38) ، مراجع سابقة.

المبحث الثاني: وسائل تعليم ألفاظ القران الكريم كما وضعها النبي صلّى الله عليه وسلّم:
يبين هذا المبحث وسائل التعليم القراني التي سلكها النبي صلّى الله عليه وسلّم مكانا وأسلوبا وطريقة إدارة ليتم التعليم، وهي ترجع إلى الحلقات القرانية، وإلى القراءة العامة (الجماعية) ، وإلى القراءة الفردية والإقراء الفردي، وإلى أسلوب التعلم الأساسي في ذلك هو التلقي، ويحاول المبحث تجلية أن النبي صلّى الله عليه وسلّم جعل من وسائل هذا التعليم تقسيمه إلى تعليم ملزم، وغير ملزم يشبه أن يكون ملزما، واستتبع هذا الكلام على أجرة التعليم؛ كما تحدث البحث عن ظهور التدرج في تعليم النبي صلّى الله عليه وسلّم ليتم الاستيعاب الكلي للقران الكريم، ولذا انقسم هذا المبحث إلى خمسة مطالب:
المطلب الأول: الحلقات القرانية.
المطلب الثاني: تعليمهم هيئة التعلم الواجبة لألفاظ القران الكريم (التلقي) .
المطلب الثالث: العرضة الأخيرة.
المطلب الرابع: التعليم القراني العام.
المطلب الخامس: التدرج في التعليم.

المطلب الأول: الحلقات القرانية:

الدلالة اللغوية للحلقة:

الحلقة بالتسكين: كلّ شيء استدار كحلقة الحديد والفضّة والذهب، وكذلك هو في الناس، فالحلقة فيهم هي الجماعة من الناس مستديرون، وتحلّق القوم جلسوا حلقة حلقة «1» ، والجمع حلق وحلقات وحلق «2» .

فيكون تعريف الحلقة من الناس: القوم الذين يجتمعون متراصين وذلك لاستفادة ما يلقيه شيخ الحلقة من العلوم، ويبثه من أحكام الشريعة، وتعليم الأمة ما ينفعهم في الدارين «3» .

ثانيا: المدلول النفسي لهذا الاجتماع: ولهذا النوع من الاجتماع مدلول نفسي بين المناسبة يبيّن سبب انتقائها كوسيلة تعليمية أساسية؛ إذ إن الحلقة تضرب مثلا للقوم إذا كانوا مجتمعين مؤتلفين كلمتهم وأيديهم واحدة لا يطمع عدوّهم فيهم ولا ينال منهم، ولذا يقال للسلاح والحديد حلقة لمناعته وبأسه ...

ورود (الحلقة) في الحديث بمعناها المصطلحي:

وردت كلمة الحلقة بمعناها العرفي في كثير من الأحاديث ومن ذلك ما جاء عند البخاري أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل نفر ثلاثة، فأقبل اثنان إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وذهب واحد، فوقفا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة وجلس فيها، وأما الاخر فجلس خلفهم، وأما

---

(1) انظر: مختار الصحاح ص 65، مرجع سابق.

(2) انظر: مختار الصحاح ص 65، مرجع سابق، لسان العرب (10/ 61) ، مرجع سابق.

(3) انظر: عبد الرؤوف المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير (1/ 120) ، وانظر: لسان العرب (10/ 61) ، مرجع سابق.

الثالث فأدبر ذاهبا، فلما فرغ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟: أما أحدهم فأوى إلى الله فاواه الله، وأما الاخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الاخر فأعرض فأعرض الله عنه» «1» ، كما كان صلّى الله عليه وسلّم يحضهم على الاجتماع على تلاوة القران، وتدارسه بينهم، وتكوين حلقات جانبية، ولو كانت دون إشرافه عليهم: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:

« ... وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السّكينة وغشيتهم الرّحمة وحفّتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطّأ به عمله لم يسرع به نسبه» «2» .

وكان الصحابة رضي الله عنهم يفعلون ذلك فيجتمعون حلقا يذكرون الله جل جلاله أو يتدارسون القران:

والقران أعظم الذكر فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج معاوية على حلقة في المسجد فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله! قال: الله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك! قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أقل عنه حديثا مني وإن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خرج على حلقة من أصحابه فقال: «ما أجلسكم؟» قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا، قال: «الله ما أجلسكم إلا ذاك؟» قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك! قال: «أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه أتاني جبريل عليه السّلام فأخبرني أن الله عزّ وجلّ يباهي بكم الملائكة» «3» .

---

(1) البخاري (1/ 36) ، مسلم (4/ 1713) ، ابن حبان (1/ 286) ، الترمذي (5/ 73) ، مراجع سابقة.

(2) مسلم (4/ 2074) ، الترمذي (4/ 34) ، الدارمي (2/ 340) ، أبو داود (4/ 287) ، النسائي في الكبرى (4/ 309) ، أحمد (2/ 252) ، مراجع سابقة.

(3) مسلم (4/ 2075) ، مرجع سابق.

الأحكام العامة للحلقات (النظم الإدارية المنظمة للحلقات القرانية) :

صارت الحلقات العلمية التعليمية في المسجد مكانا تعليميا، ومرتعا تربويا له ادابه ونظمه التي أرشد لها النبي صلّى الله عليه وسلّم، وباتت هذه النظم بمثابة لائحة تفصيلية، وتقنين دقيق للحلقات التعليمية، كما صار لها أحكامها المستقلة التي تنظم انعقادها، ووقته، وكيفيته، ومتى يجوز التعدد، ومتى يجتمعون في حلقة واحدة ...

وهذا يدل على شيوع هذه الوسيلة التعليمية، واعتيادها، وصيرورتها جزا من النظام التعليمي العام، والأحكام التعليمية للحلقات هي:

1- اعتيادها وكونها جزا من النسيج التعليمي:

فقد كان صلّى الله عليه وسلّم إذا جلس جلس إليه أصحابه حلقا حلقا «1» ، وعن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: كنت جالسا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في الحلقة إذ جاء رجل على النبي صلّى الله عليه وسلّم وعلى القوم.. «2» .، وكان رجل من أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم له بني صغير يأتيان النبي صلّى الله عليه وسلّم، ثم إن بنيّه هلك، فمنعه الحزن عليه أن يحضر الحلقة فلقيه النبي صلّى الله عليه وسلم فسأله عن ابنه فأخبره أنه هلك، فعزاه النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال: «يا فلان! أيما كان أحب إليك أن تمتاع به عمرك أو لا تأتي غدا بابا من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه ففتحه لك؟» قال: فقال: «يا نبي الله! لا بل يسبقني إلى أبواب الجنة أحب

إلي» قال: «فذاك لك» قال: فقام رجل من الأنصار فقال: يا نبي الله! جعلني الله فداءك أهذا لهذا خاصة أو من هلك له طفل من المسلمين كان ذلك له؟
قال: «لا! بل من هلك له طفل من المسلمين كان ذلك له» «3» .

---

(1) البزار (8/ 249) .
(2) ابن حبان (3/ 125) ، والحديث الأول في: المختارة (5/ 285) ، والنسائي في الكبرى (4/ 409) .
(3) النسائي (4/ 118) ، البيهقي في الكبرى (4/ 59) ، مرجعان سابقان.

2- نهى النبي صلّى الله عليه وسلّم عن القعود وسط الحلقة:
وهذا ينظّم الهيكل العام للحلقة كما يجمل منظرها: فقد قعد رجل وسط حلقة فقال حذيفة رضي الله عنه: «ملعون على لسان محمد أو لعن الله على لسان محمد صلّى الله عليه وسلّم من قعد وسط الحلقة» «1» ، وذلك لأنه إذا جلس في وسطها استدبر بعضهم بظهره فيؤذيهم بذلك فيسبّونه ويلعنونه «2» ...
والنهي عن القعود وسط الحلقة يجعل منظرها العام شبيها إلى حد كبير بما يحاوله منظمو قاعات التعليم أو العرض بحيث يمكن للجميع مشاهدة مديري الحلقة.
ويستثنى من ذلك أن يرى الإمام أو المعلم المصلحة في بقاء أحدهم وسط الحلقة: فعن واثلة ابن الأسقع رضي الله عنه قال: «أتيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو جالس في نفر من أصحابه فجلست وسط الحلقة» فقال بعضهم: يا واثلة! قم من هذا المجلس فإنا قد نهينا عنه. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «دعوا واثلة فإني أعلم بالذي أخرجه من منزله» قلت: «يا رسول الله! وما الذي أخرجني من منزلي؟» قال:
«خرجت تسأل عن البر من الشك» قلت: «والذي بعثك بالحق ما أخرجني غيره» قال: «فإن البر ما استقر في النفس واطمأن في القلب، والشك ما لم يستقر في النفس، ولم يطمئن إليه القلب، فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك، وإن أفتاك المفتون» «3» .

---

(1) الترمذي (5/ 90) ، وقال: «هذا حديث حسن صحيح، أحمد (5/ 384) .
(2) انظر: النهاية في غريب الحديث (1/ 426) .
(3) (الطبراني) : مسند الشاميين (1/ 117) .

3- كان النبي صلّى الله عليه وسلّم ينظم كيفية تحلقهم بنفسه في حلقات الإقراء وغيرها:
فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كنت في حلقة من الأنصار، وإن بعضنا ليستتر ببعض من العري، وقارئ لنا يقرأ علينا، فنحن نسمع إلى كتاب الله؛ إذ وقف علينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقعد فينا ليعد نفسه معهم، فكفّ القاري، فقال: ما كنتم تقولون؟ فقلنا: «يا رسول الله! كان قارئ لنا يقرأ علينا كتاب الله» فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بيده، وحلق بها يومي إليهم أن تحلقوا، فاستدارت الحلقة.. «1» ..

4- نهى النبي صلّى الله عليه وسلّم عن التحلق قبل صلاة الجمعة:
فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «نهى النبي صلّى الله عليه وسلّم عن البيع والابتياع، وأن ينشد الضوال، وعن تناشد الأشعار، وعن التحلق للحديث يوم الجمعة قبل الصلاة» يعني في المسجد «2» ، ولعل من حكم ذلك أن تكون «الجماعة كثيرة والمسجد صغيرا وكأن فيه منع المصلين عن الصلاة» «3» ، كذا ذكر البيهقي ولكن هذا عام في كل حلقة ... والظاهر أن المراد التهيؤ لخطبة الجمعة، والتفرغ قبلها للقران دون التشويش بمناقشة شيء قد يضر بخطبة الخطيب لقرب العهد فيبطلها عن دورها.
وربما تكون الحلق كثيرة فيما يمكن فيه الاجتماع في حلقة واحدة، ولا يظهر لتعدد الحلق إلا التشويش: فعن جابر بن سمرة قال: دخل علينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ونحن حلق متفرقون فقال: «مالي أراكم عزين؟» «4» أي في حلق متفرقة.

---

(1) أحمد (3/ 63) ، أبو يعلى (2/ 382) .
(2) ابن خزيمة (2/ 275) ، أبو داود (1/ 283) ، النسائي في الكبرى (1/ 262) ، النسائي في الصغرى (2/ 47) ، الطبراني في الأوسط (6/ 358) .
(3) البيهقي في الكبرى (3/ 234) ، مرجع سابق.
(4) مسلم (1/ 322) ، ابن حبان (4/ 534) ، المسند المستخرج على مسلم (2/ 54) ، أبو عوانة في مسنده (1/ 419) .

5- حق من كان في الحلقة في حماية مكانه، والعودة إليه إذا خرج لعارض قريب:
فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إذا قام الرجل من مجلسه ثم عاد إليه فهو أحق به» «1» ، ولو وضع ما يدل على رجوعه فهو أولى فعن أبي الدرداء رضي الله عنه: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا جلس وجلسنا حوله، فقام فأراد الرجوع نزع نعليه أو بعض ما يكون عليه فيعرف ذلك أصحابه فيثبتون «2» .

6- حق أصحاب الحلقة في حماية حلقتهم فلهم رد من يريد السير من وسط الحلقة:

فقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لا حمى إلا في ثلاث ثلاثة: البئر ومربط الفرس وحلقة القوم» «3» ، أي لهم أن يحموها حتى لا يتخطّاهم أحد ولا يجلس وسطها «4» ... وهل يدل هذا على ما يسمى في عصرنا الحرم الجامعي؟ فيه نظر، ولكن لا شك أن لمكان كالجامعة حماها الخاص بها.

7- وكانوا يجلسون مع النبي صلّى الله عليه وسلّم متحلقين معه حلقة دون حلقة:
أي كأنهم صفوف دائرية مرتبة بعضها خلف بعض على وجه لا يحجب المتأخر فيها بالمتقدم كما في القاعات الكبيرة اليوم، ولذا كان النبي صلّى الله عليه وسلّم يلتفت إلى هؤلاء مرة فيحدثهم، وإلى هؤلاء مرة فيحدثهم، ففي حديث إسلام كعب ابن زهير الشاعر: « ... ثم دخل المسجد ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم مع أصحابه مكان المائدة من

---

(1) البيهقي في الكبرى (6/ 151) ، مرجع سابق.
(2) البيهقي الكبرى (6/ 151) ، مرجع سابق.
(3) ابن أبي شيبة (4/ 389) ، وبعض الأحاديث وإن لم تثبت فهي مما تناقله أهل العلم من اداب الحلقات.
(4) انظر: النهاية في غريب الحديث (1/ 426) ، مرجع سابق.

القوم متحلقون معه حلقة دون حلقة يلتفت إلى هؤلاء مرة فيحدثهم، وإلى هؤلاء مرة فيحدثهم ... » «1» . ولكن هذا التنظيم ليس توقيفيا بل يسلك المنظمون لها أقرب السبل لتتم الاستفادة الكاملة منها.

خامسا: أنواع الحلقات:

تنقسم الحلقات التعليمية إلى نوعين هما:

أولا: الحلق العامة الكبيرة:

1- فكان صلّى الله عليه وسلّم يعقد الحلق العامة الكبيرة للتلاوة كجزء من البلاغ للقران، وقد بدأها النبي صلّى الله عليه وسلّم منذ بدأ نزول الوحي كما جاء ذلك عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قرأ النبي صلّى الله عليه وسلّم النجم بمكة فسجد فيها، وسجد من معه غير شيخ أخذ كفا من حصى أو تراب فرفعه إلى جبهته، وقال: يكفيني هذا فرأيته بعد ذلك قتل كافرا «2» ، واستمرت الحلقات العامة إلى أواخر نزول الوحي فعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قرأ عام الفتح سجدة فسجد الناس كلهم فمنهم الراكب والساجد في الأرض حتى أن الراكب ليسجد على يده «3» ، ولكن هذه الحلقة قد يستفيد منها المستمع البلاغ، وقد يزيد على

ذلك فيعدها جزا من التعليم، فيحفظ ويتقن ما يستمعه ...
2- وقد تكون القراءة في الحلقة قراءة عرض بأن يقرأ أحدهم وهو صلّى الله عليه وسلّم يستمع، وهذا ما يحتمله حديث ابن عمر قال: كنا نقرأ السجدة عند النبي صلّى الله عليه وسلّم فيسجد ونسجد معه.. «4» ..

---

(1) الحاكم (3/ 671) ، مرجع سابق.
(2) البخاري (1/ 363) ، مرجع سابق.
(3) ابن خزيمة (1/ 279) ، مرجع سابق.
(4) ابن خزيمة (1/ 279) ، مرجع سابق.

3- وكان صلّى الله عليه وسلّم يشرف على الحلقات الاخرى التي لا يباشر فيها التعليم بنفسه: فعن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: كنا في المسجد نتعلم القران، فدخل علينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فسلم علينا، فرددنا عليه السلام فقال: «تعلموا القران واقتنوه وتغنوا ... » «1» ، ومما يدل على هذا الإشراف أيضا ما جاء عن ابن عباس قال: خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ذات يوم إلى المسجد، فوجد أصحابه عزين يتذاكرون فنون العلم فأول حلقة وقف عليها وجدهم يقرؤون القران وجلس إليهم فقال: بهذا أرسلني ربي.. «2» ..
4- وعملية الإقراء منه صلّى الله عليه وسلّم دائمة فعن علي رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقرئنا القران على كل حال ما لم يكن جنبا» .

ثانيا: حلقات الإقراء الخاصة:
1- فقد كانت معروفة كأساس لشكل الملتقى التعليمي كما تقدم، وجاء عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أنه كان يتحرى موضع مكان المصحف يسبح فيه وذكر أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان يتحرى ذلك المكان «3» .
2- وكان صلّى الله عليه وسلّم يشرف على حلقات الإقراء الخاصة بنفسه أيضا: فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: إني لجالس ذات يوم في عصابة من ضعفاء المهاجرين ورجل منا يقرأ علينا القران ويدعو لنا، وإن بعضنا لمستتر ببعض من العري وجهد الحال، إذ خرج علينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فلما راه قارئنا أمسك عن القراءة، فجاء فجلس إلينا، فقال بيده فاستدارت له حلقة القوم ... الحديث «4» .

---

(1) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (2/ 734) .
(2) مسند الربيع ص 32، مرجع سابق.

(3) صحيح مسلم (1/ 364) ، مرجع سابق.
(4) الطبراني في الأوسط (8/ 357) ، مرجع سابق.

3- وقد يكون الإقراء فيها أي تعلم القران وتعليمه ثنائيا، كما هو شائع في حلقات المسلمين اليوم: فقد دخل حذيفة رضي الله عنه المسجد فمر على قوم يقرئ بعضهم بعضا فقال: «إن تكونوا على الطريقة لقد سبقتم سبقا بعيدا، وإن تدعوه فقد ضللتم» قال: ثم جلس إلى حلقة فقال: «إنا كنا قوما امنا قبل أن نقرأ وإن قوما سيقرأون قبل أن يؤمنوا» فقال رجل من القوم: تلك الفتنة؟ قال: «أجل قد أتتكم من أمامكم حيث تسوء وجوهكم، ثم لتأتينكم ديما ديما، إن الرجل ليرجع فيأتمر الأمرين أحدهما عجز والاخر فجور» «1» .
وكذلك كان الصحابة رضي الله عنهم يعقدون حلقات الإقراء فعن أبي إسحاق قال:
رأيت رجلا سأل الأسود بن يزيد وهو يعلم القران في المسجد فقال: كيف تقرأ هذه الاية فهل من مدكر أدالا أم ذالا؟ قال: بل دالا سمعت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: مدكر دالا «2» ، ووصف بعض تلاميذ أبي موسى الأشعري تعليم شيخهم رضي الله عنه لهم فقال: (تعلمنا القران في هذا المسجد يعني مسجد البصرة وكنا نجلس حلقا حلقا، وكأنما أنظر إليه بين ثوبين أبيضين وعنه أخذت هذه السورة اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (العلق: 1) قال:
وكانت أول سورة أنزلت على محمد صلّى الله عليه وسلّم «3» .

---

(1) ابن أبي شيبة (7/ 451) ، مرجع سابق.
(2) صحيح مسلم (1/ 565) ، مرجع سابق.
(3) الحاكم (2/ 240) ، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وله شاهد بإسناد صحيح على شرط مسلم» .

المطلب الثاني: تعليمهم هيئة التعلم الواجبة للفظ القراني (التلقي) «1» :
صارت هيئة التعلم الواجبة للألفاظ القرانية (التلقي) بدهية من البدهيات في حياة المسلمين حتى لقّبوا من تعلم القران بهيئة تعليمية غيرها كالأخذ من المصحف (مصحفيا) فقالوا: «لا تحملوا العلم عن صحفي، ولا تأخذوا القران من مصحفي» «2» فلا مجال لإثبات القران الكريم بالكتابة واحدها، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الطريقة الواجبة في تعلم الألفاظ القران الكريم صراحة في قوله سبحانه وتعالى وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (النمل: 6) مع قوله جل جلاله: عَلَّمَهُ

شَدِيدُ الْقُوى (النجم: 5) إذ دل مجموع الايتين على أن تعلم النبي لألفاظ القران الكريم كان تعلما خاصا هو التلقي.
وقد أمرهم النبي صلّى الله عليه وسلّم بالتلقي فقال لهم: «خذوا القران من أربعة: من ابن أم عبد فبدأ به ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وسالم مولى أبي حذيفة» «3» ، وهذا «يدل على أن قراءة القران تؤخذ بالتلقي من أفواه المقرئين، أتدري من خاطب النبي صلّى الله عليه وسلّم بقوله: «خذوا القران من أربعة» ؟ خاطب الصحابة رضي الله عنهم، وهم عرب فصحاء، بل هم أفصح الأمة، ومع ذلك لم يكلهم إلى فصاحتهم بل أمرهم بالتلقي، وما ذاك إلا لأن قراءة القران لها هيئة مخصوصة توقيفية» «4» .

---

(1) ينظر في تعريف التلقي وبيان قواعده: تلقي النبي صلّى الله عليه وسلّم ألفاظ القران الكريم ص 127.
(2) الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري أبو أحمد ت 382 هـ: تصحيفات المحدثين ص 7، تحقيق: محمود أحمد ميرة المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، ط 1، 1402 هـ.
(3) البخاري (3/ 1385) ، مسلم (4/ 1913) ، الحاكم (3/ 250) ، الترمذي (5/ 674) ، مراجع سابقة.
(4) عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ (دكتور) : سنن القراء ومناهج المجودين ص 48، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط 1، 1414 هـ.

ولذا كان الصحابة يظهرون طريقة تعلمهم لألفاظ القران الكريم عند إثبات أهليتهم ليصدر عنهم الناس في القراءة كما في قول ابن مسعود: بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم في غار إذ نزلت عليه وَالْمُرْسَلاتِ (المرسلات: 1) فتلقيناها من فيه وإن فاه لرطب بها.. «1» .، وقال عندما غضب من تولية زيد ابن ثابت أمر نسخ المصاحف: «لقد أخذت من في رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سبعين سورة وإن زيد بن ثابت لصبي فلا أدع ما أخذت من في رسول الله صلّى الله عليه وسلّم» «2» .

وكان الصحابة رضي الله عنهم يجعلونه أسلوب تعلمهم للفظ القراني عند النزاع:
وكما كان التلقي من فم النبي صلّى الله عليه وسلّم (سماعا أو عرضا) هو الأداة الوحيدة لتعلم القران الكريم وتعليمه، فإنه كان أيضا الحكم بين المتخاصمين في القراءة فعن عاصم ابن أبي النجود عن زر– وهو شيخ عاصم في القران– عن ابن مسعود رضي الله عنه– وهو شيخ زر في القران– قال: أتيت المسجد فجلست إلى أناس وجلسوا إلي فاستقرأت رجلا منهم سورة ما هي إلا ثلاثون اية وهي حم الأحقاف «3» فإذا هو يقرأ حروفا لا أقرأها فقلت من أقراك قال: أقرأني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فاستقرأت الاخر فإذا هو يقرأ حروفا لا أقرؤها أنا وصاحبي فقلت: من أقرأك؟ قال: أقرأني

رسول الله صلّى الله عليه وسلم، فانطلقنا إليه فأخذت بأيديهما حتى أتيت بهما رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعنده رجل يعني عليا فقلت: يا رسول الله! إنا اختلفنا في قراءتنا قال: فتغير وجهه حين ذكرت الاختلاف فقال: «إنما أهلك من كان قبلكم الاختلاف» فقال

---

(1) البخاري (4/ 1879) ، مرجع سابق، وبقية الحديث: إذ خرجت حية فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «عليكم اقتلوها» قال: فابتدرناها فسبقتنا قال: فقال: «وقيت شركم كما وقيتم شرها» .

(2) مسند أبي داود الطيالسي (1/ 54) ، مرجع سابق.

(3) سورة الأحقاف في عد الكوفيين خمس وثلاثون اية فيحمل قول ابن مسعود على عدم نزول بعض اياتها انذاك، أو اختلافهم في العدد، أو على عدم اعتبار الكسر كالمعتاد في خطاب العرب.

علي– فلا أدري أسر إليه ما لم أسمع أو علم الذي في نفسه فتكلم به–: «أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يأمركم أن يقرأ كل رجل منكم كما علّم» «1» ، وقال صلّى الله عليه وسلّم «ليقرأ كل إنسان كما علّم كل حسن جميل» «2» ، وعن أبي الجهم رضي الله عنه أن رجلين اختلفا في اية من القران قال هذا: تلقنتها من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال الاخر: تلقنتها من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم «3» ، وعن بن عباس رضي الله عنهما قال: بينما أنا أقرأ اية من كتاب الله عز وجل وأنا أمشي في طريق من طرق المدينة، فإذا أنا برجل يناديني من بعدي:
أتبع ابن عباس، فإذا هو أمير المؤمنين عمر فقلت: أتبعك على أبي بن كعب، فقال: أهو أقرأكها كما سمعتك تقرأ؟ قلت: نعم! قال: فأرسل معي رسولا قال: اذهب معه إلى أبي بن كعب فانظر أيقرئ أبي كذلك؟ قال: فانطلقت أنا ورسوله إلى أبي ابن كعب قال: فقلت: يا أبي قرأت اية من كتاب الله فناداني من بعدي عمر ابن الخطاب اتبع ابن عباس فقلت: أتبعك على أبي بن كعب فأرسل معي رسوله أفأنت أقرأتنيها كما قرأت؟ قال أبي: نعم! قال: فرجع الرسول إليه، فانطلقت أنا إلى حاجتي، قال: فراح عمر إلى أبي فوجده قد فرغ من غسل رأسه، ووليدته تدري لحيته بمدراها فقال أبي: مرحبا يا أمير المؤمنين! أزائرا جئت أم طالب حاجة؟ فقال عمر: بل طالب حاجة.
قال: فجلس ومعه موليان له حتى فرغ من لحيته وأدرت جانبه الأيمن من لمته ثم ولاها جانبه الأيسر حتى إذا فرغ أقبل إلى عمر بوجهه، فقال: ما حاجة أمير المؤمنين؟ فقال عمر: يا أبي علام تقنط الناس؟ فقال أبي: يا أمير المؤمنين! إني تلقيت القران ممن تلقاه– وقال عفان ممن يتلقاه– من جبريل عليه السّلام وهو

---

(1) أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي ت 335 هـ: المسند للشاشي (2/ 105) .

(2) الطبراني في الكبير (5/ 198) ، مرجع سابق.

(3) مجمع الزوائد (7/ 151) ، مرجع سابق، وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح» .

رطب «1» وفي رواية فقال أبي: صدق تلقيتها من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال عمر: أنت تلقيتها من رسول الله؟ قال: نعم أنا تلقيتها من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثلاث مرات كل ذلك يقوله وفي الثالثة وهو غضبان: نعم والله لقد أنزلها الله على جبريل وأنزلها على محمد فلم يستأمر فيها الخطاب ولا ابنه. فخرج عمر وهو رافع يديه وهو يقول: الله أكبر الله أكبر «2» .

التلقي عند أبي رضي الله عنه:

وبمناسبة أنهم كانوا رضي الله عنهم يجعلون التلقي عمدة أدلتهم في إثبات القراءة، فإن البحث يشير إلى أن سيد القراء أبيّ بن كعب رضي الله عنه كان يحتج بذلك، ولكن القرات الثابتة عنه قرائيا بل وفي كثير من روايات الحديث الثابتة لم تخرج عن القرات المتناقلة إلى اليوم إلا أن تكون تفسيرا فأما قرائيا: فإن معظم أسانيد القراء العشرة ترجع إليه رضي الله عنه.

وأما حديثيا فالأمثلة السابقة توضح رجوع ما نسب إليه إلى القرات المتناقلة إلى اليوم، ومن الروايات الحديثية ما جاء عن ابن عباس قال: أقرأني أبي ابن كعب كما أقرأه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ (الكهف: 86) مخففة «3» ، وهذا المثال جد حسن؛ إذ يوضح أن قراءة أبي التي يستغربها عمر إنما هي إحدى قرات من الأحرف السبعة، ولا تخرج عن ذلك، ومثاله أيضا في قراءة أبي ما جاء في قوله صلّى الله عليه وسلّم له: «أمرت أن أقرأ عليك القران» قال فقلت: وسماني لك

---

(1) الحاكم (2/ 245) ، مرجع سابق، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ، ورواه الضياء في المختارة (3/ 415) .

(2) الحاكم (3/ 345) ، مرجع سابق.

(3) النسائي في الكبرى (4/ 34) ، مرجع سابق.

ربك؟ قال: «نعم» قال: فقرأ علي فقال أبي قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (يونس: 58) «1» قرأها بالتاء (فلتفرحوا) .. «2» .،

وهذه الأمثلة تدل على عدم خروج قراءة أبي عن المتناقل من القرات ... ومن احتج ببعض ما ذكر عنه من قرات مخالفة يقال له عمدتنا: هو التلقي الذي جعله أبي عمدته أيضا، ومنهج إثبات قرانية أو قرائية قراءة غير منهج إثبات حديث، على أن أبيا لم يثبت عنه حديثيا إلا ما وافق القرات المتناقلة، أو ما كان تفسيرا ظاهرا وقد ينسبه إلى القران تجوزا على أنه المراد من الاية، أو لأنه سمع فيه شيئا عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

منهجية إثبات القرااات غير منهجية إثبات الأحاديث:

وبما أن التلقي هو السبيل لإثبات القراءة فإن ما ثبت حديثيا على غير ما ثبت قرائيا– حال وجوده– لا يعول عليه في النسبة إلى القراء فقد تثبت اية قرائيا على غير ما وردت حديثيا كالذي روي عن نافع بن أبي نعيم– رحمه الله تعالى–:

فَرِهانٌ مَقْبُوضَةٌ (البقرة: 283) ، قرأها (فرهن) ، ثم قال نافع: أقرأني خارجة بن زيد بن ثابت وقال: أقرأني زيد بن ثابت، وقال: أقرأني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فَرِهانٌ مَقْبُوضَةٌ بغير ألف «3» ، فإن الثابت عن نافع قرائيا فرهان «4» وهو اختياره فلا يقرأ بالاخرى لعدم التلقي، وأما توجيه الرواية فلها محامل: إما الصحة سندا

---

(1) انظر: الشاطبية عند قول الناظم: (وحق رهان ضم كسر وفتحة) من سورة البقرة ص 79، مرجع سابق.

(2) الحاكم (2/ 247) ، مرجع سابق، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» .

(3) الحاكم (2/ 256) ، مرجع سابق، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» .

(4) انظر: (الشاطبي) القاسم بن فيرة ت 590 هـ: حرز الأماني ووجه التهاني (متن الشاطبية) سورة البقرة وانظر: (ابن الجزري) محمد بن محمد بن محمد بن علي ت 833 هـ: طيبة النشر في القرااات العشر– سورة البقرة.

ومتنا ولكن نافعا قرأ بالأمرين وبقي المتناقل عنه أحدهما، وإما بأن نافعا أراد إثبات صحة هذه القراءة ولكن لم يقرئ بها، وإما بالغلط في متن الرواية الحديثية.

كما أن التلقي هو المرجعية لتصويب كل قراءة:

تسلسل المنهجية: قال ابن مسعود رضي الله عنه: «فاقرأوا كما علمتم» «1» ، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يعلمون الناس القران بذلك، كما قال أنس رضي الله عنه: بعثني الأشعري إلى عمر رضي الله عنه فقال لي: كيف تركت الأشعري؟ قلت: تركته يعلم الناس القران، فقال: أما إنه كيس ولا تسمعها إياه «2» ... فكيف كان تعليمه القران للناس؟ كان تلقيا وتلقينا، فقد قال بعض تلاميذه واصفا هيئة تعليمه رضي الله عنه:

كان أبو موسى رضي الله عنه إذا صلّى الصبح استقبل الصفوف رجلا رجلا يقرئهم.. «3» ..

الحرص على التلقي من النبي صلّى الله عليه وسلّم، أو ممن تلقاه عنه:

وكان الصحابة رضي الله عنهم يأمرون غيرهم بأخذ القران عمن تلقاه مباشرة من النبي صلّى الله عليه وسلّم طلبا للإسناد العالي، وتثبتا في الحفظ فعن معدي كرب قال: أتينا عبد الله فسألناه أن يقرأ علينا طسم المائتين فقال: ما هي معي ولكن عليكم من أخذها من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خبّاب

بن الأرتّ قال: فأتينا خبّاب ابن الأرتّ فقرأها علينا «4» ... وهل كان هذا في حياته صلّى الله عليه وسلّم أو بعد مماته؟ احتمالان، وهل مراد ابن مسعود رضي الله عنه أنه لا يحفظ السورة أو أنه لم يتلقها مباشرة من النبي صلّى الله عليه وسلّم؟ ...
المسألة محتملة، والثاني أرجح لأن سورة الشعراء مكية، وعن عقبة بن عامر قال:

---

(1) النسائي في الصغرى (1/ 566) ، مرجع سابق.
(2) سير أعلام النبلاء (2/ 389) ، مرجع سابق.
(3) سير أعلام النبلاء (2/ 389) ، مرجع سابق.
(4) قال في مجمع الزوائد (7/ 84) ، مرجع سابق: «رواه أحمد ورجاله ثقات ورواه الطبراني» .

كنت أقود برسول الله صلّى الله عليه وسلّم ناقته في السفر فقال لي: «يا عقبة ألا أعلمك خير سورتين قرئتا فعلمني قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (الفلق: 1) وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (الناس: 1) قال: فلم يرني سررت بهما جدا، فلما نزل لصلاة الصبح صلّى بهما صلاة الصبح للناس، فلما فرغ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الصلاة التفت إلي فقال: «يا عقبة كيف رأيت» «1» ، وهذا من أقوى أنواع التلقي، وطلب العلو في الإسناد.

ولضرورة التلقي فقد انتشرت الحلق القرانية التي يحييها أئمة الإقراء:
ويتلقن فيها الناس ألفاظ القران الكريم: فصار لأبي حلقة، ولزيد بن ثابت أخرى، ولابن مسعود ثالثة ... كما قال زيد بن أرقم رضي الله عنه: جاء رجل إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: أقرأني عبد الله بن مسعود سورة وأقرأنيها زيد وأقرأنيها أبي ...

تكرار عرض القران:
ولأن عرض القران على الشيخ يمثل أسلوبا من أساليب التلقي؛ فقد تعلم الصحابة رضي الله عنهم من تكرار عرض النبي صلّى الله عليه وسلّم القران على جبريل عليه السّلام في رمضان «2» ، تكرار عرض أصحابهم القران عليهم، وتسلسلت بذلك منهجية تكرار العرض، ومن أمثلته في أئمة الإقراء: ما رواه عاصم بن بهدلة وعطاء بن السائب ومحمد بن أبي أيوب وعبد الله بن عيسى أنهم قرؤوا على أبي عبد الرحمن السلمي وذكروا أنه أخبرهم أنه قرأ على عثمان عامة القران، وكان يسأله عن القران فيقول: إنك تشغلني عن أمر الناس فعليك بزيد بن ثابت فإنه يجلس للناس ويتفرغ لهم، ولست أخالفه في شيء من القران، وكنت ألقى عليا

---

(1) أبو داود (2/ 73) ، مرجع سابق.

(2) رواه البخاري (1/ 6) ، مسلم (4/ 1802) ، مرجعان سابقان، وانظر: تلقي النبي ألفاظ القران الكريم ص 177، مرجع سابق.

فأسأله: فيخبرني، ويقول: عليك بزيد فأقبلت على زيد فقرأت عليه القران ثلاث عشرة مرة «1» .
وفي تكرار العرض تأكيد بليغ على: دقة المحافظة على النص القراني، ومقدار إتقان القراءة من القراء.

تعليمه صلّى الله عليه وسلّم طرق تحمل القران الكريم:
وفيما سبق ذكره يتضح لنا أن النبي صلّى الله عليه وسلّم علمهم طرق تحمل القران الكريم عنه صلّى الله عليه وسلّم «2» ، وأنهما طريقان لا غير: السماع من لفظ الشيخ أو السماع عليه بقراءة غيره، والعرض (القراءة) عليه، وعد أهل العلم من حكم قراءة النبي صلّى الله عليه وسلّم على أبي أن يسنّ «عرض القران على حفاظه البارعين فيه المجيدين لأدائه، وليسن التواضع في أخذ الانسان القران وغيره من العلوم الشرعية من أهلها وإن كانوا دونه في النسب والدين والفضيلة والمرتبة والشهرة وغير ذلك» «3» .
... وما بقي من الطرق المعروفة عند المحدثين من مناولة وإجازة (بالمعنى الحديثي) ... ونحوها «4» .
«فلا مكان لها في تحمل القران الكريم» «5» ، كما قال الناظم:

---

(1) سير أعلام النبلاء (4/ 270) ، مرجع سابق، وقال: «إسنادها ليس بالقائم» ، وهذه سنة أئمة الإقراء فقد قال ابن مجاهد– مثلا–: «فأما قراءة نافع بن أبي نعيم فإني قرأت بها على عبد الرحمن بن عبدوس من أول القران إلى خاتمته نحوا من عشرين مرة» انظر: السبعة ص 88.
(2) أشار إلى هذا الموضوع الإمام السيوطي في الإتقان (1/ 264) ، مرجع سابق.
(3) (النووي) أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي 676 هـ: صحيح مسلم بشرح النووي (16/ 19) ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 2، 1392 هـ.
(4) انظر في طرق تحمل الحديث: ألفية السيوطي في مصطلح الحديث بتعليق الشيخ شاكر ص 60.
(5) انظر: الإتقان (1/ 264) ، مرجع سابق.

ولا يجوز أخذها من الكتب ... كما به قد صرحوا، بل يجب
عليك أن تعرفها ممن يريك ... كيفية النطق بها فاه لفيك «1»
إلا أن الإجازة قد توجد بشرط أن تكون تابعة لهاتين الطريقتين بمعنى أنه تم سماع الطالب أو عرضه على شيخ اخر ثم أجيز بعد أن اختبره المجيز، ... أما المناولة ونحوها فلا مكان لها لأمرين أساسين

يختلف في علوم القراءة عن علوم الحديث هما:
1- أن علوم القراءة لا تختلف إلا اختلافا محدودا في هيئة أداء اللفظ الداخلية غالبا أما الأحاديث فقد يوجد في هذا الكتاب ما لا يوجد عند ذاك من متن الحديث أو سنده ...
2- ولأن المقصود هنا كيفية الأداء وليس كل من سمع من لفظ الشيخ يقدر على الأداء كهيئته بخلاف الحديث فإن المقصود فيه المعنى أو اللفظ لا بالهيئات المعتبرة في أداء القران، وأما الصحابة فكانت فصاحتهم وطباعهم السليمة تقتضي قدرتهم على الأداء كما سمعوه من النبي صلّى الله عليه وسلّم لأنه نزل بلغتهم، دون حاجة كبيرة إلى العرض والمران على قواعد التجويد التي تمثل ظواهر لغوية، ويحكى أن الشيخ شمس الدين بن الجزري لما قدم القاهرة وازدحمت عليه الخلق لم يتسع وقته لقراءة الجميع فكان يقرأ عليهم الاية ثم يعيدونها عليه دفعة واحدة فلم يكتف بقراءته.
ولكن المستعمل عند القراء سلفا وخلفا هو العرض بالقراءة على الشيخ وأما السماع من لفظ الشيخ فيحتمل أن يقال به هنا لأن الصحابة رضي الله عنهم إنما أخذوا القران من النبي صلّى الله عليه وسلّم لكن لم يأخذ به أحد من القراء، وقد يمنع منه؛ إذ ظن أنه لن يؤدي الغرض.

---

(1) انظر: سنن القراء ص 15، مرجع سابق.

ومما يتنبه له: أنه تجوز القراءة على الشيخ ولو كان غيره يقرأ عليه في تلك الحالة إذا كان بحيث لا يخفى عليه حالهم وقد كان الشيخ علم الدين السخاوي يقرأ عليه اثنان وثلاثة في أماكن مختلفة ويرد على كل منهم، وكذا لو كان الشيخ مشتغلا بشغل اخر كنسخ ومطالعة، وأما القراءة من الحفظ فالظاهر أنها ليست بشرط بل يكفي ولو من المصحف.

المطلب الثالث: العرضة الأخيرة:

حقيقتها وإثبات وجودها:

العرضة من العرض، وهي مأخوذة من معارضة النبي صلّى الله عليه وسلّم القران على جبريل عليه السّلام ومعارضة النبي صلّى الله عليه وسلّم القران على أصحابه، والمعارضة هنا مفاعلة؛ لأنها ثبتت في حديث المعارضة «1» ... وقد أشار النبي صلّى الله عليه وسلّم إلى اخر معارضة له مع جبريل عليه السّلام بقوله: «أن جبريل عليه السّلام كان يعارضني بالقران كل سنة مرة، وإنه قد عارضني به العام مرتين ... » «2» . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان يعرض على النبي صلّى الله عليه وسلّم القران كل عام مرة فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه، وكان يعتكف كل عام عشرا فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه «3» .
الهدف العام من معارضته صلّى الله عليه وسلّم له عليه السّلام بالقران كل سنة: لتتم مقابلة ما حفظه صلّى الله عليه وسلّم على ما أوحاه إليه جبريل عليه السّلام عن الله سبحانه وتعالى ليبقى ما بقي،

ويذهب ما نسخ توكيدا واستثباتا وحفظا، ومراجعة للمحفوظ، ولتكون سنة رمضانية في الاتصال بالقران الكريم من جميع الأمة.

(1) انظر تفصيل ذلك في: تلقي النبي ألفاظ القران الكريم ص 177، مرجع سابق.
(2) صحيح البخاري (5/ 2317) ، مرجع سابق.
(3) البخاري (4/ 1911) ، مرجع سابق.

وبعد أن علمنا أن جبريل عليه السّلام كان يعارض النبي صلّى الله عليه وسلّم القران في ليل رمضان، وكان النبي صلّى الله عليه وسلّم يعارض أصحابه رضي الله عنهم وأئمة الإقراء منهم خاصة ما كان يعارضه جبريل عليه السّلام في وقت اخر ... فهو صلّى الله عليه وسلّم مأمور بتبليغ الرسالة، وكيف يبلغها ولم يعلمهم ويتثبت من حفظهم؟ ومما يدل على إثبات هذه العرضة على أصحابه رضي الله عنهم ما جاء عن سمرة رضي الله عنه قال: عرض القران على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عرضات فيقولون: إن قراءتنا هذه هي العرضة الأخيرة «1» ، ويدل له ما سيأتي من إثبات شهود ابن مسعود للعرضة الأخيرة، فهم كانوا يعارضون القران على النبي صلّى الله عليه وسلّم، وبذا تم التيقن من ثبوت كامل القران كتابة وحفظا عند أئمة الإقراء.
وأما معنى قول الزهري: أخبرني أنس بن مالك رضي الله عنه أن الله سبحانه وتعالى تابع الوحي على رسوله صلّى الله عليه وسلّم قبل وفاته حتى توفاه أكثر ما كان الوحي، ثم توفي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد. هذا لفظ البخاري؛ ولمسلم: إن الله عز وجل تابع الوحي على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبل وفاته حتى توفي، وأكثر ما كان الوحي يوم توفي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم «2» ، فقال فيه أبو شامة: «يعني عام وفاته أو حين وفاته، يريد أيام مرضه كلها، كما يقال: يوم الجمل ويوم صفين، وكانت أياما» «3» ، والظاهر عند الباحث أن المراد من كلام أنس رضي الله عنه أن النبي صلّى الله عليه وسلّم ما توفي حتى اكتمل الوحي، ولذا نزل كثير منه في الفترة التي سبقت وفاته، وقد تمتد لتكون أكثر من سنة، وعرض ذلك في رمضان إلا ايات قلائل محصورة هي التي قيل إنها اخر ما نزل من القران، فليس ما ذكره خارجا عن العرضة.

(1) الحاكم (2/ 250) ، مرجع سابق، وقال ابن حجر في الفتح (9/ 44) ، مرجع سابق: «وإسناده حسن» .
(2) البخاري (4/ 1906) ، مسلم (4/ 2312) ، مرجع سابق.
(3) المرشد الوجيز ص 30، مرجع سابق.

ولكن لم يكن يشهد العرضة كل الناس، للاكتفاء بوجوب تبليغ بعضهم البعض:
فقد قالت عائشة– رضي الله تعالى عنها–: كان فيما أنزل من القران عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهن فيما يقرأ من القران «1»
فقولها (وهن فيما يقرأ) «أي يقرؤها بعض الناس لكونهم لم يبلغهم النسخ الواقع في العرضة الأخيرة لقرب عهداهم فلما بلغهم رجعوا وأجمعوا على أنه لا يتلى» «2» وهذا ما قرره بعض العلماء، وللفظ عائشة تقرير اخر عند الباحث– ربما كان أكثر وجاهة– هو أن يكون معنى قولها هذا على سبيل التأكيد البالغ على التحريم بالرضاع بهذا العدد دون نسخه، ولكن ذلك من قول الرسول صلّى الله عليه وسلّم وليس من قول الله جل جلاله، وأرادت التأكيد على الالتزام فعزته إلى القران– وهذا من خواص لغة الصحابة– كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لعن الله الواشمات، والمستوشمات، والنامصات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله» قال: فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب وكانت تقرأ القران فأتته فقالت: ما حديث بلغني عنك أنك لعنت الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فقال عبد الله:
وما لي لا ألعن من لعن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو في كتاب الله؟ فقالت المرأة: لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته. فقال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه قال الله عزّ وجلّ: وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (الحشر: 7) .. «3» .
ومن هذا الباب أيضا إطلاق لفظ اية أو نسبته إلى الله سبحانه وتعالى لزيادة التأكيد على ثبوته

---

(1) مسلم (2/ 1075) ، مرجع سابق.
(2) (السيوطي) أبوالفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت 911 هـ: الديباج على صحيح مسلم (4/ 61) ، مراجعة: أبو إسحاق الحويني الأثري– دار ابن عفان– الخبر– السعودية.
(3) البخاري (4/ 1853) ، مسلم (3/ 1678) ، مرجع سابق.

بسنة النبي صلّى الله عليه وسلّم «1» حتى يظن بعضهم أنها من القران نحو ما جاء عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال: عمر بن الخطاب وهو جالس على منبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:
إن الله قد بعث محمدا صلّى الله عليه وسلّم بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه اية الرجم قرأناها، ووعيناها وعقلناها، فرجم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف «2» وينظر التعبير الوارد في اخر الحديث (فريضة أنزلها الله) ، وقوله (الرجم في كتاب الله حق) ... كقول ابن مسعود المتقدم.

وتناقل التابعون نبأ وجود هذه العرضة:
فعن ابن سيرين قال: كان جبريل عليه السّلام يعارض النبي صلّى الله عليه وسلّم في كل شهر رمضان فلما كان العام الذي قبض فيه عارضه مرتين. قال ابن سيرين: فيرجى أن تكون قراءتنا هذه على العرضة الأخيرة «3» ، واستنبط بعضهم من كتابة عثمان للمصاحف أنها إنما تمت وفق العرضة الأخيرة فعن ابن سيرين قال: جمع عثمان اثني عشر رجلا من قريش والأنصار منهم أبي بن كعب، وأرسل إلى الربعة «4»

---

(1) وما زال- بعد هذا- يحتمل توجيها اخر هو أن يكون الحديث المذكور بلفظ يوهم أنه اية أن يكون حديثا قدسيا ... وقد يضطرب الأمر على صحابي أو تابعي فيحسبه قرانا، والأمر القاطع الذي يحسم هذه المسألة مرده إلى التواتر القراني الذي يزيل كل شبهة بإثبات أو نفي ... ولم أجد من أشار إلى هذه المسألة بهذا النوع من المعالجة.
(2) البخاري (6/ 2503) ، مسلم (3/ 1317) ، مرجعان سابقان.
(3) الضياء في المختارة (7/) ، سعيد بن منصور في سننه (1/ 237) ، مرجعان سابقان.
(4) الربعة: إناء مربع كأنه مغطى ملتف يشبه الصندوق ... انظر: النهاية (2/ 189) ، مرجع سابق.

التي في بيت عمر، قال فحدثني كثير بن أفلح- وكان ممن يكتب- قال فكانوا: إذا اختلفوا في الشيء أخروه قال ابن سيرين: «أظنه ليكتبوه على العرضة الأخيرة» «1» .

الجمع بين كتابة زيد للمصاحف في عهد عثمان وشهود ابن مسعود للعرضة:
والنصوص التي بين أيدينا تدل على شهود ابن مسعود للعرضة الأخيرة، وأنه تعلم من النبي صلّى الله عليه وسلّم القران بعد أن عرضه على جبريل عليه السّلام، ويدل لذلك ما رواه أبو ظبيان قال: قال لنا ابن عباس: أي القراءتين تقرؤون؟ قلنا قراءة عبد الله قال: إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان يعرض عليه القران في كل عام مرة وإنه عرض عليه العام الذي قبض فيه مرتين فشهد عبد الله ما نسخ «2» ، وفي لفظ عنه: قال ابن عباس: أي القراءتين تعدون القراءة الأولى؟ قالوا: قراءة عبد الله. قال: قراءتكم القراءة الأولى وقراءة عبد الله القراءة الاخرة! إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان يعرض عليه القران كل رمضان عرضة، فلما كان العام الذي قبض فيه عرض عليه عرضتان فشهده عبد الله، وشهد ما نسخ منه وما بدل «فقراءة عبد الله الاخرة» «3» ، وورد عن زر بن حبيش الأسدي «4» ، وورد عن مجاهد «5» ، وقد بين في بعض ألفاظ هذا الحديث ماذا يعنون بالقراءة الاخرة، وأنها قراءة زيد فعن ابن عباس قال: أي

---

(1) فتح الباري (9/ 19) ، مرجع سابق.

(2) الضياء في المختارة (9/ 542) ، مرجع سابق.
(3) النسائي في الكبرى (5/ 7) ، مرجع سابق، وقال ابن حجر في الفتح (9/ 45) ، مرجع سابق: «وإسناده صحيح» .
(4) الطبراني في الكبير (12/ 103) ، مرجع سابق.
(5) مسند أحمد (1/ 275) ، مرجع سابق، وفي مجمع الزوائد (9/ 288) ، مرجع سابق، قال: «رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح» .

القراءتين ترون كان اخر القراءة؟ قالوا: قراءة زيد. قال: لا! إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان يعرض القران كل سنة على جبريل عليه السّلام فلما كانت السنة التي قبض فيها عرضه عليه عرضتين فكانت قراءة ابن مسعود اخرهن «1» وقال: إنه لاخر حرف عرض به النبي صلّى الله عليه وسلّم على جبريل عليه السّلام «2» .
ومما تقدم من الروايات يظهر لنا أن ابن مسعود شهد العرضة الأخيرة بإثبات ابن عباس، وإثباته هو رضي الله عنه، فقد ورد صريحا عنه رضي الله عنه فقد قال رضي الله عنه متحدثا عن أخر عام عرض فيه النبي صلّى الله عليه وسلّم القران على جبريل عليه السّلام، وكان عرضه عرضتين-: فقرأت القران من في رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ذلك العام، والله لو أني أعلم أن أحدا أعلم بكتاب الله مني تبلغينه الإبل لركبت إليه والله ما أعلمه «3» .
وتدل الروايات السابقة على أن عبد الله بن مسعود شهد العرضة الأخيرة، وهذا يدل على سماعه ما هو أكثر من اثنتين وسبعين سورة من النبي صلّى الله عليه وسلّم، وذلك لأن النازل من سور القران الكريم حتى العرضة الأخيرة كان أكثر من ذلك قطعا، وإنما أثبت لنفسه هذه السور من فم النبي صلّى الله عليه وسلّم لأن الظاهر من ذلك أنه تلقنها بمفرده مباشرة من النبي صلّى الله عليه وسلّم، ولذا جاء في رواية عنه: «فلقد أخذت من فيه صلّى الله عليه وسلّم سبعين سورة ما نازعني فيها بشر» «4» وأما العرضة فهي عامة، والظاهر من العرضة على الناس إنها سماع منهم للنبي صلّى الله عليه وسلّم لا عرض، وقد ذكر أنه أتم الباقي على علي بن أبي طالب، فعنه رضي الله عنه قال: قرأت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سبعين

---

(1) الحاكم (2/ 250) ، مرجع سابق.
(2) انظر: فتح الباري (9/ 44) ، مرجع سابق.
(3) (ابن سعد) محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (168 هـ- ت 230 هـ) : الطبقات الكبرى (2/ 194) ، دار صادر بيروت.
(4) ابن حبان (14/ 433) ، أبو يعلى (8/ 403) ، مرجعان سابقان.

سورة وختمت القران على خير الناس علي بن أبي طالب «1» ... وفي كل الأحوال فزعم عدم ختمه قبل وفاة النبي صلّى الله عليه وسلّم لا يرقى إلى مستوى الرأي المطروح مع هذه القرائن الدالة على إتمامه المصحف، وسماعه كل ما نزل على النبي صلّى الله عليه وسلّم إلى اخر رمضان قبل وفاة النبي صلّى الله عليه وسلّم على الأقل، وهذا الزعم لو صح لكان كافيا للرد على ابن مسعود في تقديم زيد عليه، وماذا يقول من ينفي ختم ابن مسعود في حياة النبي صلّى الله عليه وسلّم بحديث: «خذوا القران من أربعة من بن أم عبد فبدأ به ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وسالم مولى أبي حذيفة» «2» ؟ فقرنه صلّى الله عليه وسلّم بكبار أئمة الإقراء، بل بسيد سادات القراء وهو أبي بن كعب، وقدمه عليهم.

وقد قرر مكي بن أبي طالب ذلك بما يشبه هذا– ضمن احتمالات وضعها–:

«وأما ابن مسعود فإنه قال: قرأت من لسان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سبعين سورة، وقد كنت أعلم أنه يعرض عليه القران في كل رمضان حتى كان عام قبض، فعرض عليه القران مرتين، قال: فكان إذا فرغ النبي صلّى الله عليه وسلّم أقرأ عليه فيخبرني أني محسن، فأما ما بقي عليه فيجوز أن يكون سمعه من النبي صلّى الله عليه وسلّم فيقوم سماعه منه مقام قراءته عليه من القران ... » «3» ، وأما الاحتمالات الاخرى التي ذكرها مكي فيردها ما سبق. وما ورد مما ينافي حفظ ابن مسعود لبعض السور فضعيف، ويظهر منه أن تصوره كاف في إبطاله.. «4» ..

---

(1) مجمع الزوائد (9/ 288) ، مرجع سابق، وقال: «رواه الطبراني وفيه يحيى ابن سالم وهو ضعيف» والحديث بحاجة لزيادة تمحيص ليتم قبوله أو رده، والظاهر أنه إن صح فالمراد العرض مرة ثانية ... وإلا فما حاجة ابن مسعود لذلك وقد شهد العرضة الأخيرة؟.

(2) البخاري (3/ 1385) ، مسلم (4/ 1913) ، الحاكم (3/ 250) ، الترمذي (5/ 674) ، مراجع سابقة.

(3) (القيسي) مكي بن أبي طالب حموش القيسي 437 هـ: الإبانة عن معاني القرااات ص 117، قدم له وحققه، وعلق عليه، وشرحه، وخرج قرااته: الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شبلي: المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.

(4) انظر الأصل ففيه تفصيل حول تلك الروايات.

إثبات حفظ ابن مسعود للقران الكريم في حياة النبي صلّى الله عليه وسلّم:

فثبت– بما سبق– إكمال ابن مسعود رضي الله عنه القران على عهد النبي صلّى الله عليه وسلّم، والقائل بأن ابن مسعود لم يكمل القران أراد تبرير تقديم أبي بكر وعمر وعثمان لزيد، ولكن لا ينبغي أن يؤتى بمبرر خاطئ ينفي حقيقة حفظ ابن مسعود رضي الله عنه وجلالته في علم القران وعلم القراءة:

فأما ملازمة زيد للنبي ف فهي للكتابة أما الملازمة بغير ذلك فما أكثر ما لازمه ابن مسعود رضي الله عنه حتى كان يلقب ب «صاحب النعلين والطهور والوساد، والسواد وهو السرار» «1» ، وحتى كان أشبه الناس هديا برسول الله صلّى الله عليه وسلّم فعن عبد الرحمن بن يزيد قال: سألنا حذيفة عن رجل قريب السمت والهدي من النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال:
ما أعرف أحدا أقرب سمتا وهديا ودلا بالنبي صلّى الله عليه وسلّم من ابن أم عبد «2» ، ومن شدة ملازمته رضي الله عنه ظنّ الناس أنه من ال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قدمت أنا وأخي من اليمن فمكثنا حينا ما نرى إلا أن عبد الله بن مسعود رجل من أهل بيت النبي صلّى الله عليه وسلّم لما نرى من دخوله ودخول أمه على النبي صلّى الله عليه وسلّم «3» ، بل روى علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لو كنت مستخلفا أحدا عن غير مشورة لاستخلفت ابن أم عبد» «4» .
ومن الثناء البديع على ابن مسعود رضي الله عنه مما يمثل مؤهلا كبيرا له لنسخ المصاحف: أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد، وكرهت

---

(1) البخاري (1/ 69) ، و (3/ 1368) ، مرجعان سابقان.
(2) البخاري (3/ 1383) ، مرجع سابق.
(3) البخاري (3/ 1383) ، مرجع سابق.
(4) ابن أبي شيبة (6/ 384) ، الطبراني في الأوسط (6/ 272) ، مرجعان سابقان.

لأمتي ما كره لها ابن أم عبد» «1» فقد رضي لها النبي صلّى الله عليه وسلّم ما يرضاه ابن أم عبد في عامة أمورها، وأما في خصوص الإقراء فتقدم حديث: «خذوا القران من أربعة من بن أم عبد فبدأ به ... » .
ومضت منزلة ابن مسعود رفعة وقوة في حياة الأمة فروى حذيفة رضي الله عنه قال:
قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما واهتدوا بهدي عمار بن ياسر وتمسكوا بعهد ابن أم عبد» «2» ، وشهادة حذيفة كافية في هذا الباب؛ إذ يقول: «لقد علم المحظوظون من أصحاب محمد صلّى الله عليه وسلّم أن ابن أم عبد من أقربهم إلى الله وسيلة» «3» .
ومنزلة ابن أم عبد في القراءة هي منزلته حتى فاق في نظر بعض العلماء منزلة أبي كما قال بعض أهل العلم: «فإن قيل فهل لأحد من الصحابة من الرتبة في القران مثل ما لأبي منها؟ قلنا: لعبد الله بن مسعود زيادة على ما وجدناه لأبي ... » «4» ، وشهد الصحابة له بذلك فقد اجتمع بعض أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في دار أبي موسى رضي الله عنه وهم ينظرون في مصحف فقام عبد الله، فقال أبو مسعود: ما أعلم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ترك بعده أحدا أعلم بما أنزل الله عز وجل من هذا القائم، فقال أبو موسى: أما لأن قلت ذاك لقد كان يشهد إذا غبنا ويؤذن

له إذا حجبنا «5» ... فماذا بعد هذه المؤهلات العظيمة من أدلة تدل على تمام حفظ ابن

(1) ابن أبي شيبة (6/ 384) ، والطبراني في الأوسط (7/ 70) ، مرجعان سابقان.
(2) ابن أبي شيبة (7/ 433) ، الطبراني في الأوسط (6/ 76) ، مرجعان سابقان.
(3) الطبراني في الأوسط (3/ 20) ، مرجع سابق.
(4) (أبو المحاسن) يوسف بن موسى الحنفي أبو المحاسن: المعتصر من المختصر من مشكل الاثار (2/ 361) ، عالم الكتب، مكتبة المتنبي، بيروت، القاهرة.
(5) مسلم (4/ 1912) المعجم الكبير (9/ 90) ، مرجع سابق.

مسعود وقوة أهليته في علم القران؟ ولذا كان يملي المصاحف في عهد عمر من حفظه بإقرار عمر رضي الله عنه ورضاه.
وأما رواية من روى عن ابن مسعود أنه سئل عن طسم فقال: «لا أحفظها سل خبابا عنها» «1» فدليل على ما قرره البحث؛ إذ ليس هكذا لفظها بل لفظها ما جاء عن معديكرب قال أتينا عبد الله فسألناه أن يقرأ علينا طسم المائتين فقال:
ما هي معي ولكن عليكم بمن أخذها من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خبّاب بن الأرتّ قال: «فأتينا خبّاب بن الأرتّ فقرأها علينا» «2» ، فترك إقراءها لا لعدم حفظه، بل لعدم تلقيها مباشرة من الرسول صلّى الله عليه وسلّم، وأشار عليهم بالإسناد العالي.
وأما قول النبي صلّى الله عليه وسلّم في عبد الله بن مسعود: «من أحب أن يقرأ القران غضا كما أنزل فليقرأه على رواية ابن أم عبد» «3» «فمؤهل ظاهر له في علم القران ... ولا شك أن التحقيق العلمي يثير علامة استغراب حول ما تأوله بعضهم في معناه، وأن عبد الله بن مسعود كان يرتل القران فحض النبي صلّى الله عليه وسلّم على ترتيل مثل ترتيله لا غير» «4» ، فهذه المنقبة مالها استحالت مثلبة؟ وفي هذا التأويل نظر أيضا– إن اكتفي به–، بل مراده جودة الأداء، وإتقان الحفظ ... ، وهذا الذي فهمه عمر رضي الله عنه من الحديث أن المراد الحفظ مع إتقان الأداء فعن قيس بن مروان قال: أتى رجل عمر فقال: يا أمير المؤمنين! قد تركت بالعراق رجلا يملي المصاحف عن ظهر قلب. فغضب عمر رضي الله عنه حتى احمر وجهه فقال له: عمر اعلم ما تقول! مرارا فقال:

(1) انظر: الناسخ والمنسوخ ص 483، مرجع سابق.
(2) أحمد (1/ 419) ، المعجم الكبير (4/ 55) ، مرجعان سابقان، مجمع الزوائد (7/ 84) ، مرجع سابق، وقال: «رواه أحمد ورجاله ثقات ورواه الطبراني» .
(3) المختارة (1/ 93) ، مرجع سابق.
(4) انظر: الناسخ والمنسوخ ص 483، مرجع سابق.

ما أتيتك إلا بحقّ فقال عمر رضي الله عنه: من هو؟ قال: ابن أم عبد. فسكن حتى ذهب عنه الغضب ثم قال: ما أصبح على ظهر الأرض أحد أحق بذلك منه، وسأحدثكم عن ذلك: إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سمر في بيت أبي بكر رضي الله عنه ذات ليلة لبعض حاجته حتى أعتم، ثم رجع بيني وبين أبي بكر حتى انتهيت إلى المسجد إذا رجل من المهاجرين يصلي فقام فتسمع لقراءته ما أدري أنا وصاحبي من هو قال:
فلما قام ساعة قلت: يا رسول الله! رجل من المهاجرين يصلي لو رجعت وقد أعتمت قال: فغمزني وجعل النبي صلّى الله عليه وسلّم يستمع لقراءته قال: فركع وسجد ثم قعد يدعو فجعل النبي صلّى الله عليه وسلّم يقول: «سل تعطه! سل تعطه!» ولا أدري أنا وصاحبي من هو، حتى سمعنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: «من سره أن يقرأ القران غضا كما أنزل فليقرأه كما يقرأ ابن أم عبد» قال: فذلك حين علمت أنا وصاحبي من هو، قال: فغدوت إلى عبد الله لأبشره فقال: قد سبقك أبو بكر، وأيم الله ما سابقت أبا بكر إلى خير إلا سبقني «1» ، ولكن مع أنهما بشراه إلا أنهما لم يولياه أمر المصحف في عهد أبي بكر لعلة ظاهرة تأتي الإشارة إليها. فقد اجتمع لابن أم عبد الجليل حديثان يأمران بالأخذ عنه حفظا وإتقانا للترتيل والأحكام ...

العرضة الأخيرة هي قراءة العامة:

يظهر أن الذي جمعه زيد في عهد عثمان هي قراءة العامة كما ورد هذا المصطلح في غير ما موضع من البخاري «2» كقوله: «قراءة العامة يُطِيقُونَهُ (البقرة: 184) » «3» .

---

(1) المختارة (1/ 385) ، مرجع سابق، وقال في مجمع الزوائد (9/ 288) ، مرجع سابق: «رواه البزار وإسناده حسن» .
(2) انظر: البخاري (3/ 1216) ، مرجع سابق.
(3) البخاري (4/ 1638) ، مرجع سابق، وورد هذا المصطلح في المختارة (7/ 180) ، مرجع سابق.

وقراءة العامة لابد أن تكون العرضة الأخيرة قد اشتملت عليها لأنها العامة! ... وهذا الذي قاله عبيدة السلماني: «القراءة التي عرضت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في العام الذي قبض فيه هي القراءة التي يقرأها الناس اليوم» «1» .
وبعد سرد ما تقدم: يمكن أن يقرّر أن العرضة الأخيرة ليست حكرا على زيد ولا على ابن مسعود لأنها العامة أيضا، وإن لم يحضرها كل الصحابة فإنه لا ريب في حضور جمع كبير من أئمة الإقراء لها،

لأنها العامة أيضا ...

اجتماع ابن مسعود وزيد في العرضة الأخيرة:

قرر ابن عباس أن الذي شهد العرضة الأخيرة هو ابن مسعود رضي الله عنه وهو ما صرح به ابن مسعود من قوله مع أن ابن عباس إنما تتلمذ على زيد وأبي في القراءة «2» ، وكان ابن عباس يجل زيدا ويعظمه، فليس يتجنى عندما يشهد لابن مسعود، والذي يثبت أن زيدا هو الذي شهد العرضة الأخيرة هم التابعون كأبي ظبيان ومجاهد وزرّ وجماعات ... ويردهم ابن عباس لكن بلفظ يثبت شهود العرضة الأخيرة لابن مسعود دون أن ينفي شهود زيد بن ثابت لها ... وقد يقال ها هنا: إن ابن عباس أراد نفي ما زعموه بشأن تغيب ابن مسعود عن العرضة الأخيرة لا إثبات تغيب زيد، وقد يسوغ عند هذا أن نقول بأن زيدا حضر هذه العرضة أيضا وهو ما ذهب إليه أكثر أهل العلم «3» ، ويعضده أن زيدا هو كاتب

---

(1) ابن أبي شيبة (6/ 154) ، مرجع سابق.

(2) انظر إثبات ذلك في ترجمة زيد بن ثابت عند: (القيسراني) محمد بن طاهر بن القيسراني ت 507 هـ: تذكرة الحفاظ (1/ 30) ، تحقيق: حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي، دار الصميعي، الرياض، ط 1، 1415 هـ، وكذلك في ترجمة ابن عباس في: يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي ت 742 هـ: تهذيب الكمال (ص 15/ 155) ، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1400– 1980.

(3) انظر مثلا: سير أعلام النبلاء 1/ 488، مرجع سابق، مناهل العرفان 1/ 174، مرجع سابق.

رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الملازم، وتقديم زيد أقوى لذلك، وهو الذي أجمع عليه الصحابة في عهد أبي بكر رضي الله عنه وهم الأكابر، على أن بعض الوحي قد نزل بعد رمضان، والكاتب المتلقن الملازم يقدم على الكاتب المتلقن غير الملازم.

السبب الحقيقي لتقديم زيد في جمع المصحف المصاحف ونسخه:

وبعد هذا البحث عن العرضة الأخيرة، وتقرير حضور ابن مسعود رضي الله عنه لها يمكن للباحث القول بأن البعض قد جانبه الصواب حينما جعل معيار تقديم زيد هو حضور العرضة الأخيرة «1» ، والذي نريد تقريره هنا لتتضح الصورة الكلية أن زيد بن ثابت رضي الله عنه ما تولى كتابة المصاحف في عهد عثمان إلا رئيسا للجنة قامت بهذا العمل، شارك فيها أبي– وكذلك في عهد أبي بكر–، وأما ابن مسعود فلم يكن في المدينة حيث كان العمل لنعلم أيعزل عنها كما قال هو أم لا، والأمر كان أعجل من أن يؤخر حتى يرسل إلى ابن مسعود ليأتي من الكوفة حيث المسافة ذهبا وإيابا تقرب من شهرين، مع وجود الأكفاء، ثم وجد الكاتب الإمام الذهبي يقرر هذا التقرير ذاته حيث قال: «إنما

شق على ابن مسعود لكون عثمان ما قدمه على كتابة المصحف، وقدم في ذلك من يصلح أن يكون ولده وإنما عدل عنه عثمان لغيبته عنه بالكوفة ولان زيدا كان يكتب الوحي لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم فهو إمام في الرسم، وابن مسعود إمام في الأداء» «2» .
وأما أيام أبي بكر رضي الله عنه فإن المؤهل الذي قدم زيدا على ابن مسعود مع إجلال أبي بكر وعمر له- وهما راويا حديث «من أحب أن يقرأ القران غضا ... » -

---

(1) انظر مثلا في: مختارات فصول الجاحظ- مخطوط مصور بدار الكتب رقم 24069، وعنه نقل (دكتور) عبد الصبور شاهين: تاريخ القران ص 123، دار القلم 1966 م، وعنه نقلا مؤلفا كتاب معجم القرااات القرانية ص 9 معتبرين إجابة الجاحظ إجابة حكيمة واعية- وهي كذلك- لولا أنها مبنية على وهم.
(2) سير أعلام النبلاء (1/ 488) ، مرجع سابق.

أن ابن مسعود لم يكن في المدينة فيما يظهر، بل كان على النفل في اليرموك، وهذا يدل على أنه كان في حرب خارج المدينة ... هذا بالإضافة إلى أن زيدا كان الكاتب الملازم وهو سبب قوي ذكره الشيخان في محاورتهما لزيد وإقناعه بأن يتولى ذلك.
وثمة أسباب أخر ليس هذا ميدانها ولا مكان بسطها.

مشكل قراءة منسوبة لابن مسعود وأبي الدرداء:

عن علقمة قال: قدمنا الشام فأتانا أبو الدرداء فقال: أفيكم أحد يقرأ علي قراءة عبد الله؟ فقلت: نعم! أنا قال: فكيف سمعت عبد الله يقرأ هذه الاية وَاللَّيْلِ إِذا يَغْشى قال: سمعته يقرأ وَاللَّيْلِ إِذا يَغْشى والذَّكَرَ وَالْأُنْثى قال:
وأنا والله هكذا سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقرؤها، ولكن هؤلاء يريدون أن أقرأ وَما خَلَقَ فلا أتابعهم «1» فهذه القراءة المنسوبة للشيخين شاذة، وفي الحديث علة ظاهرة توجب إما التأويل وإما الاطّراح، وهي:
أولا: مخالفة رجال سند هذا الحديث لكل الأمة الإسلامية في هذه الرواية، وليست المخالفة لأربعة أو لخمسة من الثقات حتى تصير رواية الأقل شاذة لمخالفتها رواية الأكثر على ما هو مقرر في مصطلح الحديث.. وهذه علامة تعجب من بعض الذين يشذذون رواية في صحيح مسلم، ومع ذلك لا يشذذون ما ورد في هذا الحديث؟.
ولذا قال الشافعي: «من متناقض القول الجمع بين قبول رواية القراءة الشاذة في القران وبين رد الزيادة التي ينفرد بعض الرواة الثقات مع العلم بأن سبيل إثبات القران أن ينقل استفاضة وتواترا» «2» .

---

(1) البخاري (3/ 1368) ، مسلم (1/ 565) ، مرجعان سابقان.
(2) البرهان (1/ 426) ، مرجع سابق.

ثانيا: مخالفة رجال السند في هذا الحديث لأهل المصرين اللذين انتشرت فيهما قراءة ابن مسعود وأبي الدرداء: الكوفة والشام، وقراءة علقمة لها يدل على أنها سادت في الكوفة ولو لفترة قريبة لكننا لم نسمع همسا في الكوفة فضلا عن الشام، وتعجب من ذلك ابن حجر فقال: «والعجب من نقل الحفاظ من الكوفيين هذه القراءة عن علقمة وعن ابن مسعود وإليهما تنتهي القراءة بالكوفة، ثم لم يقرأ بها أحد منهم، وكذا أهل الشام حملوا القراءة عن أبي الدرداء، ولم يقرأ أحد منهم بهذا فهذا مما يقوي أن التلاوة بها نسخت» «1» ، ولعل في القول بالنسخ نظرا؛ إذ ثم موازين دقيقة وضعها علماء الحديث كان ينبغي بحث هذا الحديث في ضوئها أيضا مثل القلب، والاضطراب، والشذوذ.
ومما يؤكد الرد السابق: أن ابن عامر القارئ الرابع من السبعة قرأ على أبي الدرداء اتفاقا مباشرة، وهو قارئ أهل الشام وقراءته إلى القرن الخامس الهجري كانت هي الغالبة على أهل الشام ... فما باله لم ينقل هذه القراءة؟ ولذا نؤكد على أن منهج إثبات القراءة هو التلقي، وليس البحث في السطور التي يعتريها الوهم، أو الشذوذ، ولا يؤمن فيها من الدس ...
أما تقرير من قال بأن العرضة الأخيرة كانت وفق قراءة زيد لأنه حضرها فقد بينا أن النصوص الموجودة تبين حضور ابن مسعود بصورة أصرح من حضور زيد (مع التأكيد على حضور زيد كما سبق) ، والفارق بين قراءة زيد وابن مسعود غير ظاهر، وقد نظّر بعض المحققين على من زعم أن قراءة زيد هي السائدة؛ إذ كان هدف نسخ المصاحف في عهد عثمان تعميم المصاحف، وإعطاء الشرعية للقرااات، وابن مسعود لم بغضب لأنه سيجبر على قراءة زيد بل لتولية زيد دونه

---

(1) فتح الباري (8/ 707) ، مرجع سابق.

مع كبر سن ابن مسعود وأهليته «وأيضا فمن المحال أن يكون عثمان أقرأ الخلفاء، وأقدمهم صحبة وكان يحفظ القران كله ظاهرا ويقوم به في ركعة ... ويترك قراءته التي أخذها من فم النبي صلّى الله عليه وسلّم ويرجع إلى قراءة زيد وهو صبي من صبيانه» «1» .
ولذا فإن الذي يمكن استنتاجه مما سبق أن الفرق بين عرضات القران المتتابعة يسير– حتى مع القول بوجود النسخ– ولعل الفرق الظاهر الجلي بينها هو ما يزيد من القران مما نزل منه في السنة الجديدة.

المطلب الرابع: التعليم القراني العام:

يدرس هذا المطلب وجود الصبغة الإلزامية للتعليم القراني، وتعميمه على كافة فئات المجتمع، وجعله مادة أساسية للمسلمين دون استثناء، وتشجيعه برفده بما يجعل تعلم جزء من القران اختياريا له مبررات النمو، ولذا ينقسم الكلام فيه إلى: كيفية الإقراء، الكلام عن التعليم الإلزامي، والتعليم غير الإلزامي، واستتبع هذا الكلام عن أخذ الأجرة على تعليم القران الكريم، والقول الراجح فيها، وأثر ذلك على نشر التعليم القراني.

كيفية الإقراء:

الإقراء الجماعي العام، والإقراء الفردي الخاص:

التلقين للصحابة قد يأخذ الصبغة الخاصة بإقراء النبي صلّى الله عليه وسلّم لحلقة أو لصحابي معين للايات، وقد يأخذ الصبغة العامة بالقراءة على الجمع الكثير في المسجد وهم يتلقون الايات، مع بقاء الصبغة الخاصة: كما في الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة– رضي الله تعالى عنها– قالت: لما نزلت الايات من

---

(1) (ابن حزم) علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد ت 456 هـ: الإحكام في أصول الأحكام (6/ 268) ، دار الحديث، القاهرة، ط 1، 1404 هـ.

اخر سورة البقرة في الربا خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المسجد فقرأهن على الناس ثم حرم التجارة في الخمر «1» .

وكانت المجامع العامة المعتادة فرصة لقراءة ايات جديدة نزلت، أو التذكير بايات أخرى فعن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قرأ يوم الجمعة تبارك وهو قائم فذكرنا أيام الله، وأبو الدرداء أو أبو ذر يغمزني فقال: متى أنزلت هذه السورة إني لم أسمعها إلا الان؟ فأشار إليه: أن اسكت فلما انصرفوا قال:

سألتك متى أنزلت هذه السورة فلم تخبرني؟ فقال أبي: «ليس لك من صلاتك اليوم إلا ما لغوت» فذهب إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فذكر له وأخبره بالذي قال أبي فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «صدق أبي» «2» .

وكان الصحابة رضي الله عنهم يفعلون ذلك أيضا فيما بينهم، فيقرأ قارئ منهم وهم يستمعون، فعن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه أنّهم كانوا جلوسا يقرؤن القران ويدعون.. «3» ..

وقد يقوم بالقراءة العامة أصحابه (تلاميذه) رضي الله عنهم فيقرؤون على الناس في المجامع العامة السورة بأكملها: فعن جابر رضي الله عنه أن النبي صلّى الله عليه وسلّم حين رجع من عمرة الجعرانة بعث أبا بكر على الحج فأقبلنا معه حتى إذا كان بالعرج ثوب بالصبح ثم استوى ليكبر فسمع الرغوة خلف ظهره فوقف على التكبير، فقال:

(1) البخاري (2/ 743) ، مسلم (3/ 1206) ، المنتقى لابن الجارود (1/ 149) ، ابن حبان (11/ 318) ، مراجع سابقة.
(2) ابن ماجة (1/ 352) ، مرجع سابق، وفي مصباح الزجاجة (1/ 134) ، مرجع سابق: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات» .
(3) أبو داود (3/ 323) ، أحمد (3/ 96) ، أبو يعلى (2/ 382) ، الطبراني في الأوسط (3/ 348) ، مراجع سابقة.

هذه رغوة ناقة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لقد بدا لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم في الحج فلعله أن يكون رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فنصلي معه فإذا علي عليها فقال له: أبو بكر أمير أم رسول؟
فقال: لا! بل رسول أرسلني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ببراءة أقرؤها على الناس في مواقف الحج، فقدمنا مكة فلما كان قبل التروية بيوم قام أبو بكر فخطب الناس فحدثهم عن مناسكهم حتى إذا فرغ، قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها، ثم خرجنا معه حتى إذا كان يوم عرفة قام أبو بكر فخطب الناس فحدثهم عن مناسكهم، حتى إذا فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها، ثم كان يوم النحر فأفضنا فلما رجع أبو بكر خطب الناس فحدثهم عن إفاضتهم وعن نحرهم وعن مناسكهم فلما فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها، فلما كان يوم النفر الأول قام أبو بكر فخطب الناس فحدثهم كيف ينفرون وكيف يرمون فعلمهم مناسكهم فلما فرغ قام علي فقرأ براءة علي على الناس حتى ختمها «1» .

الإقراء الفردي:

ونظام الحلقات، والقراءة العامة لم يمنع من الإقراء الفردي، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يستقرئون النبي صلّى الله عليه وسلّم، فيقوم بإقرائهم: فعن ابن عباس في قوله جل جلاله: عَبَسَ وَتَوَلَّى (عبس: 1) قال: بينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وكان يتصدى لهم كثيرا ويحرص عليهم أن يؤمنوا، فأقبل إليه رجل أعمى يقال له: عبد الله بن أم مكتوم يمشي وهو يناجيهم فجعل عبد الله يستقرىء النبي صلّى الله عليه وسلّم اية من القران وقال: يا رسول الله! علمني مما علمك الله فأعرض عنه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعبس في وجهه

(1) النسائي في الكبرى (2/ 416) ، مرجع سابق.

وتولى وكره كلامه، وأقبل على الاخرين.. «1» .، وكما طلب ذلك منه عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: تبعت النبي صلّى الله عليه وسلّم يوما وهو راكب فوضعت يدي على يده فقلت: يا رسول الله! أقرئني من سورة هود ومن سورة يوسف.. «2» ..

والأصل أن يقوم النبي صلّى الله عليه وسلّم بالإقراء:
إلا أن يشغله شاغل فيحيل المستقرئ على أحد عرفاء الإقراء أو أئمته الذين قام بتأهيلهم صلّى الله عليه وسلّم، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يشغل فإذا قدم الرجل مهاجرا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم دفعه إلى رجل منا يعلمه القران.. «3» ..
وعن أبي سعيد رضي الله عنه وكان قرأ القران على أبي هريرة قال: ما قرأت القران إلا على أبي هريرة هو أقرأني «4» .
وقد استبان لنا من هيئة جلسة الصحابة بين يديه صلّى الله عليه وسلّم في القراءة الفردية:
الهيئة التي ذكرها ابن مسعود رضي الله عنه في قوله: علمني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم التشهد كفي بين كفيه كما يعلمني السورة من القران التحيات لله.. «5» .، فالتشبيه يحتمل شمولاه لهيئة الجلوس مع التدقيق في الحفظ وإتقان الأداء.

---

(1) الطبري (30/ 51) ، مرجع سابق، وأخرجه عن عائشة مختصرا ابن حبان (2/ 293) ، الترمذي (5/ 432) ، مرجعان سابقان.
(2) ابن حبان (3/ 75) ، النسائي في الكبرى (1/ 330) ، مرجع سابق.
(3) المختارة (8/ 266) ، مرجع سابق.
(4) الطبري (28/ 226) ، مرجع سابق.
(5) البخاري (5/ 2311) ، مسلم (1/ 302) ، مرجع سابق.

تعميم التعليم القراني:

أولا: التعليم القراني الإلزامي:

كان من أسس رسالة النبي صلّى الله عليه وسلّم إلزام المسلمين بالارتباط بالقران الكريم تلاوة وتعلما لأصل اللفظ ولأدائه يوميا، وتمثلت مظاهر هذا الإلزام في عدة أساليب تربوية:
1- ربط صحة أعظم عبادة يومية بإتقان شيء من القران الكريم: فاتحة كتاب أو ما يقوم مقامها، ولا بد من إخراج حروفها من مخارجها، وإعطائها حقها ومستحقها.
2- وسم من لم يقرأ عشر ايات في اليوم بالغافلة في قوله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ عشر ايات

في ليلة لم يكتب من الغافلين» «1» .
3- الأمر بتلاوة الكتاب عموما، وهو أمر يقتضي الوجوب، ويصدق على أقل ما يسمى قرانا كما في قوله جل جلاله: وَاتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتابِ رَبِّكَ (الكهف: 27) .
4- الإشارة إلى ذم من لم يتعلم سورا بعينها: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:
قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «تعلموا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة» «2» .
5- وجوب تعليمه على من علمه بدون أخذ أجرة في مقابله ما دام لم يتفرغ لذلك كليا أو جزئيا ... لأن منع تعليمه كتمان للعلم، والله سبحانه وتعالى يقول: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَالْهُدى مِنْ بَعْدِ ما بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتابِ أُولئِكَ

---

(1) الحاكم (1/ 742) ، مرجع سابق، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» .
(2) مسلم (1/ 553) ، مرجع سابق..

يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (البقرة: 159) ، وقد تقدم وجوب التبليغ ولو لاية واحدة.
وكتطبيق لهذا نرى النبي صلّى الله عليه وسلّم يرسل المقرئين إلى البلاد التي دخلها الإسلام:
كإرساله مصعب بن عمير وعبد الله بن أم مكتوم إلى المدينة، وكذلك أرسل إلى البلاد التي ترغب بالدخول في الإسلام كإرساله السبعين مقرئا إلى قبائل نجد التي زعم أصحابها أنهم دخلوا في الإسلام:
فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أتاه رعل وذكوان وبنو لحيان فزعموا أنهم قد أسلموا، واستمدوا على قومهم، فأمدهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بسبعين رجلا من الأنصار كنا ندعوهم القراء كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل، فلما بلغوا بئر معونة، غدروا بهم فقتلوهم، فبلغ ذلك النبي صلّى الله عليه وسلّم فقنت شهرا في صلاة الصبح يدعو عليهم «1» .
وهذا كله مقتض من الناحية المنهجية إنشاء المؤسسات الخاصة بتعليم القران الكريم، وإيجاد الاليات المناسبة لذلك، ويكون هذا من أهم واجبات الدولة، ولذا فلابد من أن يكون تعلم القران الكريم جزا من الحياة التعليمية للطالب المسلم في مرحلة التعليم العام، أو التعليم المتخصص الجامعي أيا كان تخصصه، ولا ينبغي أن تكون للرياضة وزارة خاصة ويقل القران عن أن تكون له الرعاية ذاتها، وإن كانت المقارنة هنا غير قائمة ... والمراد الاعتناء بالجوانب القرانية اللفظية الخاصة، وإلا فالأصل صدور كل تصرفات الأمة عن هدي القران.

---

(1) مسلم (1/ 469) ، البخاري (1/ 340) ، أبو عوانة في مسنده (4/ 464) ، مراجع سابقة.

ثانيا: التعليم الذاتي: (التعليم غير الإلزامي) :
وتمثل هذا النوع في الحث الشديد لكل أفراد الأمة ليحصّلوا أكبر قدر ممكن من فرض الكفاية في تعلم اللفظ القراني سواء من حيث الكمية، أو من حيث الهيئات والظواهر الصوتية التي تتصل بالجوانب اللفظية للقران الكريم، ومن هذه المظاهر:
1- بيان الأجر العظيم لمن يعلم ولده القران: فقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ القران وعمل بما فيه ألبس والداه تاجا يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا فما ظنكم بالذي عمل بهذا» «1» .
2- بيان تميز حافظ القران، وغناه ولو بايات معدودة: فعن أنس ابن مالك صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حدثه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سأل رجلا من صحابته فقال:
«أي فلان هل تزوجت؟» قال: لا! وليس عندي ما أتزوج به. قال: «أليس معك قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» قال: بلى! قال: «ربع القران» قال: «أليس معك قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ» قال: بلى! قال: «ربع القران» قال: «أليس معك إِذا زُلْزِلَتِ» قال: بلى! قال: «ربع القران» قال: «أليس معك إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ» قال: بلى! قال: «ربع القران» قال: «أليس معك اية الكرسي؟» قال: بلى! قال: «ربع القران» ، قال: «تزوج تزوج تزوج» «2» .
3- وكان هذا الحث يصل إلى حد الاستفزاز للفعل فعن عبد الله بن عمرو أن أبا أيوب الأنصاري كان في مجلس وهو يقول: ألا نستطيع أن نقوم بثلث القران

---

(1) أبو داود (2/ 70) ، أحمد (3/ 440) ، مرجعان سابقان، وانظر: لمحات الأنوار رقم 57، مرجع سابق.
(2) رواه الترمذي (5/ 166) ، مرجع سابق، وقال: «حسن» ، وانظر: لمحات الأنوار رقم (1522) ، مرجع سابق.

كل ليلة؟ قالوا: وهل نستطيع ذلك؟ قال: فإن قل هو الله أحد ثلث القران، قال فجاء النبي صلّى الله عليه وسلّم وهو يسمع أبا أيوب فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «صدق أبو أيوب» «1» .
4- تسمية سور مخصوصة وربطها بالحوادث الدينية والكونية: فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «ومن قرأ سورة الكهف كما أنزلت ثم أدرك الدجال لم يسلط عليه ولم يكن له عليه سبيل ومن قرأ خاتمة سورة الكهف أضاء نوره من حيث قرأها ما بينه وبين مكة» «2» ، وعن ابن مسعود رضي الله عنه: مات رجل فجاءته ملائكة العذاب فقعدوا عند رأسه فقال: لا سبيل لكم عليه قد كان يقرأ لي سورة الملك، فجلسوا عند رجليه، فقال لا سبيل لكم إنه كان يقوم علينا يقرأ سورة الملك، فجلسوا عند بطنه، فقال لا سبيل لكم عليه إنه أوعى في سورة الملك فسميت المانعة «3» .
5- ومن أساليب النبي صلّى الله عليه وسلّم في الحث على حفظ السور، وتعظيم القران مما يؤدي إلى

الحفظ الذاتي: الترغيب بأقوى الأساليب الصادقة فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على أبي بن كعب ... قال: «أتحب أن أعلمك سورة لم ينزل لا في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها؟» قلت: نعم أي رسول الله! قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إني لأرجو ألاأخرج من هذا الباب حتى تعلمها» ، قال: فأخذ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بيدي يحدثني وأنا أتبطأ مخافة أن يبلغ قبل أن يقضي الحديث فلما دنونا من الباب، قلت: أي رسول الله ما

---

(1) مجمع الزوائد (7/ 147) ، مرجع سابق، وقال: «رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف» .
(2) عبد الرزاق (3/ 378) ، مرجع سابق، وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي ... انظر: لمحات الأنوار برقم 1018، مرجع سابق.
(3) رواه الحاكم (2/ 540) ، مرجع سابق، وصححه ووافقه الذهبي، وانظر: لمحات الأنوار برقم 1378، مرجع سابق.

السورة التي وعدتني؟ قال: ما تقرأ في الصلاة؟ قال: فقرأت عليه أم القران قال:
والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها إنها السبع المثاني «1» ، وعن عبد الله بن جابر الأنصاري رضي الله عنه قال له النبي صلى الله عليه وسلّم: «ألا أخبرك يا عبد الله بن جابر بأخير سورة في القران؟» قلت: بلى يا رسول الله! قال: «اقرأ الحمد لله رب العالمين حتى تختمها» «2» .
ونتيجة لذلك فقد انتشر حفظ القران بين كبار الصحابة وصغارهم رضي الله عنهم حتى كان البعض يتلقنه من أفواه المسافرين ويكفيه ذلك كعمرو بن سلمة، وساعد هذا أن الصحابة كانوا أمة يضرب بها المثل في الذكاء والألمعية وقوة الحافظة وصفاء الطبع وسيلان الذهن واحدة الخاطر حتى لقد كان الرجل منهم ربما يحفظ ما يسمعه لأول مرة مهما كثر وطال، وحسبك أن تعرف أن رؤوسهم كانت دواوين شعرهم، وأن صدورهم كانت سجل أنسابهم، وأن قلوبهم كانت كتاب وقائعهم، وأيامهم ثم جاء الإسلام فأرهف فيهم هذه القوى والمواهب، وزادهم من تلك المزايا والخصائص بما أفاد طبعهم من صقل ونفوسهم من طهر وعقولهم من سمو خصوصا إذا كانوا يسمعون لأصدق الحديث وهو كتاب الله «3» .

ثالثا: تعليم النبي صلّى الله عليه وسلّم لهم في مسألة أخذ الأجرة على إقراء القران:
نهاهم النبي صلى الله عليه وسلّم أن يقبلوا أجرا على تعليم القران الكريم، وقال: «من يأخذ على تعليم القران قوسا قلده الله قوسا من نار» «4» ، وقد كثرت الأحاديث في هذا المعنى ... وبناء على هذا منع بعض أهل العلم أخذ الأجرة على تعليم القران

---

(1) أحمد (2/ 412) ، مرجع سابق.
(2) الضياء في المختارة (9/ 130) ، مرجع سابق، وقال ابن كثير (1/ 11) : «هذا إسناد جيد» .
(3) انظر: مناهل العرفان (1/ 204) ، مرجع سابق.
(4) مجمع الزوائد (4/ 95) ، مرجع سابق، وقال: «رواه الطبراني في الكبير» .

الكريم، وعلة التحريم عندهم هي وجوب هذا التعليم وتعينه على المسلم:
فالتعليم للقران واجب إلزامي عام يجب بذله لمن لم يطلبه فكيف بمن طلبه؟ «1» .
وذهب الجمهور كعطاء ومالك «2» والشافعي وأبي ثور إلى جواز الاستئجار على قراءة القران– بل ذهب إلى ذلك الأئمة الثلاثة، ونقل القاضي عياض جواز الاستئجار لتعليم القران عن العلماء كافة إلا الحنفية– «3» ، وقال الحكم: لم أسمع أحدا كره أجر المعلم «4» ، وأجابوا عن أدلة المانعين، واستدلوا لمذهبهم بأدلة تعليمية صريحة في مشروعية حل الأجرة، ومن أبرز الأدلة: قوله صلّى الله عليه وسلّم: «إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله» «5» ، وهذا نص عام، وبقوله صلّى الله عليه وسلّم: «من أصاب برقية باطل فقد أصبت برقية حق كل وأطعم أصحابك» «6» .
وفصّل بعض أهل العلم بالنظر إلى الواقع الحقيقي للمسلمين، فنظر إلى أن المسلمين يشغلون عن ذلك بمعائشهم، وليس فيهم من يقوم به ويكفي الأمة ثغرته، فقال: «أخذ الأجرة على تعليم القران له حالات: فإذا كان في المسلمين غيره ممن يقوم به حل له أخذ الأجرة عليه لأن فرض ذلك لا يتعين عليه، وإذا كان في حال أو في موضع لا يقوم به غيره لم تحل له الأجرة وعلى هذا يؤول اختلاف الأخبار فيه» «7» .

---

(1) انظر: بداية المجتهد (2/ 168) ، مرجع سابق.
(2) انظر: الإمام مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي: المدونة الكبرى (1/ 62) ، دار صادر، بيروت.
(3) انظر: فتح الباري (9/ 213) ، شرح الزرقاني (3/ 169) ، مرجعان سابقان.
(4) البخاري (2/ 795) ، مرجع سابق.
(5) البخاري (5/ 2166) ، مرجع سابق.
(6) ابن حبان (13/ 474) ، الحاكم (1/ 747) ، والحديث في مجمع الزوائد (1/ 95) ، مرجع سابق، وتفصيل الموضوع في الأصل.
(7) انظر: عون المعبود (9/ 204) ، مرجع سابق.

وصفة الكلام هنا أن علة الاختلاف هي إلزامية تعليم القران، وأن القائلين بالإباحة يجدون الأجرة تعين على التفرغ، وهي أجرة على حق في مقابل من يأكله على باطل، وإن كانت الكمية الملزمة تختلف من فرض العين إلى فرض الكفاية– حتى كان من أجوبة من أباح الأجرة على أدلة من منعها: «أن تكون الاية– أي وَلا تَشْتَرُوا بِآياتِي ثَمَناً قَلِيلًا (البقرة: 41) – فيمن تعين عليه التعليم فأبى حتى يأخذه عليه أجرا فأما إذا لم يتعين فيجوز له أخذ الأجرة» «1» ومن ثم فيجب على الإمام أن يعين المقرئين لإقامة الدين من بيت المال، وإلا فعلى المسلمين لأن الصديق رضي الله عنه لما ولي الخلافة وعين لها لم يكن عنده ما يقيم به أهله فأخذ ثيابا وخرج إلى السوق فقيل له في ذلك فقال: ومن أين أنفق على عيالي؟

فردوه وفرضوا له كفايته «2» .

ورجح ابن تيمية أن الأجرة تباح «للمحتاج، ولهذا اتفق العلماء على أنه يرزق الحاكم وأمثاله عند الحاجة وتنازعوا في الرزق عند عدم الحاجة وأصل ذلك في كتاب الله في قوله سبحانه وتعالى في ولي اليتيم وَمَنْ كانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ (النساء: 6) «3» .

والحاجة– فيما يظهر– ليس للشخص الذي لا بد من تفرغه، بل لسد ثغرة الدين الأعظم من كل الثغور، وهي تعليم أصل أصول الإسلام والمسلمين، وجعله عاما شائعا في حياة المسلمين ... والتفرغ في الغالب مطلوب لذلك لجسامة المهمة التي يقوم بها معلم القران، وضرورة تفرغه في الغالب لتبعاتها ...

---

(1) القرطبي (1/ 336) ، مرجع سابق.

(2) القرطبي (1/ 336) ، مرجع سابق.

(3) ابن تيمية (30/ 193) ، مرجع سابق.

ولذلك فجواز الأجرة لمعلم القران كالإجماع، بل ذهب بعض المتأخرين إلى وجوبها، حتى أن فتوى الحنفية «اليوم على جواز الاستئجار لتعليم القران ...

استحسنوا ذلك وقالوا: بنى أصحابنا المتقدمون الجواب على ما شاهدوا من قلة الحفاظ، ورغبة الناس فيهم، ولأن الحفاظ والمعلمين كان لهم عطايا في بيت المال، وافتقادات من المتعلمين في مجازات التعليم من غير شرط وهذا الزمان قل ذلك، واشتغل الحفاظ بمعائشهم، فلو لم يفتح لهم باب التعليم بالأجر لذهب القران فأفتوا بالجواز، والأحكام تختلف باختلاف الزمان وكان محمد بن الفضل يفتي بأن الأجرة تجب ويحبس عليها» «1» .

وينبغي التنبيه إلى أن هذا الخلاف إنما هو في أخذ الأجرة من المتعلم لا إذا كانت الأجرة من بيت مال المسلمين كما هو واضح من كلام أهل العلم فيما تقدم، والكلام المتقدم لأهل العلم يدل صريحا على أن ذلك من مسؤوليات الدولة المباشرة ... ولذا تنبغي المناداة بقيام وزارات لرعاية شؤون القران الكريم تكون رديفة لوزارات التعليم والتوجيه والمعارف، وتستقل للأهمية البالغة ...

وليست الرياضة بأحق في منحها وزارة مستقلة.
على أن الباحث يختم هه المسألة بضرورة التذكير بالإخلاص وابتغاء وجه الله عزّ وجلّ والتعفف عن أجر القران ما دام المرء في غنى عنه قدر الإمكان فذلك أدعى أن يبسط للمرء باب القبول في الدنيا والاخرة، وقد قال الحسن البصري: «قرأ القران ثلاثة: رجل أخذه بضاعة ينقله من مصر إلى مصر يطلب به ما عند الناس، وقوم قرؤوا القران وحافظوا حروفه وضيعوا حدوده، واستنزلوا به الولاة، واستطالوا به على أهل بلادهم، فقد كثر هذا الضرب في حملة القران لا كثرهم الله، ورجل

(1) البحر الرائق (8/ 22) ، مرجع سابق، وانظر: تحفة الأحوذي (6/ 191) ، مرجع سابق.

قرأ القران فتداوى بدواء القران فوضعه على داء قلبه فسهر ليله، وعملت عيناه، تسربلوا الحزن، وارتدوا بالخشوع» «1» .

المطلب الخامس: التدرج في التعليم:
نقف عند تأمل ما ورد في هذا الباب أمام جهاز تربوي عظيم له أساليبه المتعددة في التوجيه والتحضيض، والنشر والإعلام ...

ومن مظاهر هذا التدرج:
1- نزول القران الكريم منجما في ذاته على الرغم من أنه قد أنزل إلى بيت العزة من السماء الدنيا جملة: وفي هذا أعظم البيان على إرادة الله سبحانه وتعالى ثم رسوله المبلغ صلى الله عليه وسلّم أن يتدرج الصحابة رضي الله عنهم في حفظه ويستوعبوه بأيسر طريق، ولا يعترض على هذا بأن المراد بالتنجيم هنا نزوله على الحوادث، لعدم التنافي بين الأمرين من جهة، على أنه ليس كل ما في القران نزل بسبب أو بحادثة.
2- كان النبي صلى الله عليه وسلّم يقرئهم قليلا قليلا: ف «كان صلّى الله عليه وسلّم يعلمهم خمسا خمسا، وعشرا عشرا» «2» ، ويتلقونها كذلك ... وهذا مقتضى تربوي ومنهجي من مقتضيات نزول القران منجما ...
3- كان صلى الله عليه وسلّم يحثهم على حفظ عدد معين من الايات كعشر، ويتدرج في الحث والإلزامية لذلك على نحوين:

(1) (البيهقي) أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ت 458 هـ: شعب الإيمان (2/ 531) ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1410 هـ.
(2) شعب الإيمان (2/ 331) ، ابن أبي شيبة (6/ 117) مرجعان سابقان.

الأول: إخراج القارئ أو الحافظ القارئ لهذا القدر من حيز الغافلة كما في قوله صلى الله عليه وسلّم: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ عشر ايات في ليلة لم يكتب من الغافلين» «1» .

الثاني: بيان الربح الحسي العظيم عند حفظ هذا القدر: فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رجلا جاء إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال: يا نبي الله! اشتريت مقسم بني فلان في تخت فيه كذا وكذا قال: «أفلا أنبئك بما هو أكثر منه ربحا» قال: وهل يوجد؟ قال:

«رجل تعلم عشر ايات» فذهب الرجل فتعلم عشر ايات، فأتى النبي صلّى الله عليه وسلّم فأخبره «2» ، ومثل هذا الربح ما ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «من قرأ عشر ايات من سورة البقرة في ليلة لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة حتى يصبح أربعا من أولها وأية الكرسي وايتان بعدها وثلاث خواتيمها أولها لله ما في السماوات» «3» . ويمثل البيان للفضل نوعا من التدرج ليحفظ المخاطب أكثر بغية الحصول على فضل أكثر أو فضل معين متميز.

4- التعلم الجزئي والجملي:

وكان النبي صلى الله عليه وسلّم يحثهم على التعلم جمليا للقران كله تشويقا وتهييجا، ثم يعود صلى الله عليه وسلّم فيحثهم جزئيا ليتدرج بهم، ويقدح في خلدهم إمكانية فعل بعضها على الأقل ... فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول:

«اقرأوا القران فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة ال عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو

---

(1) الحاكم (1/ 742) ، مرجع سابق، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» .

(2) الحاكم (1/ 743) ، مرجع سابق، ورواه الضياء في المختارة (8/ 278) .

(3) الدارمي (2/ 541) ، مرجع سابق.

كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة» «1» .

أنموذج تطبيقي:

ولأن التدرج في الإقراء كان فعله صلّى الله عليه وسلّم فقد كانت طريقته التعليمية الإرشادية هي التي تستفز الصحابة رضي الله عنهم للحفظ والإتقان على هيئة متدرجة، ولذا فسنأخذ نموذجا تستبين فيه الطريقة العلمية التي كان يسلكها النبي صلّى الله عليه وسلّم لإلزام أصحابه بحفظ القران

واستظهاره دون إلزام! مباشر، فقد روى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: «من قرأ عشر ايات من الكهف عصم من فتنة الدجال» «2» ، دون تحديد لمكان العشر وهو تحضيض على حفظ أي عشر منها، وروى النواس بن سمعان قال: ذكر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الدجال فقال: «من راه منكم فليقرأ فواتح سورة الكهف» «3» دون تحديد لكمية هذه الفواتح، وحددت الفواتح بعشر فيما رواه مسلم عن أبي الدرداء مرفوعا: «من حفظ عشر ايات من أول سورة الكهف عصم من الدجال» وفي لفظ عنده: «من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف» ، ورواية «العشر الأخيرة» تدرج اخر وحثّ فبقيت كل أجزاء السورة محفوظة بين الغالب الأعم من المسلمين، وإنما نوّع الكمية التي تحفظ ومكانها من السورة بغية الوصول بالمسلمين إلى حفظها كلها، أو إلى أن يحفظها معظم المسلمين

---

(1) مسلم (1/ 553) ، مرجع سابق.
(2) ابن حبان (3/ 65) ، مرجع سابق، انظر: (النسائي) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ت 303 هـ: فضائل القران ص 95، تحقيق: د. فارروق حمادة، دار إحياء العلوم، بيروت، ط 2، 1992 م.
(3) مسلم (4/ 2252) ، الحاكم (4/ 538) ، الترمذي (4/ 510) ، أبو داود (4/ 117) ، النسائي في الكبرى (5/ 15) ، ابن ماجة (2/ 1356) ، مراجع سابقة.

ولو بالتوزيع بينهم، فقد يفضل البعض أولها، وقد يختار بعضهم اخرها، وقد يختار البعض ما بين ذلك، والعادة جارية بذلك كله ... هذا إن لم يقم الواحد منهم بحفظها مع أن التحضيض على ذلك شديد، وبذا جمع السيوطي بين الروايات المختلفة فقال: «وعلى هذا يجتمع رواية من روى أول سورة الكهف مع من روى من اخرها ويكون ذكر العشر على جهة الاستدراج في حفظها كلها» «1» ، وهذا أرجح وأملح من جعل بعض الروايات شاذة بالميزان الحديثي لأول وهلة؛ إذ الترجيح فرع التعارض، ولا تعارض مع الجمع.
وفي حال عدم الحفظ لهذه السورة– وهذا نادر مع هذا الحض الشديد والتهييج البالغ لحفظها– فقد حث النبي صلّى الله عليه وسلّم على قراءتها ولو نظرا فيما رواه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له النور ما بينه وبين البيت العتيق» «2» وفي لفظ: «أضاء له النور ما بين الجمعتين» «3» .
وحفنا الله عزّ وجلّ بتنوع الأجر فيها زيادة في التحضيض على حفظها والتدرج على حفظها، فعن معاذ ابن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: «من قرأ أول سورة الكهف واخرها كانت له نورا من قدمه إلى رأسه ومن قرأها كلها كانت له نورا ما بين الأرض إلى السماء» «4» ، على أنه– مع ذلك– أمر بإتقانها

---

(1) نقله عنه صاحب عون المعبود (11/ 304) ، وصاحب تحفة الأحوذي (8/ 157) ، مرجعان سابقان.
(2) الدارمي (2/ 546) ، مرجع سابق، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم 6471، مرجع سابق.
(3) الحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم 6470، مرجع سابق.
(4) الطبراني في الكبير 20/ 197، مرجع سابق.

إتقانا بينا من حيث الأداء فيما رواه أبو سعيد الخدري أن نبي الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «من قرأ سورة الكهف كما أنزلت كانت له نورا من مقامه إلى مكة ومن قرأ بعشر ايات من اخرها فخرج الدجال لم يسلط عليه» «1» .
وهو هنا حثّ على حفظ الأصل اللفظي وقراءته كما حث على إتقان أداء اللفظ بأسلوب تعليمي متدرج كاد يشبه الإلزام التكليفي والفعلي ويظهر أنه فاق ذلك، ولكن بأسلوب فريد كم هو بحاجة وإلى تأمل وإعجاب.
وليس المراد من الحديث مجرد القراءة والحث بفضل مزيّف ... حاشا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من ذلك، وقد أنكر ذلك العلماء فقد قال الغزالي: «وأما قوله عليه السّلام قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (الإخلاص) تعدل ثلث القران فما أراك أن تفهم وجه ذلك فتارة تقول هذا ذكره للترغيب في التلاوة وليس المعنى به التقدير وحاشا منصب النبوة عن ذلك» «2» ، بل هذا الذي ذكر ها هنا من إرادة الحفظ إنما دلت عليه دلالة التنبيه، وهي فوق دلالة الإشارة «3» .

---

(1) النسائي في الكبرى (6/ 236) ، مرجع سابق.
(2) (الغزالي) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ت 505 هـ: جواهر القران ص 77، تحقيق: د. محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط 1، 1985 م.
(3) انظر في دلالة التنبيه (الامدي) علي بن محمد الامدي أبو الحسن ت 631 هـ: الإحكام في أصول الأحكام (3/ 71) ، تحقيق: د. سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1404 هـ.

المبحث الثالث: وسائل النشر التعليمية لألفاظ القران الكريم في عموم المجتمع المسلم كما قام بها النبي صلّى الله عليه وسلّم:
تقدم في الفصل الأول أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قام بوظيفته على أوسع نطاق جغرافي وتاريخي،

وظهر هناك ما قام به النبي صلّى الله عليه وسلّم لذلك، ويذكر هنا الوسائل التعميمية للقران الكريم، كما جعلت هذه الوسائل نشر القران مسألة ضرورية ذاتية لكون المسلمين مسلمين إجمالا، ولكون المجتمع المسلم مجتمعا مسلما، فلا يكتفي المسلم بمجرد مصحف معلّق في بيته- مع حسن ذلك-، ولأن هذه الوسائل تنقسم إلى وسائل عامة، ووسائل خاصة أكثر ظهورا في النشر، فإن البحث ينقسم إلى:

المطلب الأول: وسائل النشر العامة.

المطلب الثاني: (الصلاة) وسيلة لنشر القران وتعليمه.

المطلب الثالث: منح قراء القران الصدارة في الألقاب العلمية وقيادة الناس.

المطلب الرابع: تعليمهم تسمية السور وألقابها.

المطلب الأول: وسائل النشر العامة:

وهي تمثل عمل جهاز تعميمي للثقافة القرانية خارج نطاق الحيز المكاني للجامعة القرانية: وتنقسم إلى وسائل تطبيقية فيه شيء من شبه الإلزام، وإلى وسائل إغرائية دعائية ولكن بالحق، والصدق، وليس بمجرد الإغراء والدعاية:

أولا: وسائل تطبيقية شبه إلزامية وهي وسائل النشر العامة:

1- التعليم العام للقران الكريم: فقد أقرأ صلّى الله عليه وسلّم مبلغ جهده، وخصص مقرئين للافاق ...

2- ربط الحياة اليومية للمسلمين بايات القران الكريم: فالمسلم يستيقظ فيقرأ عشر ايات من اخر سورة ال عمران، ثم يقرأ اية الكرسي والمعوذات في مواضعها من يومه، ويختم ليلته بقراءة لسور الإسراء والزمر أو الملك أو أواخر البقرة على الأقل، ولا بد أن يقرأ عشر ايات في اليوم حتى لا يكون من الغافلين.

3- أمر النبي صلّى الله عليه وسلّم لهم بكتابة القران والتشديد في ذلك حتى منع من كتابة غيره معه في أول الأمر: كما قال لهم صلّى الله عليه وسلّم: «لا تكتبوا عني، ومن كتب غير القران فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» «1» .

4- ربط الحرز اليومي، أو سد التقصير بالقران الكريم: فقد جاء عن عبد الرحمن بن يزيد قال: لقيت أبا مسعود عند البيت فقلت: حديث بلغني عنك في الايتين في سورة البقرة؟ فقال: نعم! قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «الايتان من اخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه» «2» والمعنى: «أغنتاه عن قيام اللّيل وقيل أراد أنهما أقلّ ما يجزئ من القراءة في قيام الليل، وقيل تكفيان الشّرّ وتقيان من المكروه» «3» ، وكالمعوذات، والتحرز من الشيطان باية الكرسي ...

5- الأمر بتعلمه وجعله أول مادة دراسية في إطار منهج بناء الأمة: كما قال ابن مسعود رضي الله

عنه: «هذا القران مأدبة الله فمن استطاع أن يتعلم منه شيئا فليفعل فإن أصغر البيوت من الخير الذي ليس فيه من كتاب الله شيء، وإن البيت الذي ليس فيه من كتاب الله شيء كخراب البيت الذي لا عامر له، وإن

(1) مسلم (4/ 2298) ، ابن حبان (1/ 265) ، الحاكم (1/ 216) ، أحمد (3/ 12) ، مراجع سابقة.
(2) البخاري (4/ 1174) مسلم (1/ 554) ، مرجعان سابقان.
(3) النهاية (4/ 193) ، مرجع سابق.

الشيطان يخرج من البيت يسمع فيه سورة البقرة» «1» وظاهر أن الحديث له حكم الرفع فقوله: «فمن استطاع أن يتعلم منه شيئا فليفعل» ظاهر فيه الإلزام للتعلم، وتقدمت في الفصل الأول الأدلة الامرة بالتعلم ... ومع هذه الأدلة التي تعم الراعي والرعية فإن نفي الاستطاعة غير موجود في مؤسسات المجتمعات الإسلامية ويأمل المرء أن يجد مناهج كليات الطب والهندسة، والحاسوب ... ونحوها من الكليات الفنية غير خلية من هذه المادة العامة الأساسية، مع أنه يوجد المتفوقون والنابهون في الغالب، وقد تقرر عليهم محفوظات كثيرة، ولا يقرر عليهم حفظ شيء من القران مفسرا تفسيرا ميسرا «2» ، بالإضافة إلى الربط الإسلامي التربوي للمناهج المأخوذة في مثل هذه الكليات بالقران الكريم والمعتقدات الإسلامية، ولو بإشارات خفيفة قياما بالتذكير، ودرا للغافلة.
6- وكان صلّى الله عليه وسلّم يعلمهم سماع القران إذا لم يريدوا تلاوته مباشرة لعارض كسل، أو لإرادة تدبر، أو غيره: كما سمع صلّى الله عليه وسلّم من ابن مسعود رضي الله عنه، ولذا بوب البخاري باب «من أحب أن يسمع القران من غيره» «3» .
7- صبغ الأجواء ومختلف الأمكنة بالقران: فيحثهم على قراءة القران في البيت، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «إن البيت يقرأ فيه القران يكثر خيره والبيت الذي لا يقرأ فيه القران يقل خيره» «4» ، ومن هذا الباب قوله سبحانه وتعالى: الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِياماً وَقُعُوداً وَعَلى جُنُوبِهِمْ ... (ال عمران: 191)

(1) الدارمي (2/ 521) ، عبد الرزاق (3/ 368) ، المعجم الكبير (9/ 129) مراجع سابقة.
(2) انظر: أحمد علي الإمام (دكتور) : مفاتح فهم القران: تفسير لغريبه، وتأويل لمشكله، دار المنى، دمشق، ط 1، 1421 هـ- 2000 م كمقترح لهذا التفسير الميسر، أو يعتمد تفسير الجلالين.
(3) البخاري (4/ 1925) ، مرجع سابق.
(4) رواه الدارقطني في الأفراد. انظر: مجمع الزوائد (7/ 171) .

والقران أعظم الذكر، ومن هذا الباب حديث عبد الله بن المغافل في قراءة النبي صلّى الله عليه وسلّم القران على دابته ... ليصير الجو مصبوغا بصبغة الله جل جلاله: وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً (البقرة: 138) ، ويبلغ التفاعل مع القران وصبغ الأجواء به حدا أن يصبغ الرسول صلّى الله عليه وسلّم بصبغة القران: فقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «شيبتني هود وأخواتها سورة الواقعة وسورة القيامة والمرسلات وإذا الشمس كورت وإذا السماء انشقت وإذا السماء انفطرت قال وأحسبه ذكر سورة هود» «1» .

8- ترديد القران في مواضع حياتهم اليومية: كقراءة قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ (الكافرون: 1) عند النوم، ومثلها اية الكرسي وأواخر سورة البقرة: فعن جبلة رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قلت علمني شيئا ينفعني، قال: «إذا أخذت مضجعك فاقرأ قل يا أيها الكافرون حتى تختمها فإنها براءة من الشرك» «2» ، وتكثر الايات التي تردد عقب الصلوات وقبل النوم وبعد الاستيقاظ منه ...

9- الأمر بقراءة أقل قدر مستطاع من القران الكريم خارج الفاتحة: ففي صحيح ابن حبان عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلا أتى النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال: «يا رسول الله! أقرئني القران. قال: «اقرأ ثلاثا من ذوات الر» قال الرجل: كبر سني، وثقل لساني، وغلظ قلبي. قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «اقرأ ثلاثا من ذوات حم» فقال الرجل مثل ذلك ولكن أقرئني يا رسول الله سورة جامعة فأقرأه رسول الله إِذا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ (الزلزلة: 1) حتى بلغ من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال الرجل: والذي بعثك بالحق ما أبالي ألاأزيد عليها حتى ألقى الله، ولكن أخبرني بما علي من العمل أعمل ما أطقت العمل.

---

(1) الحاكم (2/ 374) ، الترمذي (5/ 402) ، سعيد بن منصور في سننه (5/ 370) ، مرجع سابق.

(2) النسائي في الكبرى (6/ 200) ، مرجع سابق.

قال: الصلوات الخمس، وصيام رمضان، وحج البيت، وأد زكاة مالك، ومر بالمعروف وانه عن المنكر «1» . ومراد الرجل أن يحفظ فلينظر كيف أمره النبي صلّى الله عليه وسلّم بحفظ هذه السور الطوال؟ ولذا فإن معنى قوله: «وغلظ قلبي» أي غلب عليه قلة الحفظ وكثرة النسيان و «ثقل لساني» أي ثقل بحيث لم يطاوعني في تعلم القران ولا تعلم السور الطوال» «2» .

10- قيام كتبة الوحي بتبليغ النازل من القران الكريم: فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: كنت أكتب الوحي لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته برحاء شديدة، وعرق عرقا شديدا مثل الجمان ثم سرى عنه فكنت أدخل عليه بقطعة الكتف أو كسرة فأكتب وهو يملي علي، فما أفرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل القران، حتى أقول لا أمشي على رجلي أبدا فإذا

فرغت قال: «اقرأ» فأقرأه فإن كان فيه سقط أقامه ثم أخرج به إلى الناس «3» .
11- ومثله إقامة النواب عنه صلّى الله عليه وسلّم في الإقراء: فعن عبادة بن الصّامت رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يشغل فإذا قدم رجل مهاجر على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم دفعه إلى رجل منّا يعلّمه القران ... » «4» .
12- جعله خير ما يتقرب به المتقربون: فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ما وما تقرّب العباد إلى الله تعالى بمثل ما خرج منه يعني القران» «5» .

---

(1) ابن حبان (3/ 50) ، أبو داود (2/ 57) ، النسائي في الكبرى (5/ 16) ، والصغرى (2/ 158) ، أحمد (4/ 149) ، مراجع سابقة.
(2) انظر: عون المعبود (4/ 192) ، مرجع سابق.
(3) الطبراني في الأوسط (2/ 257) ، والكبير (5/ 142) ، مرجعان سابقان.
(4) المختارة (8/ 267) ، أحمد (5/ 324) ، مرجعان سابقان.
(5) الترمذي (5/ 176) ، أحمد (5/ 268) ، مرجعان سابقان.

13- التفضيل لبعض السور من باب التحضيض التنويعي على قراءتهن: مما يجعل النفس تتشوف إلى حفظها أو تلاوتها ... ولنأخذ سورة البقرة نموذجا لأنها أطول السبع الطول: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر فإن الشيطان ينفر من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة» «1» .
14- الترهيب من عدم القراءة: وفيه تعميم للقراءة فهي قراءة عامة تتوجه لكل الأمة: كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه الذي تقدم قبل قليل في رقم (5) من هذه الفقرة.

ثانيا: وسائل إغرائية دعائية ولكن بالحق، والصدق، وليس بمجرد الإغراء والدعاية الباطلة:
فتلحظ من طريقة القران وأسلوب النبي صلّى الله عليه وسلّم في نشر القران وتعميم تعليمه منهجا تشويقيا إغرائيا يؤدي إلى تعظيم القران وتبجيله، وتعلمه- من بعد- ليصبغ جو المسلمين بالثقافة القرانية، وتمثل ذلك في عدة مظاهر:
كثرة الأسماء المعنوية، والصفات المختلفة للقران: فإن ذلك يجذب المرء إليه، ويجعله شديد التعظيم له، على أن مقاصد القران الكريم مختصرة في أسمائه، وهو إعجاز من نوع اخر ...
فمن أسمائه المذكورة في ثناياه: التنزيل، والذكر، والزبور، والسبع المثاني، والصحف، والفرقان، والكتاب، والنور، والبشرى، والبصيرة، والبلاغ، والحق، والحكيم، والذكرى، والرحمة، والشفاء، والعربي، والعزيز، والعظيم، والعلي، والكريم، والمبارك، والمبين، والمجيد ...

(1) مسلم (1/ 539) ، وانظر ما جمعه الغافقي في لمحات الأنوار ابتداء من الحديث رقم 726 حول فضلها، وكيف تنوع أسلوب بيان الفضل عند النبي صلّى الله عليه وسلّم.

نسبة التعليم فيه إلى الله سبحانه وتعالى في قوله: الرَّحْمنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) (الرحمن: 1- 2) ، وهذا شبيه بنسبة فضل الصوم إليه في قوله جل جلاله «الصوم لي وأنا أجزي به» ، ولكن هذا ورد في الحديث والأول في القران، وفي ذلك إغراء شديد بتعلم ألفاظ القران الكريم.
الأمر بتلاوته وتفصيل ادابها في القران الكريم ذاته، وهو أمر لافت ... أن يختزل ذكر بعض الأحكام الفقهية اليومية كالوضوء والصلاة، فتذكر إجمالا في القران الكريم، ويذكر الأمر بالتلاوة وتفصل ادابها وفضائلها.
إخبار الله ونبيه صلّى الله عليه وسلّم عن الأجور العظيمة التي يهبها الله لمن يتقن القران أو بعضا منه مما يجعل المرء يقدس القران أعظم التقديس فمن ذلك فعن بريدة رضي الله عنه قال: كنت جالسا عند النبي صلّى الله عليه وسلّم فسمعته يقول: «تعلموا البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة، قال: ثم سكت ساعة ثم قال: تعلموا البقرة وال عمران فإنهما الزهراوان يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف وإن القران يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول هل تعرفني فيقول ما أعرفك فيقول أنا صاحبك القران الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك وإن كل تاجر من وراء تجارته وإنك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا فيقولان عم كسينا هذا فيقال بأخذ ولد كما القران ثم يقال اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها فهو في صعود ما دام يقرأ حدرا كان أو ترتيلا» «1» ، وكان التابعون من تلاميذ الصحابة رضي الله عنهم يذكرون هذا الحديث بأسلوبهم، فعن وهب الذّماريّ قال:

(1) الدارمي (2/ 543) ، أحمد (5/ 348) ، مرجعان سابقان.

من اتاه الله القران فقام به اناء اللّيل واناء النّهار وعمل بما فيه ومات على الطّاعة بعثه الله يوم القيامة مع السّفرة والأحكام- قال سعيد السّفرة الملائكة والأحكام الأنبياء- قال: ومن كان حريصا وهو يتفلّت منه وهو لا يدعه أوتي أجره مرّتين، ومن كان عليه حريصا وهو يتفلّت منه ومات على الطّاعة فهو من أشرافهم، وفضّلوا على النّاس كما فضّلت النّسور على سائر الطّير، وكما فضّلت مرجة خضراء على ما حولها من البقاع فإذا كان يوم القيامة قيل: أين الّذين كانوا يتلون كتابي لم يلههم اتّباع الأنعام فيعطى الخلد والنّعيم فإن كان أبواه ماتا على الطّاعة جعل على رؤسهما تاج الملك

فيقولان: ربّنا ما بلغت هذا أعمالنا؟ فيقول بلى إنّ ابنكما كان يتلو كتابي، ومن ذلك ما جاء عن كعب قال: عليكم بالقران فإنّه فهم العقل ونور الحكمة وينابيع العلم وأحدث الكتب بالرّحمن عهدا وقال في التّوراة: يا محمّد إنّي منزّل عليك توراة حديثة تفتح فيها أعينا عميا واذانا صمّا وقلوبا غلفا «1» .

التشويق بالتشبيه بالمحسوسات: فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: «مثل الذي يقرأ القران ولا يعمل به كمثل ريحانة ريحها طيب ولا طعم لها، ومثل الذي يعمل بالقران كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل الذي يعمل بالقران ويقرؤه كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل الذي لا يقرأ القران ولا يعمل كمثل الحنظلة طعمها خبيث وريحها خبيث» «2» .

---

(1) الدارمي (2/ 525) ، مرجع سابق.

(2) مجمع الزوائد (7/ 159) ، مرجع سابق، وقال: «روى ابن ماجه منه طرفا رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح» .

المطلب الثاني: (الصلاة) وسيلة لنشر القران وتعليمه:

ربط العبادات الإسلامية بالقران الكريم:

ربطت العبادات الإسلامية بالقران الكريم سماعا وإسماعا، وقراءة وإقراء ...

سواء كانت هذه العبادات:

يومية (كالصلاة) ، أو قراءة ايات أو سور عند النوم، أو عند الاستيقاظ منه فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلّم كان يقرأ في كل ليلة سورة بني إسرائيل والزمر «1» ، وفعله للاقتداء كما سبق.

أم كانت أسبوعية كيوم الجمعة كما ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: «إن من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين» «2» ، ومن ذلك قراءته التعليمية على المنبر في خطبة الجمعة حيث يجتمع أكبر قدر من المسلمين، حيث قد ثبتت هذه الناحية التعليمية لألفاظ القران في خطبة الجمعة بصفة عامة كما في حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: كانت له صلّى الله عليه وسلّم خطبتان يجلس بينهما: يقرأ القران ويذكر الناس «3» ، ومن أمثلة أثر هذا النوع من تعليم القران ما جاء عن أمّ هشام بنت حارثة بن النعمان قالت: لقد مكثنا سنة أو سنتين كان تنّورنا وتنّور النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم واحدا سنتين أو سنة وبعض سنة وما أخذت ق والقران المجيد إلّا على لسان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان يقرأ بها كلّ يوم جمعة على المنبر إذا خطب النّاس وفي لفظ: كان يعلم الناس يقرأها كل جمعة على المنبر «4» .

---

(1) الحاكم (2/ 472) ، النسائي في السنن الكبرى (6/ 444) ، الترمذي (5/ 475) ، مراجع

سابقة.
(2) الحاكم (2/ 399) ، النسائي (1/ 372) ، مرجعان سابقان.
(3) مسلم (2/ 589) .
(4) مسلم (2/ 595) .

– أم كانت العبادات سنوية كما في رمضان وهو شهر القران حيث ينفر الناس خفافا وثقالا لتدارس القران وأقل المسلمين في الغالب الأعم من يختم مرة على الأقل.
أم كانت عمرية (الحج) .
وهذا الربط بالقران الكريم إما فهما وإما قراءة في معظم تفاصيل وجزيئات تلك العبادة ... وبذا لا يستطيع مسلم داخل في هذا المسمى (الإسلام) إلا أن يتعلم الواجب العيني من القران الكريم، وهذه نقطة جديرة بالنظر ...

الصلاة:
وإنما أفردناها بالذكر لأثرها البالغ فهي عبادة تؤدى خمس مرات يوميا، منها ست ركعات جهرية– على الأقل–، ولنذكر بشيء من التفصيل ربط الصلاة بالقران الكريم، والأثر التعليمي لذلك على مستوى ألفاظ القران الكريم عظيم؛ إذ أضحت هذه المفروضات اليومية وسيلة لنشر القران الكريم تحفيظا وإقراء، وصارت الصلاة بذلك مدار قراءته وتلقينه للايات «قارن هذه النقطة فقط بما عند أهل الكتابين فضلا عن غيرهم في حفظ كتاب الله عزّ وجلّ، أو جعله عاما» :
فقد كان صلّى الله عليه وسلّم يقرأ معظم القران موزعا على ركعات الفريضة اليومية:
وذلك إن لم يكن يقرؤه كله، ويدل على هذا ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: ما من سورة من المفصل صغيرة ولا كبيرة إلا وقد سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقرأها كلها في الصلاة «1» ، وكان صلّى الله عليه وسلّم يعدد الاي في الصلاة فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يعدد الاي في الصلاة «2» ، وكان الصحابة رضي الله عنهم

(1) الطبراني في الكبير (12/ 365) ، مرجع سابق، وهو في مجمع الزوائد (2/ 114) ، مرجع سابق.
(2) الحديث عزاه في مجمع الزوائد (2/ 114) إلى الطبراني، مرجع سابق، وانظر: البيهقي في الكبرى (2/ 253) ، أبو داود (2/ 253) ، مرجعان سابقان فقد بوبا لعد الاي في الصلاة.

يختمون القران في الصلاة، ولا يفعلون ذلك إلا عن اقتداء فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم يقرؤن القران من أوله إلى اخره في الفرائض «1» ، وعن أبي العالية: قال أخبرني من سمع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: «لكل سورة حظها من الركوع والسجود» «2» ، وعن أبي برزة رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان يقرأ في صلاة الغداة من الستين إلى المائة «3» وفي هذا دلالة واضحة على متابعتهم الدقيقة له، حتى كانوا يعدون الايات؛ إذ لم تكن عدد الايات قد دونت بالصورة السهلة الموجودة في عهدنا، ثم استمر العلماء على استحباب ذلك القدر في الصلاة «4» ، وعن ابن عباس قال: إن أم الفضل بنت الحارث سمعته وهو يقرأ وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً (المرسلات: 1) فقالت: يا بني! لقد ذكرتني بقراءتك هذه السورة إنها لاخر ما سمعت رسول الله يقرأ بها في المغرب «5» ، وروى ابن مسعود وابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم أن النبي صلّى الله عليه وسلّم كان يقرأ في الركعة الأولى من الفجر ب «ألم تنزيل السجدة» ، وفي الاخرى ب «هل أتى على الإنسان» «6» ، بل كان ذلك واضحا حتى قبل الصدع بالدعوة، فعن أسماء بنت أبي بكر قالت: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يصلي نحو الركن قبل أن يصدع بما يؤمر، والمشركون يسمعون «فبأى الاء ربكما تكذبان» «7» .

---

(1) الطبراني في الأوسط 8/ 123، مرجع سابق.

(2) أحمد (5/ 59) ، مجمع الزوائد (2/ 114) ، مرجع سابق، وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح» .

(3) البخاري (1/ 202) ، مسلم (1/ 338) ، مرجعان سابقان.

(4) انظر مثلا: علاء الدين الكاساني ت 587 هـ: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (1/ 205) ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1982.

(5) مسلم (1/ 338) ، مرجع سابق، (الشافعي) محمد بن إدريس أبو عبد الله ت 204 هـ: مسند الشافعي ص 215، دار الكتب العلمية، بيروت.

(6) البخاري (1/ 303) ، مسلم (2/ 599) ، الحاكم (2/ 554) ، أبو داود (1/ 282) ، ابن ماجه (1/ 269) ، مراجع سابقة.

(7) مجمع الزوائد (2/ 115) ، مرجع سابق، وقال: «رواه أحمد والطبراني في الكبير وفيه ابن لهيعة وفيه كلام» .

وكان صلّى الله عليه وسلّم يقرأ بالطوال كثيرا، ويكمل السورة غالبا، فعن زيد بن ثابت وأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنهما أنه صلّى الله عليه وسلّم كان يقرأ في الركعتين من المغرب بسورة الأنفال «1» ، وقد يقرأ بغيرها لعارض كما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي صلّى الله عليه وسلّم يسمع بكاء الصبي وهو في الصلاة مع أمه فيقرأ بالسورة الخفيفة أو السورة القصيرة «2» .

وتسلسلت هذه المنهجية فقد ورد أن أبا بكر رضي الله عنه قرأ في الفجر سورة البقرة فلما فرغ قال له عمر: كادت الشمس تطلع يا خليفة رسول الله؟ فقال رضي الله عنه: لو طلعت لم تجدنا غافلين «3» ، وعن نافع قال: ربما أمنا ابن عمر رحمه الله بالسورتين والثلاث في الفريضة «4» .
ووصل الاعتناء بنشر القران الكريم أنه صلّى الله عليه وسلّم كان يسمعهم الايات في الصلاة السرية أحيانا، وضبطوا السور التي كان يقرؤها في الصلاة السرية، فعن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان يقرأ في صلاة الظهر في الركعتين الأوليين بفاتحة الكتاب وسورة في كل ركعة، وكان يسمعنا أحيانا الاية وكان يطيل في الأولى ما لا يطيل في الثانية، وكان يقرأ في الركعتين الاخريين بفاتحة الكتاب في كل ركعة.
قيل: وكذلك في صلاة العصر؟ قال: وكذلك في صلاة العصر «5» ، وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قرأ في المغرب بالأعراف فرقها في الركعتين «6» ، وعن

---

(1) مجمع الزوائد (2/ 118) ، مرجع سابق، وقال: «رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح» .
(2) أبو عوانة في مسنده (1/ 422) ، مرجع سابق.
(3) ابن أبي شيبة (1/ 310) ، مرجع سابق، عبد الرزاق (2/ 113) ، مرجع سابق.
(4) مجمع الزوائد (2/ 114) ، مرجع سابق، وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح» .
(5) البخاري (1/ 270) ، مسلم (1/ 333) ، المنتقى (1/ 56) ، أبو عوانة في مسنده (1/ 474) ، مراجع سابقة.
(6) سنن النسائي الكبرى (1/ 340) .

أنس رضي الله عنه أم أهل بيته فصلّى بنا الظهر والعصر فقرأ قراءة همسا فقرأ بالمرسلات والنازعات وعم يستاءلون ونحوها من السور «1» ، وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلّى الله عليه وسلّم كان يقرأ في الظهر والعصر سبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية «2» ، وعنه رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم صلّى بهم الهاجرة فرفع صوته، فقرأ وَالشَّمْسِ وَضُحاها (الشمس: 1) وَاللَّيْلِ إِذا يَغْشى (الليل: 1) فقال له أبي بن كعب: يا رسول الله أمرت في هذه الصلاة بشيء؟ قال: «لا! ولكني أردت أن أوقت لكم» «3» .
كان صلّى الله عليه وسلّم يسمعهم قراءته في الغالب في نوافل الليل خاصة فعن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صلّى الله عليه وسلّم يوتر بتسع ركعات، فلما أسن وثقل أوتر بسبع، وصلّى ركعتين وهو جالس يقرأ فيهن بالرحمن والواقعة قال أنس: ونحن نقرأ بالسور القصار إِذا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزالَها (الزلزلة: 1) وقُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ (الكافرون: 1) ونحوهما «4» .
ومثل ذلك كان فعل الصحابة، فتسلسلت المنهجية بذلك عن عبد الرحمن بن يزيد قال: صلّى ابن مسعود العشاء الاخرة فاستفتح بسورة الأنفال حتى بلغ نِعْمَ الْمَوْلى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (الأنفال: 40)

ركع، ثم قرأ في الركعة الثانية بسورتين من المفصل وفي رواية بسورة من المفصل «5» وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قدمت

---

(1) الطبراني في الأوسط (3/ 147) ، وهو في مجمع الزوائد (2/ 116) ، مرجعان سابقان.
(2) مجمع الزوائد (2/ 116) ، مرجع سابق، وقال: «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ورواه الطبراني في الأوسط» .
(3) الطبراني في الأوسط (9/ 106) ، والحديث في مجمع الزوائد (2/ 116) ، مرجعان سابقان.
(4) صحيح ابن خزيمة (2/ 143) ، مرجع سابق.
(5) البخاري (1/ 268) معلقا، ووصله الطبراني في الكبير (9/ 263) .

المدينة ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم بخيبر ورجل من بني غفار يؤم الناس فقرأ في الركعة الأولي بسورة مريم، وفي الثانية ويل للمطففين أحسبه قال في صلاة الفجر «1» .
ووضع ابن عباس قاعدة عامة لحفظ السور من في النبي صلّى الله عليه وسلّم في الصلاة، فعن كريب قال: سألت ابن عباس عن جهر النبي صلّى الله عليه وسلّم بالقراءة بالليل فقال: كان يقرأ في حجرته قراءة لو شاء حافظ أن يتعلمها لفعل «2» .
بل كانت القراءة في الصلاة وسيلة بلاغ وإنذار فعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقرأ بالطور في المغرب، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي «3» .
وربط الاجتهاد في النوافل بالقران الكريم: فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قام بعشر ايات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة اية كتب من القانتين ومن قام بألف اية كتب من المقنطرين» «4» ، والمقنطرين أي من المالكين مالا كثيرا والمراد كثرة الأجر «5» .

---

(1) شرح معاني الاثار (1/ 183) .
(2) شعب الإيمان (2/ 383) ، مرجع سابق.
(3) البخاري (4/ 1475) ، مسلم (1/ 338) ، مرجعان سابقان.
(4) أبو داود (2/ 57) ، ابن خزيمة (2/ 181) ، مرجعان سابقان.
(5) انظر: عون المعبود (4/ 172) ، مرجع سابق.

المطلب الثالث: منح قراء القران الصدارة في الألقاب العلمية وقيادة الناس:
وتمثل ذلك في التالي:

أولا: جعل حملة القران ممن يتلوه حق تلاوته هم المقدمون في إمامة الناس الدينية والدنيوية:
فأما الدينية فيكاد يكون هذا من المعلوم من الدين بالضرورة، لذا بوب ابن خزيمة: «باب استحقاق الإمامة بالازدياد من حفظ القران وإن كان غيره أسن منه وأشرف» «1» ، ثم ذكر حديث أبي مسعود «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله» «2» الحديث، ورواه الحاكم في مستدركه ولكن عوض قوله فأعلمهم بالسنة «فأفقههم فقها فإن كانوا في الفقه سوا فأكبرهم سنا» ، وقول بعضهم: إن الأقرأ زمن النبي صلّى الله عليه وسلّم كان الأعلم صحيح، لكن قد ورد تخصيص القراءة من حيث هي قراءة، ولفظه: «يؤم القوم أكثرهم قرانا، فإن كانوا في القران واحدا فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة واحدا فأفقههم فقها، فإن كانوا في الفقه واحدا فأكبرهم سنا» «3» .
وعلى هذا: فلا يقدّم أي معيار اخر إلا مع التماثل في القراءة، فعن أبي قلابة عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال أتيت النبي صلّى الله عليه وسلّم أنا وصاحب لي، فلما أردنا الإقفال قال لنا: «إذا حضرت الصلاة فأذنا ثم أقيما ثم ليؤمكما أكبركما» ، فقيل لأبي قلابة: فأين القراءة؟ قال: كانا متقاربين «4» .

---

(1) ابن خزيمة (3/ 5) ، مرجع سابق.
(2) مسلم (1/ 465) .
(3) الحاكم (1/ 370) ، مرجع سابق.
(4) مسلم (1/ 466) ، ابن خزيمة (1/ 206) ، أبو داود (1/ 161) ، مراجع سابقة.

وأما ما جاء عن أبي يوسف قال: قال أبو حنيفة: لما أردت طلب العلم جعلت أتخير العلوم، وأسأل عن عواقبها، فقيل: تعلم القران. فقلت: إذا حفظته فما يكون اخره؟ قالوا: تجلس في المسجد فيقرأ عليك الأحداث، ثم لا يلبث أن يخرج فيهم من هو أحفظ منك أو مساويك فتذهب رئاستك ...
فحكاية هشة لا يستسيغها اللسان لمكان أبي حنيفة، وقد قال الذهبي تعليقا عليها: «قلت: من طلب العلم للرئاسة قد يفكر في هذا وإلا فقد ثبت قول المصطفى صلوات الله عليه «أفضلكم من تعلم القران وعلمه» ، يا سبحان الله! وهل محل أفضل من المسجد؟
وهل نشر لعلم يقارب تعليم القران؟ كلا والله وهل طلبة خير من الصبيان الذين لم يعملوا الذنوب؟» «1» .

وعلمهم النبي صلّى الله عليه وسلّم ذلك تطبيقيا:
فجعل الحافظ (حامل القران) هو المقدم على أمور الناس الدينية والدنيوية ما دامت العوامل

المساعدة الاخرى قد وجدت فيه، وقد جعل النبي صلّى الله عليه وسلّم عثمان بن أبي العاص أمير الطائف «2» لما كان أكثرهم قرانا على الرغم من أنه أصغرهم سنا فعنه رضي الله عنه قال: قال النبي صلّى الله عليه وسلّم: «أمّ قومك» . «3» .، وبيان قصة تأميره رضي الله عنه عليهم فيما جاء عنه قال: قدمت في وفد ثقيف حين قدموا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فلبسنا حللنا بباب النبي صلّى الله عليه وسلّم فقالوا: من يمسك لنا رواحلنا؟ فكل القوم أحب الدخول على النبي صلّى الله عليه وسلّم وكره التخلف عنه، قال عثمان– وكنت أصغرهم– فقلت: إن شئتم أمسكت لكم على أن عليكم عهد الله لتمسكن لي إذا خرجتم.

---

(1) سير أعلام النبلاء (6/ 396) ، مرجع سابق.
(2) انظر: فتح الباري (13/ 241) ، مرجع سابق.
(3) أبو عوانة في مسنده (1/ 420) ، مرجع سابق.

قالوا: فذلك لك فدخلوا عليه، ثم خرجوا، فقالوا: انطلق بنا! قلت: أين؟
قالوا: إلى أهلك. فقلت: خرجت من أهلي حتى إذا حللت بباب النبي صلّى الله عليه وسلّم أرجع، ولا أدخل عليه، وقد أعطيتموني ما قد علمتم. قالوا: فاعجل فإنا قد كفيناك المسألة فلم ندع شيئا إلا سألناه. فدخلت: فقلت: يا رسول الله! ادع الله أن يفقهني في الدين ويعلمني. قال: «ماذا قلت» ، فأعدت عليه القول فقال: «لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد من أصحابك اذهب فأنت أمير عليهم وعلى من يقدم عليك من قومك» فذكر الحديث «1» ، وفي رواية أخرى مختصرة قال: فيها فدخلت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فسألته مصحفا كان عنده فأعطانيه «2» ، وما سأل مصحفا إلا لأنه كان أحفظهم.
فصارت الإمامة الدنيوية استحقاقا واجبا من استحقاقات الحافظ (حامل القران) ، بل يقدم الصغير على الكبار إذا كان قارئا كما ثبت في صحيح البخاري عن عمرو بن سلمة قال: كنا بماء ممر الناس، وكان يمر بنا الركبان، فنسألهم: ما للناس ما هذا الرجل؟ فيقولون: يزعم أن الله أرسله أوحى إليه كذا أوحى إليه، كذا فكنت أحفظ ذلك الكلام فكأنما يقر في صدري، وكانت العرب تلوم بإسلامها، فيقولون: أتركوه وقومه فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق، فلما كانت وقعة الفتح بادر كل قوم بإسلامهم، وبدر أبي قومي بإسلامهم، فلما قدم قال: جئتكم والله من عند نبي الله حقا. قال: «صلوا صلاة كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكثركم قرانا» فنظروا فلم يكن أحد أكثر مني قرانا لما كنت أتلقى من الركبان، فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو

---

(1) الطبراني في الكبير (9/ 50) .
(2) الاحاد والمثاني (3/ 191) .

سبع سنين، وكانت علي بردة إذا سجدت تقلصت عني، فقالت امرأة من الحي:
ألا تغطون عنا است قارئكم؟ فاشتروا فقطعوا لي قميصا فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص «1» ، وهذا يردّ ما ذهب إليه بعضهم من أن الصحابة لم يكونوا يؤمون إلا لأنهم فقهاء حيث أسلموا على كبر.

تسلسل المنهجية:
لقي نافع بن عبد الحارث عمر بن الخطاب بعسفان، وكان عمر استعمله على مكة فقال عمر: من استخلفت على أهل الوادي؟ قال:
استخلفت عليهم ابن أبزى. قال: ومن بن أبزى؟ قال: رجل من موالينا. قال عمر: فاستخلفت عليهم مولى. قال: إنه قارئ لكتاب الله تعالى، عالم بالفرائض، قاض. قال عمر: أما إن نبيكم صلّى الله عليه وسلّم قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به اخرين» «2» .

ثانيا: جعل من تعلمه وعلمه في الذروة العليا من الخيرية:
فإذا كانت أمة النبي صلّى الله عليه وسلّم خير أمة أخرجت للناس، فإن خيرها هم من علم القران وعلمه، وقد ورد هذا في تعليمه صلّى الله عليه وسلّم للصحابة رضي الله عنهم أهمية ذلك من طريق عدد من الصحابة، فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «خيركم من تعلم القران وعلمه» «3» ، ونحوه عن أنس ابن مالك رضي الله عنه، ومثله عن علي وعبد الله بن مسعود «4» ، وفي لفظ «خيركم من قرأ القران وأقرأه» «5» ، ومن هذا الحديث تستبين المعالم التالية:

---

(1) البخاري (4/ 1564) ، مرجع سابق.
(2) ابن ماجة (1/ 79) ، مرجع سابق.
(3) البخاري (4/ 1919) ، ابن حبان (1/ 324) ، الترمذي (5/ 173) ، مراجع سابقة.
(4) انظر تخريجها في مجمع الزوائد (7/ 166) .
(5) الطبراني في الأوسط (3/ 252) .

الخيرية مطلقة هنا فهي على الناس أجمعين خلا الأنبياء؛ ولذا ورد عن عيسى عليه الصلاة والسلام: «من علم وعمل وعلم يدعى في الملكوت عظيما» ، والفرد الأكمل من هذا الجنس هو النبي صلّى الله عليه وسلّم ثم الأشبه فالأشبه «1» ، ولكنه جعلهم خير الناس باعتبار التعلم والتعليم.

لابد أن يكون هذا الوصف قائما في المرء حق القيام لينال ثوابه ويقدم على غيره، فقوله (من تعلم القران) أي حق تعلمه (وعلمه) أي حق تعليمه «2» ...

ثالثا: بيان أنهم أحب الخلق إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم:
كيف لا يكون ذلك وهم ينشرون ما جاء هو لنشره صلّى الله عليه وسلّم؟ فقد سمع علي بن أبي طالب ضجة في المسجد، فقال: من هؤلاء؟ فقيل: هؤلاء قوم يقرؤون القران ويقرئونه. فقال: طوبى لهؤلاء! هؤلاء كانوا أحب الناس إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم «3» ، وبالجملة فإن «فضايل «4» أهل القران لا تحصى كما أن فضايل القران لا يحصى وكما فضله على ساير الكلام فضل حملته على ساير الأمم ومنحهم ما نالوا به الفخر في الدنيا والاخرة والذخر في العقبى» «5» .
وقد يعترض على هذا بأنه يلزم أن يكون المقرئ أفضل ممن هو أعظم غناء في الإسلام بالمجاهدة والرباط والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجواب: حرف المسألة يدور على النفع المتعدي فمن كان حصوله عنده أكثر كان أفضل، ولا بد

---

(1) عون المعبود (4/ 229) ، مرجع سابق.
(2) عون المعبود (4/ 229) ، مرجع سابق.
(3) مجمع الزوائد (7/ 166) ، وانظر تخريجه في لمحات الأنوار رقم 6، مرجع سابق.
(4) كذا في كلام الهذلي فالهمزة عنده مخففة بإبدالها ياء..
(5) (الهذلي) أبو القاسم علي بن جبارة: الكامل ص 5 وجه أ، مصورة مخطوطة عند كاتب هذه الأسطر.

مع ذلك من مراعاة الإخلاص في كل منهم «1» ، وهذا يختلف زمانا ومكانا وشأنا، على أن لحفظ كلام الله جل جلاله مزية خاصة ظاهرة.

رابعا: النشر العام لفرض الكفاية من تعلم القران هو المقصد من ذكر الجوائز الحقيقية التحفيزية:
فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خلفات سمان عظام؟» قال: قلنا: نعم! قال: «فثلاث ايات يقرؤهن أحدكم في صلاته خير له من ثلاث خلفات سمان عظام» «2» ، ونحوه عن عقبة بن عامر رضي الله عنه «3» ، والمعنى: «فيتعلم ايتين من كتاب الله خير من ناقتين وثلاث لو تصدق بها» لأن فضل تعلم ايتين من كتاب الله أكبر من فضل ناقتين وعدادهن من الإبل لو تصدق بها؛ إذ محال أن يشبه من تعلم ايتين من كتاب الله في الأجر بمن نال بعض حطام الدنيا «4» .
وذكر الصحابيين أبي هريرة وعقبة رضي الله عنهما لهذا الحديث يدل على تكرار النبي صلّى الله عليه وسلّم له، كما أن ذكر الصلاة في الأول وعدم ذكرها في الثاني، وذكر المسجد للتعلم في الثاني دون

ذكر الصلاة دال على حثه المطلق والعام لتتم القراءة في المسجد أو في غيره، وفي الصلاة أو في غيرها.

تسلسل المنهجية:

كان الصحابة رضي الله عنهم يرغبون تلاميذهم على نفس المنوال، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لو جعل لأحد خمس قلائص إن صلّى الغداة بالقرية لبات يقول لأهله لقد ان لي أن أنطلق، والله لا يقعد أحدكم فيتعلم

---

(1) انظر: فتح الباري (9/ 76) ، مرجع سابق.
(2) مسلم (1/ 552) .
(3) مسلم (1/ 552) .
(4) انظر: ابن حبان (1/ 321) ، مرجع سابق.

خمس ايات من كتاب الله فلهن خير له من خمس قلائص وخمس قلائص» «1» ، وفي رواية تصف كيفية إقراء ابن مسعود، وتنشيطه لتلاميذه رضي الله عنه: كان إذا أصبح أتاه الناس في داره فيقول: على مكانكم، ثم يمر بالذين يقرئهم القران، فيقول: أيا فلان بأي سورة أتيت فيخبره في أي اية فيفتح عليه الاية التي تليها، ثم يقول: تعلمها فإنها خير لك مما بين السماء والأرض، قال: فنظر الرجل اية ليس في القران خير منها، ثم يمر بالاخرى فيقول اية مثل ذلك حتى يقول ذلك لكلهم «2» ، وعن أبي إسحاق قال: قال عبد الله بن مسعود: لو قيل لأحدكم لو غدوت إلى القرية كان لك أربع قلائص كان يقول لك قد أبى الله لي أن أغدو، وإن أحدكم غدا فتعلم اية من كتاب الله كانت خيرا له من أربع وأربع وأربع حتى عد شيئا كثيرا «3» .

خامسا: تكريم حفظة القران وإلزامهم بتعليمه في مقابل تيسير الأمور الدنيوية الهامة لهم، وتعميم التعليم على الرجال والنساء:

ففي قصة الواهبة نفسها للنبي صلّى الله عليه وسلّم طلبها بعض أصحابه، فلم يجد مهرا فقال له صلّى الله عليه وسلّم: «ماذا معك من القران» قال: معي سورة كذا وسورة كذا عددها، فقال: «تقرؤهن عن ظهر قلبك؟» قال: نعم! قال: «اذهب فقد ملكتها بما معك من القران» «4» ، والسور المذكورة «سماها في فوائد تمام أنها سبع من المفصل، وفي رواية: سورة البقرة أو التي تليها بأو، وفي رواية البقرة وسورة من المفصل، وفي رواية قال: «قم فعلمها عشرين اية وهي امرأتك» وجمع بينها بأن كلا من الرواة

---

(1) ابن أبي شيبة (6/ 132) ، مراجع سابق.

(2) مجمع الزوائد (7/ 167) ، مرجع سابق، وقال: «رواه كله الطبراني» .
(3) مصنف عبد الرزاق (3/ 366) ، والطبراني في المعجم الكبير (9/ 135) .
(4) البخاري (4/ 1919) ، مسلم (2/ 1040) واللفظ له، مرجعان سابقان.

حفظ ما لم يحفظ الاخر «1» ، وفي رواية لمسلم: «اذهب فعلمها من القران» «2» ، وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «وقد أنكحتكها على أن تقريها وتعلمها وإذا رزقك الله عوضتها» فتزوجها الرجل على ذلك «3» وسواء كان المهر هذا هو المهر أو لا– على الخلاف– فالمراد اشتراط ذلك دلالة على منزلة القارئ، ونشرا للقران.
وتنبني على هذا مسألة عقد المسابقات القرانية، ورصد الجوائز عليها:
فتشجيع الحفظ ونشر القران الكريم بالمسابقات القرانية ونحوه لا بأس به، ومن النصوص السابقة يظهر نوع إشارة من النبي صلّى الله عليه وسلّم بذلك، وقد حث بعض أهل العلم على أن يعمل على وضع المحفزات لحفظ القران، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: «وأما هذه الأوقاف على الترب ففيها من المصلحة بقاء حفظ القران وتلاوته هذه الأموال معونة على ذلك وحاضة عليه إذ قد يدرس حفظ القران بسبب عدم الأسباب الحاملة عليه، وفيها مفاسد أخر من حصول القراءة لغير الله، والتأكل بالقران، وقراءته على غير الوجه المشروع، واشتغال النفوس بذلك عن القراءة المشروعة، فمتى أمكن تحصيل هذه المصلحة بدون ذلك الفساد جاز والوجه النهي عن ذلك المنع، وإبطاله إن كان حصول مفسدة أكثر من ذلك» «4» ، وقال في موضع اخر: «والوقوف التي وقفها الناس على القراءة عند قبورهم فيها من الفائدة أنها تعين على حفظ القران، وأنها رزق لحافظ القران، وباعثة لهم على حفظه ودرسه وملازمته» «5» .

(1) انظر: شرح الزرقاني (3/ 168) ، مرجع سابق.
(2) مسلم (2/ 1041) ، مرجع سابق.
(3) شرح الزرقاني (3/ 168) ، مرجع سابق.
(4) الفتاوى الكبرى (4/ 447) ، مرجع سابق.
(5) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ص 380.

وتعرض ابن القيم لهذه المسألة فقال: «المسابقة على حفظ القران والحديث والفقه وغيره من العلوم النافعة والإصابة في المسائل هل تجوز بعوض؟ منعه أصحاب مالك وأحمد والشافعي وجوزه أصحاب أبي حنيفة وشيخنا وحكاه ابن عبد البر عن الشافعي، وهو أولى من الشباك والصراع والسباحة، فمن

جوز المسابقة عليها بعوض فالمسابقة على العلم أولى بالجواز، وهي صورة مراهنة الصديق لكفار قريش على صحة ما أخبرهم به وثبوته، ولم يقم دليل شرعي على نسخه وأن الصديق أخذ رهنهم بعد تحريم القمار وأن الدين قيامه بالحجة والجهاد فإذا جازت المراهنة على الات الجهاد فهي في العلم أولى بالجواز» «1» ...

وهذا الحفاوة النبوية بحملة القران الكريم تقتضي- واقعا- أن تعقد لهم الاحتفالات في عصرنا، وتشهر أسماؤهم في وسائل الإعلام، ويعطون أعلى الأوسمة حال المسابقات، واللافت للنظر أن ما يحفل به الناس هذه الأيام من الفن والرياضة، لم يكن له هذا الرصيد من الحفاوة في العهد النبوي- وإن كان هذان الأمران قد يحترمان في بعض الجوانب الإيجابية، أو غير السيئة، وقد تعقد له دعاية معينة بحدودها في أوساط الأمة كما في سباق النبي صلّى الله عليه وسلّم للخيل المضمرة إلا أن الفرق شاسع بين الدعاية الحقة التي بثها النبي صلّى الله عليه وسلّم لحملة القران وبين هذين الصنفين.

ولكن يجب دراسة الأساليب التي تضبط نفوس المشاركين- قدر الإمكان- نحو الإخلاص، وطلب الدار الاخرة.

---

(1) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ت 751 هـ: الفروسية، تحقيق: مشهور بن حسن بن محمود بن سلمان، دار الأندلس، السعودية- حائل، ط 1، 1414 هـ- 1993 م.

المطلب الرابع: تعليمه صلّى الله عليه وسلّم تسمية السور وألقابها:

وهذا مما علمه النبي صلّى الله عليه وسلّم لأصحابه رضي الله عنهم، وجعله أصلا من أصول التعليم لأنه ترتيب للايات بعلامات مميزة، وضبطها في طوائف معروفة هي السور، مما يجعل عملية الحفظ، والتعلم أسهل.

فعلمهم النبي صلّى الله عليه وسلّم تسمية السور؛ إذ لا يظهر أن ذلك يخضع للاجتهاد بل هو توقيفي في الغالب، وتدل على ذلك دلائل منها ما يظهر من الروايات الواردة في هذا الشأن كحديث: «شيبتني هود وأخواتها سورة الواقعة وسورة القيامة والمرسلات وإذا الشمس كورت وإذا السماء انشقت وإذا السماء انفطرت قال وأحسبه ذكر سورة هود» «1» ، ومنها: إفراد السور بأسماء معينة مع أن في السورة ما يجعل غيرها بالتسمية أولى كما في سورة البقرة مثلا.

وقد تسمى مجموعة من السور باسم مميز فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: أقرأني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سورة من ال حم يعني الأحقاف قال: وكانت السورة إذا كانت أكثر من ثلاثين اية سميت ثلاثين «2» ، وفي التسمية يقال سورة كذا كما بوب البخاري: «باب من لم ير بأسا أن يقول سورة البقرة وسورة كذا وكذا» «3» ، ومن ذلك حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال النبي صلّى الله عليه وسلّم: «الايتان من اخر سورة البقرة من قرأ بهما في ليلة كفتاه» ، وفيه ردّ على من كره ذلك معتمدا على ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة ال عمران ولا سورة النساء

وكذا القران كله ولكن

(1) الحاكم (2/ 374) ، الترمذي (5/ 402) ، أبو يعلى (1/ 102) ، مراجع سابقة.
(2) مجمع الزوائد (7/ 105) ، مرجع سابق، وقال: «رواه أحمد بإسنادين رجال أحدهما ثقات» .
(3) البخاري (4/ 1923) ، مرجع سابق.

قولوا السورة التي يذكر فيها البقرة والتي يذكر فيها ال عمران وكذا القران كله» «1» ، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وعن ابن مسعود أنه رمى الجمرة من بطن الوادي فجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه ثم قال: هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة «2» .
وفي خبر يوم حنين: «فانهزموا حتى لم يبق مع النبي صلّى الله عليه وسلّم إلا العباس وأبو سفيان بن الحارث قال العباس: وكنت اخذا بلجام بغلة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن يمينه وأبو سفيان اخذ بركابه عن يساره فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: «يا عباس ناد في الناس: يا أصحاب السمرة يا أصحاب سورة البقرة- يذكرهم البيعة التي بايعوه تحت الشجرة والشجرة سمرة بايعوه تحتها على ألايفروا- قال العباس: فناديت فخلصت الدعوة إلى الأنصار إلى بني الحارث بن الخزرج، فأقبلوا ولهم حنين كحنين الإبل فقالوا: لبيك يا رسول الله! وسعديك ... » «3»
وعن هشام بن عروة عن أبيه: أن شعار أصحاب النبى صلّى الله عليه وسلّم يوم مسيلمة كان: يا أصحاب سورة البقرة «4» ...

(1) شعب الإيمان (2/ 519) ، مرجع سابق، وقال في مجمع الزوائد (7/ 157) ، مرجع سابق: «رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبيس بن ميمون وهو متروك» فلا يصح هذا الحديث مرفوعا ... وإنما صح من قول الحجاج بن يوسف النقفي رواه عنه مسلم (2/ 942) ، مرجع سابق، ونقل مسلم معه إنكار التابعين عليه.
(2) البخاري (2/ 622) ، مسلم (2/ 943) ، مرجعان سابقان.
(3) أبو عوانة في مسنده (4/ 279) ، مصنف ابن أبي شيبة (6/ 529) ، الطبراني في الأوسط، أحمد (1/ 207) ، وخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (6/ 180) ، مراجع سابقة.
(4) سعيد بن منصور في سننه (2/ 376) ، ابن أبي شيبة (6/ 547) ، مرجعان سابقان.

وقد يلقبون السورة بعلامة مميزة من حيث كمية اياتها، ولا يتحرجون:
نحو قول السورة القصيرة كما جاء عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صلّى الله عليه وسلّم

يسمع بكاء الصبي مع أمه وهو في الصلاة أو الشيء في الصلاة فيقرأ السورة القصيرة «1» ، وفي لفظ بالسورة الخفيفة «2» .
وهذا يرد على من زعم أن من حرمة القران ألا يقال سورة صغيرة كأبي العالية فقد روي عنه أنه كره أن يقال سورة صغيرة أو كبيرة وقال: لمن سمعه قالها أنت أصغر منها وأما القران فكله عظيم «3» ، وقد تقدم من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال: «ما من المفصل سورة صغيرة ولا كبيرة إلا قد سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يؤم بها الناس في الصلاة» «4» .
ومن هذا الباب: زيادة التنويه ببعض الايات: فعن أبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «أي اية في كتاب الله أعظم؟» فقال: الله ورسوله أعلم. يكررها مرارا ثم قال أبي: اية الكرسي. فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: «ليهنك العلم أبا المنذر والذي نفسي بيده أن لها للسانا وشفتين تقدسان للملك عند ساق العرش» «5» .

---

(1) (الكسي) أبو محمد عبد بن حميد بن نصر (ت 249 هـ) : المنتخب من مسند عبد بن حميد ص 404، مراجعة: صبحي البدري السامرائي– محمود محمد خليل الصعيدي، 1408 هـ– 1988 م، مكتبة السنة– القاهرة.
(2) أبو عوانة في مسنده (2/ 88) ، مرجع سابق، أبو يعلى (6/ 157) ، مرجع سابق.
(3) انظر: القرطبي (1/ 31) ، مرجع سابق.
(4) الطبراني في الكبير (12/ 365) ، مرجع سابق، وهو في مجمع الزوائد (2/ 114) ، مرجع سابق.
(5) الحاكم (3/ 344) ، المسند المستخرج (2/ 406) ، النسائي في الصغرى (1/ 548) ، مراجع سابقة، وقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة منها في صحيح البخاري (2/ 812) ، مرجع سابق حديث أبي هريرة رضي الله عنه في قراءتها عند النوم علمه ذلك شيطان فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: «صدقك وهو كذوب» ، فإن ضعّف الحديث السابق فهذا يغني عنه.

وهذا يدل على شيوع التسمية بينهم– رضي الله تعالى عنهم– سواء بتعليم من النبي صلّى الله عليه وسلّم أم غير ذلك فهو دال على سعة الأمر في ذلك ... ولكنه يرتبط بالعملية التعليمية لألفاظ القران الكريم من حيث شدة حفظ الصحابة لايات كل سورة وقدرتهم على تمييز كل سورة من الاخرى، وعلى الرغم من عدم شيوع العلامات الاصطلاحية للفصل بين الايات والسور إلا أن ما سبق يدل على قدرتهم على التمييز بينها بتلقائية، مما يدل على أن النبي صلّى الله عليه وسلّم كان يوضح لهم ذلك أتم إيضاح.

المبحث الرابع: القواعد التربوية والعلمية المصاحبة لعملية الإقراء (من حيث اللفظ) :
والمراد هنا الاداب اللازمة للقارئ كما وضعها النبي صلّى الله عليه وسلّم، وذلك ينحصر في أربعة مطالب:
المطلب الأول: الانفعال بالقران الكريم.
المطلب الثاني: لزوم أبجديات منهج التلقي.
المطلب الثالث: تعليمهم تعظيم القران
المطلب الرابع: تعليمهم الهيئة التي يكون عليها قارئ القران إذا أراد القراءة.

المطلب الأول: الانفعال بالقران الكريم:
وله مظاهر متعددة منها:

أولا: الخلق القراني:
فهو وسيلة لتثبيت الحفظ، وقد علمهم النبي صلّى الله عليه وسلّم هذا الخلق وكيفيته بتطبيقه مباشرة فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سألت عائشة عن خلق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقالت: «كان خلقه القران يغضب لغضبه ويرضى لرضاه «1» ، وسألها عن خلق النبي صلّى الله عليه وسلّم فقالت: ألست تقرأ القران؟ قلت: بلى قالت: فإن خلق نبي الله صلّى الله عليه وسلّم كان القران «2» ، وكون خلقه القران معناه أنه صلّى الله عليه وسلّم كان متمسكا بادابه وأوامره

(1) الطبراني في الأوسط (1/ 30) ، أحمد (6/ 91) ، مرجعان سابقان.
(2) مسلم (1/ 513) ، ابن خزيمة (2/ 171) ، ابن حبان (6/ 191) ، مراجع سابقة.

ونواهيه ومحاسنه، فجميع ما قص الله تعالى في كتابه من مكارم الأخلاق مما قصه من نبي أو ولي أو حث عليه كان صلّى الله عليه وسلّم متخلقا به وكل ما نهى الله تعالى عنه فيه كان صلّى الله عليه وسلّم لا يحوم حوله» «1» ، ثم باتت هذه قاعدة مقررة لتثبيت الحفظ، لذا قالوا:
«كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل» «2» .

ثانيا: تحقيق للفاعلية الحركية للقران الكريم:
فهو ربط اللفظ بالاعتقاد والفكر، وربط الاعتقاد والفكر بالعمل والتطبيق ويشير إلى ذلك قوله تعالى: وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلى صَلاتِهِمْ يُحافِظُونَ (الأنعام: 92) .
ومن هذه الفاعلية: أن النبي صلّى الله عليه وسلّم علمهم أن ينفعلوا بايات القران بحسب معانيها؛ فإذا مر باية رحمة سأل الله من فضله، وإذا مر باية عذاب تعوذ بالله من شر العذاب، أو سأل الله العافية، وإذا مر باية تنزيه نزه الله تعالى، سواء كان ذلك في الصلاة أو خارجها، مأموما وإماما

ومنفردا «3» فعن حذيفة رضي الله عنه قال: صليت مع النبي صلّى الله عليه وسلّم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت: يركع عند المائة ثم مضى فقلت:
يصلي بها في ركعة، فمضى فقلت يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح ال عمران فقرأها، يقرأ مترسلا، إذا مر باية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ، ثم ركع ... الحديث «4» .

---

(1) حاشية السندي على النسائي (3/ 200) .
(2) الجامع لأخلاق الراوي (2/ 314) ، مرجع سابق.
(3) (النووي) أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي 676 هـ: التبيان في اداب حملة القران ص 46، الوكالة العامة للتوزيع، دمشق، ط 1.
(4) مسلم (1/ 536) ، مرجع سابق.

ومنها: أنه كان إذا مر باية سجود– وهو يعلمهم القران– علمهم مشروعية السجود عندها، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يعلّمنا القران فإذا مرّ بسجود القران سجد وسجدنا معه «1» ، ولكنه جاء عن زيد بن ثابت قال: قرأت على النبي صلّى الله عليه وسلّم والنجم فلم يسجد فيها «2» ... فذهب بعضهم إلى أنه لا يسجد حال التعليم لأنه يشق على الطالب والشيخ لكثرة الطلاب، وبذلك كان يأخذ الإمام أبو القاسم الشاطبي، ويعتمد على حديث زيد، والجمع بينهما عند المؤلف أن التعليم إن كان بالسماع فيسجد؛ إذ تنتفي المشقة، وكذلك هو واقع ما حكاه ابن عمر، وإن كان بالعرض فلا يسجد، وهو واقع حديث زيد، والله أعلم.
ومنها: أن يتفاعلوا مع الايات حسب معنى كل: فعن ابن عمر أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قرأ سورة الرحمن– أو قرئت عنده–، فقال: «مالي أسمع الجن أحسن جوابا لردها منكم؟ قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: ما أتيت على قول الله تعالى فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (الرحمن: 13) إلا قالت الجن: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب» «3» .

ثالثا: تعليمهم لغتهم الاصطلاحية القرانية الخاصة:

فليس من لغتهم (نسيت اية كذا) ، وقد كان النبي صلّى الله عليه وسلّم يعلمهم الانفعال بلغة القران كالذي ورد عن عائشة– رضي الله تعالى عنها– قالت: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القران «4» أي يتأول قول الله جل جلاله: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ (النصر: 3) ،

---

(1) أحمد (2/ 157) ، مرجع سابق.
(2) البخاري (1/ 364) ، مرجع سابق.

(3) زوائد تاريخ بغداد على الكتب السنة (4/ 68) ، وقد حسّن المؤلف الحديث.
(4) البخاري (1/ 274) ، مسلم (1/ 350) ، مرجعان سابقان.

(1/175)

والظاهر أن هذا يقاس عليه ما دام دعاء في حدود ضوابطه المقررة- اجتهادا من الباحث-، فيقول مثلا: رب انشر لي من رحمتك وهيئ لي من أمري مرفقا، أخذا من قوله سبحانه وتعالى: يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً (الكهف: 16) ، ونحو ذلك.

رابعا: البكاء مع قراءة اللفظ:
وقد علمهم صلّى الله عليه وسلّم ذلك قولا وتطبيقا فقد قال صلّى الله عليه وسلّم: «إن القران نزل بحزن فإذا قرأتموه فتحازنوا» «1» ، وعن جرير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لنفر من أصحابه: «إني قارئ عليكم ايات من اخر الزمر فمن بكى منكم وجبت له الجنة» فقرأها من عند وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ (الزمر: 67) إلى اخر السورة فمنا من بكى، ومنا من لم يبك فقال الذين لم يبكوا: يا رسول الله! لقد جهدنا أن نبكي فلم نبك فقال: «إني سأقرأها عليكم فمن لم يبك فليتباك» «2» ، وذاك صدى الجواب لقول الله عزّ وجلّ: فَوَيْلٌ لِلْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ (الزمر: 22) ، وقوله جل جلاله: أَفَمِنْ هذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (59) وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ (النجم: 59- 60) ، وكان صلّى الله عليه وسلّم يبكي سواء قرأ هو الايات أو قرئت عليه كما في قراءة ابن مسعود عليه من سورة النساء «3» ، وكانوا يشاهدون هذا من حاله صلّى الله عليه وسلّم فعن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال: رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يصلّى ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء «4» والأزيز بزايين: صوت الرعد وغليان القدر.

---

(1) ذكر هذا الحديث الغزالي في الإحياء (1/ 277) ، وعلق عليه العراقي: «أخرجه أبو يعلى وأبو نعيم في الحلية بسند ضعيف» .
(2) الطبراني في الكبير (2/ 348) ، مرجع سابق.
(3) البخاري (4/ 1673) ، مسلم (1/ 551) ، ابن خزيمة (2/ 354) ، مراجع سابقة.
(4) ابن خزيمة (2/ 53) ، ابن حبان (2/ 439) ، الحاكم (1/ 396) ، المختارة (9/ 463) ، مراجع سابقة.

(1/176)

وقد وصفت أسماء حال أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عند سماع القران دلالة على نجاح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بغرس صفة الانفعال الصادق بالقران فيهم، مع عدم المبالغة المتكلفة،

فعن عبد الله بن عروة بن الزبير قال: قلت لجدتي أسماء: كيف كان يصنع أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟ إذا قرأوا القران؟ قالت: كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم قلت: فان ناسا هاهنا إذا سمعوا ذلك تأخذهم عليه غشية. فقالت: أعوذ بالله من الشيطان «1» .

تسلسل المنهجية: وعلم الأصحاب رضي الله عنهم تلاميذهم ذلك فعن عبد الرحمن ابن السائب قال: قدم علينا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وقد كف بصره فسلمت عليه، فقال: من أنت فأخبرته فقال: مرحبا بابن أخي! بلغني أنك حسن الصوت بالقران سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: «إن هذا القران نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا وتغنوا به فمن لم يتغن به فليس منا» «2» .

خامسا: التشنيع العاطفي الحساس مما يشير إلى النسيان:

وذلك بالتنفير من الألفاظ الشكلية فضلا المعاني الجوهرية وصولا إلى كمال المحاربة الشعورية والظاهرية للنسيان الفردي للقران الكريم فلا يتطرق إليه الترك الجماعي كما في قوله صلّى الله عليه وسلّم: «بئسما لأحدهم يقول نسيت اية كيت وكيت بل هو نسّي «3» » «4» .

---

(1) سعيد بن منصور في سننه (2/ 330) ، مرجع سابق.

(2) ابن ماجة (1/ 424) ، وقال العراقي في المغني (1/ 234) : «أخرجه ابن ماجه من حديث سعد بن أبي وقاص بإسناد جيد» .

(3) قال النووي: «ضبطناه بتشديد السين وقال القاضي ضبطناه بالتشديد والتخفيف» . انظر: شرح مسلم (6/ 323) ، مرجع سابق.

(4) البخاري (4/ 1923) ، مسلم (1/ 544) ، مرجعان سابقان.

المطلب الثاني: لزوم أبجديات منهج التلقي:

ولأن القران تلق من الشفاه كما سبق بيانه فإنه يترتب على ذلك قواعد أساسية بينها النبي صلّى الله عليه وسلّم لأصحابه، ورباهم عليها، وهي:

أولا: القراءة كما تلقى الإنسان دون تغيير:

ثانيا: قبول القراءة من أي صحابي ما دام يعزوها إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم بحسب منهجية التلقي، وتحسينها:

ثالثا: المراء في القران كفر:

ويأتي الكلام عن ذلك في الفصل الخامس– إن شاء الله تعالى–، إنما أحببنا الإشارة إلى أن هذا من القواعد العلمية والتربوية التي ربى النبي صلّى الله عليه وسلّم عليها أصحابه رضي الله عنهم.

المطلب الثالث: تعليمهم تعظيم القران «1» :
ولذلك مظاهر متعددة منها:

أولا: تعليمهم الاستغناء بالقران عن غيره:
فقد علمه ربه جل جلاله أن يستغني بالقران عما سواه في قوله سبحانه وتعالى: وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (الحجر: 87) فالله جل جلاله يقول لنبيه صلّى الله عليه وسلّم: «كما اتيناك القران العظيم فلا تنظرن إلى الدنيا وزينتها وما متعنا به أهلها من الزهرة الفانية لنفتنهم فيه فلا تغبطهم بما هم فيه» «2» ، «ولا تطمح ببصرك طموح راغب إلى ما متعنا به أزواجا منهم أصنافا من الكفار فإنه

(1) وانظر في الاداب المعظمة له: القرطبي (1/ 29) ، مرجع سابق.
(2) ابن كثير (2/ 552) ، مرجع سابق.

مستحقر بالإضافة إلى ما أوتيته فإنه كمال مطلوب بالذات، مفض إلى دوام اللذات» «1» «فاستغن بما اتاك من القران العظيم عما هم فيه من المتاع والزهرة الفانية» «2» .
وعن معقل بن يسار رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «اعملوا بالقران أحلوا حلاله وحرموا حرامه واقتدوا به ولا تكفروا بشيء منه وما تشابه عليكم منه فردوه إلى الله وإلى أولي العلم من بعدي كما يخبروكم وآمنوا بالتوراة والإنجيل والزبور وما أوتي النبيون من ربهم وليسعكم القران وما فيه من البيان فإنه شافع مشفع وما حل مصدق ألا ولكل اية نور يوم القيامة وإني أعطيت سورة البقرة من الذكر الأول وأعطيت طه وطواسين والحواميم من ألواح موسى وأعطيت فاتحة الكتاب من تحت العرش» «3» .
وبذلك رجح من رجح أن المراد بالتغني الوارد في حديث «ليس منا من لم يتغن بالقران» فهو الاستغناء به– عندهم– عن سائر الأشياء سواه «4» .
تفسير الاستغناء: وهذا الغنى يحتمل غنى النفس بمعنى أنهم يرون أن ما منحوه من تيسير حفظه هو الغنى الحقيقي، وأن غنى بالمال في جنب ذلك لا عبرة به لأنه غاد ورائح، ويحتمل أن حفظه والعمل به يجلب الغنى بالمال «5» ، «وقد روى ابن عساكر في تاريخه عن أنس رضي الله عنه: أغنى الناس حفظة القران، والمراد بهم من جعله الله تعالى في جوفه أي سهل له حفظه عن ظهر قلب مع العمل به كما تقرر ...

(1) القرطبي (10/ 55) ، مرجع سابق.
(2) ابن كثير (2/ 552) ، مرجع سابق.
(3) البيهقي في الكبرى (10/ 9) ، مرجع سابق، ولأكثر فقراته شواهد معلومة.

(4) شرح مشكل الاثار (4/ 353) .
(5) فيض القدير (2/ 19) ، مرجع سابق.

قال أبو إسحاق الدمشقي: كنت أمشي بالبادية واحدي فإذا أعييت رفعت صوتي بالقران فحمل عني ألم الجوع حتى قطعت مراحل كثيرة» «1» .

ومن أهم مظاهر الاستغناء به:
نبذ كل ما خالفه وجعله المهيمن في كل الأمور، وقد علمهم النبي صلّى الله عليه وسلّم ذلك في قول الله سبحانه وتعالى: وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ (المائدة: 48) .
وعن أنس بن مالك أنّه سمع عمر الغد حين بايع المسلمون أبا بكر واستوى على منبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تشهّد قبل أبي بكر فقال أمّا بعد فاختار الله لرسوله صلّى الله عليه وسلّم الّذي عنده على الّذي عندكم وهذا الكتاب الّذي هدى الله به رسولكم فخذوا به تهتدوا وإنّما هدى الله به رسوله «2» ، وكذلك كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: إن هذا الصراط محتضر تحضره الشياطين ينادون يا عبد الله هذا الطريق فاعتصموا بحبل الله فإن حبل الله القران «3» .

ثانيا: تعليمهم الاعتزاز بحفظ القران: ومن مظاهره:
1- تعليمهم إحكام القران بسلامته من الاختلاف: كما في قوله سبحانه وتعالى: وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً (النساء: 82) ، فإن الاختلاف على ثلاثة أوجه:
اختلاف تناقض بأن يدعو أحد الشيئين إلى فساد الاخر، واختلاف تفاوت وهو أن يكون بعضه بليغا وبعضه مرذولا ساقطا وهذان الضربان من الاختلاف

---

(1) فيض القدير (2/ 20) ، مرجع سابق.
(2) البخاري (6/ 2653) ، ابن حبان (14/ 590) ، مرجعان سابقان.
(3) الدارمي (2/ 524) ، الطبراني في الكبير (9/ 212) ، مرجعان سابقان.

منفيان عن القران، والثالث: اختلاف التلاؤم هو أن يكون الجميع متلائما في الحسن كاختلاف وجوه القرات ومقادير الايات» «1» .
1- تعليمهم الاكتفاء به في بيان منهج التلقي والاستدلال، والنجاة الدنيوية والاخروية: فقد علمهم

النبي صلّى الله عليه وسلّم قوله جل جلاله: أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ يُتْلى عَلَيْهِمْ (العنكبوت: 51) ، وعلمهم أنه لا مجال للخسارة والتلجلج والاضطراب بعد أن يوهب المرء الكتاب حفظا إلا لمن لا عقل له وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لو أن القران جعل في إهاب ثم ألقي في النار ما احترق» «2» ، وفسره بعض الرواة بأن من جمع القران ثم دخل النار فهو شر من الخنزير، وعلمهم النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه الداعي إلى النجاة، ودستور الفلاح فعن النّوّاس بن سمعان الأنصاريّ رضي الله عنه عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصّراط سوران فيهما أبواب مفتّحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصّراط داع يقول أيّها النّاس ادخلوا الصّراط جميعا ولا تتفرّجوا وداع يدعو من جوف الصّراط فإذا أراد يفتح شيئا من تلك الأبواب قال ويحك لا تفتحه فإنّك إن تفتحه تلجه والصّراط الإسلام والسّوران حدود الله تعالى والأبواب المفتّحة محارم الله تعالى وذلك

---

(1) أحكام القران للجصاص (3/ 182) .
(2) الدارمي (2/ 522) ، أحمد (4/ 151) ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم 5266، وقال ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ص 200 في معناه: «حدثني يزيد بن عمرو قال: سألت الأصمعي عن هذا الحديث فقال: يعني لو جعل القران في إنسان ثم ألقي في النار ما احترق، وأراد الأصمعي أن من علمه الله تعالى القران من المسلمين وحفظه إياه لم تحرقه النار يوم القيامة إن ألقي فيها بالذنوب كما قال أبو أمامة احافظوا القران أو اقرؤا القران ولا تغرنكم هذه المصاحف فإن الله تعالى لا يعذب بالنار قلبا وعى القران وجعل الجسم ظرفا للقران كالإهاب والإهاب الجلد الذي لم يدبغ ... » انظر: (ابن قتيبة) : تأويل مختلف الحديث ص 200.

الدّاعي على رأس الصّراط كتاب الله عزّ وجلّ والدّاعي فوق الصّراط واعظ الله في قلب كلّ مسلم» «1» .
2- نعت حملة القران بأعظم النعوت، وأجلها: مثل أهل الله وخاصته، خيركم، القراء على الإطلاق ... ومن مقتضى هذا الإطلاق: الإشارة إلى أن غيرهم أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة، وكأن عدم إتقان ألفاظ القران وحفظها أمية غير لائقة بالمديح حتى لو كان صاحبها متقنا لكل علم غير ذلك ... ، وذكر رجل عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بخير فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «أولم تروه يتعلّم القران» «2» ، وقد حاد عن المنهجية من يمتهن ما كان النبي صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه يعظمونه.
3- ولتعليمهم الاعتزاز بحفظ القران الكريم أمرهم بالفرح به في قوله سبحانه وتعالى:
قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا (يونس: 58) فقد قال ابن عباس فيها: «بكتاب الله وبالإسلام خير مما يجمعون» «3» ، وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ القران وَبِرَحْمَتِهِ أن جعلكم من أهله «4» .

4- أوجب عليهم تطبيقه وهيمنته على كل أمور الحياة الفردية والجماعية، فيكون الإنسان محاطا به في يقظته ومنامه، وأكله وجوعه، وذهابه وإيابه، وارتباطه الفردي والجماعي.

(1) أحمد (4/ 182) ، مرجع سابق.
(2) أحمد (5/ 284) ، مرجع سابق.
(3) سعيد بن منصور (5/ 314) ، مرجع سابق.
(4) الطبراني في الأوسط (5/ 347) ، مرجع سابق، وقال في مجمع الزوائد (7/ 36) ، مرجع سابق: «وفيه عطية العوفي وهو ضعيف» وانظر في شواهده: لمحات الأنوار (1/ 34) برقم 18، مرجع سابق.

5- التشديد على من ذكره في حلف أو قسم كما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من حلف بسورة من القران فعليه بكل اية كفارة إن شاء بر وإن شاء فجر» «1» .
6- وكنتيجة لهذا الاعتزاز بالقران فقد كان من اعتزازهم بالقران يطردون البطالين فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن بطالا أقبل إليهم فقال ابن مسعود اطردوه بالقران، ثم أمر غلاما أن يقرأ سورة في المصحف فلما سمع البطال القران ذهب «2» ، وفي المقابل فقد كان صلّى الله عليه وسلّم يعلمهم أن يشجع المقرئ القارئ فيقول المقرئ للقارئ أحسنت أو نحوها من العبارات: فعن عبد الله ابن مسعود قال:
بينا أنا بالشام بحمص فقيل لي: اقرأ سورة يوسف، فقرأتها فقال رجل: ما كذا أنزلت! فقلت: والله لقد قرأتها على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال أحسنت فبينا أنا أكلمه إذ وجدت ريح الخمر، قلت: أتكذب بكتاب الله وتشرب الخمر؟ والله لا تبرح حتى أجلدك الحد «3» .
ومن تسلسل المنهجية في تعليم الاعتزاز بالقران ما جاء عن عطاء بن السائب قال أقرأني أبو عبد الرحمن السلمي القران، وكان إذا قرأ عليه أحدنا القران، قال: قد أخذت علم الله، فليس أحد اليوم أفضل منك إلا بعمل، ثم يقرأ قوله أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفى بِاللَّهِ شَهِيداً (النساء: 166) «4» .

(1) البيهقي في سننه الكبرى (10/ 43) ، مرجع سابق.
(2) (أبو يوسف) القاضي يعقوب بن إبراهيم الأنصاري ت 182 هـ: الاثار ص 53، دار الكتب العلمية، بيروت، 1355 هـ، والبطال يطلق على الساحر، ويطلق على اللعاب العابث.
(3) النسائي في السنن الكبرى (5/ 29) ، مرجع سابق.
(4) ابن كثير (1/ 590) ، مرجع سابق.

المطلب الرابع: تعليمهم صلّى الله عليه وسلّم الهيئة التي يكون عليها قارئ القران إذا أراد القراءة «1» :

أولا: علمهم صلّى الله عليه وسلّم ألا يمس المصحف إلا طاهر من كل حدث أصغر أو أكبر «2» : فقد علمهم النبي صلّى الله عليه وسلّم ذلك فيما رواه عبد الله بن أبي بكر بن حزم أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لعمرو بن حزم: «ألايمس القران إلا طاهر» «3» وقال الإمام مالك تفصيلا وبيانا للعلة: «ولا يحمل أحد المصحف بعلاقته ولا على وسادة إلا وهو طاهر ولو جاز ذلك لحمل في خبيئته ولم يكره ذلك لأن يكون في يدي الذي يحمله شيء يدنس به المصحف ولكن إنما كره ذلك لمن يحمله وهو غير طاهر إكراما للقران وتعظيما له» «4» ، وأما قوله جل جلاله: لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (الواقعة: 79) ، فلا يدل على المسألة على الراجح كما قال مالك: أحسن ما سمعت في هذه الاية لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (79) إنما هي بمنزلة هذه الاية التي في عبس وتولى قول الله تبارك وتعالى كَلَّا إِنَّها تَذْكِرَةٌ (11) فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ (12) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (13) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (14) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (15) كِرامٍ بَرَرَةٍ (عبس: 11– 16) «5» ، وقد استنبط العلماء ذلك التعظيم للمصحف من

(1) وانظر: القرطبي (1/ 27) ، شعب الإيمان (2/ 319) ، الفردوس بمأثور الخطاب (3/ 538) ، مرجعان سابقان.
(2) انظر تفصيل هذه المسألة في: تفسير القرطبي (17/ 227) ، مرجع سابق.
(3) انظر في الكلام على صحة كتاب عمرو بن حزم: التمهيد (17/ 397) ، مرجع سابق، (ابن رشد الحفيد) محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي أبو الوليد ت 595 هـ: بداية المجتهد ونهاية المقتصد (1/ 30) ، دار الفكر، بيروت.
(4) موطأ الإمام مالك (1/ 199) ، مرجع سابق.
(5) موطأ الإمام مالك (1/ 199) ، مرجع سابق.

ايات الواقعة وعبس، ولكن بطريق اخر «لأن الملائكة يعظمون المصاحف المشتملة على القران في الملأ الأعلى فأهل الأرض بذلك أولى وأحرى لأنه نزل عليهم وخطابه متوجه إليهم فهم أحق أن يقابلوه بالإكرام والتعظيم والانقياد له بالقبول والتسليم» «1» ، وقد علم الصحابة أصحابهم ذلك. وذكر ابن عبد البر رواية تؤكد إرادة معنى الوضوء هي (ألايمس القران إلا على طهور) ، ولذا لم يختلف فقهاء الأمصار بالمدينة والعراق والشام أن المصحف لا يمسه إلا الطاهر على وضوء، وهو قول مالك والشافعي وأبي حنيفة والثوري والأوزاعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهواه وأبي ثور وأبي عبيد وهؤلاء أئمة الفقه والحديث في أعصارهم «2» .

وحرص الصحابة على ذلك فعن مصعب بن سعد أنه قال: كنت أمسك المصحف على سعد بن أبي وقاص فاحتككت فقال سعد:
لعلك مسست ذكرك فقلت: نعم فقال قم فتوضأ فقمت فتوضأت ثم رجعت «3» ، وعن عبد الرحمن بن يزيد قال: كنا مع سلمان فخرج فقضى حاجته، ثم جاء فقلت: يا أبا عبد الله لو توضأت لعلنا أن نسألك عن ايات قال: إني لست أمسه إنما لا يمسه إلا المطهرون فقرأ علينا ما شئنا «4» .

ثانيا: علمهم النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه يجوز القراءة على كل حال ما لم يكن جنبا:
فعدم المس لا يعني اطّراح القراءة، بل القراءة مطلوبة على كل حال ما لم يكن المرء جنبا، وذلك ما علمه الصحابة رضي الله عنهم لمن بعدهم كما تعلموه من النبي صلّى الله عليه وسلّم

---

(1) ابن كثير (4/ 123) ، مرجع سابق.
(2) انظر: التمهيد (17/ 397) ، مرجع سابق.
(3) البيهقي في الكبرى (1/ 88) ، مرجع سابق.
(4) البيهقي في الكبرى (1/ 88) ، مرجع سابق.

فعن عبد الله بن سلمة قال: دخلت على علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنا ورجلان رجل من قومي ورجل أحسبه من بني أسد فبعثهما وجها وقال إنكما علجان فعالجا عن دينكما ثم دخل المخرج فقضى حاجته ثم خرج فأخذ حفنة من ماء فمسح بها ثم جعل يقرأ القران قال فكأنه رأى أنا أنكرنا ذلك فقال: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقضي حاجته فيقرأ القران ويأكل معنا اللحم ولم يكن يحجبه وربما قال يحجزه عن القران شيء ليس الجنابة «1» ، وبات ذلك قولا لعلي رضي الله عنه، إذ ورد عنه أنه قال: لا بأس أن تقرأ القران وأنت على غير وضوء فأما وأنت جنب فلا ولا حرفا «2» .
وإنما أخذ الصحابة ذلك تعليما من النبي صلّى الله عليه وسلّم في عدة وقائع، منها ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أخبره أنه بات ليلة عند ميمونة أم المؤمنين وهي خالته، قال فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأهله في طولها فنام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى إذا نتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده ثم قرأ العشر الايات الخواتم من سورة ال عمران ثم قام إلى شن معلقة فتوضأ منها فأحسن وضوءه ثم قام فصلّى وذكر باقي الحديث «3» .
وأخذ ذلك ابن عباس رضي الله عنه وأفتى به فعن سعيد بن جبير قال: كان ابن عمر وابن عباس يقولان: إنا لنقرأ الجزء من القران بعد الحدث «4» .

(1) المنتقى (1/ 34) ، ابن خزيمة (1/ 104) ، الحاكم (1/ 253) ، المختارة (2/ 215) ، أبو داود (1/ 59) ، البيهقي في سننه الكبرى (1/ 38) .
(2) مصنف عبد الرزاق (1/ 336) ، البيهقي في الكبرى (1/ 90) ، مرجع سابق.
(3) البخاري (1/ 78) ، مسلم (1/ 526) ، ابن حبان (6/ 317) ، مرجع سابق.
(4) البيهقي في الكبرى (1/ 38) ، مرجع سابق.

وهذا لبيان الجواز في قراءة غير الجنب دون مس للمصحف خشية الحجب الكثير عن القراءة تلاوة وحفظا ومراجعة، وإلا فالأكمل ألايذكر الله على غير طهارة لما رواه المهاجر بن قنفذ بن عمر بن جدعان أنه أتى النبي صلّى الله عليه وسلّم وهو يبول فسلم عليه فلم يرد النبي صلّى الله عليه وسلّم حتى توضأ ثم اعتذر إليه فقال: «إني كرهت أن أذكر الله إلا على طهر» أو قال: «على طهارة» «1» .

وأما قراءة الجنب والحائض للقران:
فلأهل العلم في ذلك ثلاثة أقوال:
قيل يجوز لهذا ولهذا وهو مذهب أبي حنيفة، والمشهور من مذهب الشافعي وأحمد. وذهب البعض إلى أن الحائض لا تمس المصحف ولا تقرأ القران «2» ، وقال الأوزاعي سئل الزهري عن الجنب والنفساء والحائض فقال: لم يرخص لهم أن يقرؤوا من القران شيئا «3» .
وقيل لا يجوز للجنب ويجوز للحائض إما مطلقا أو إذا خافت النسيان وهو مذهب مالك وقول في مذهب أحمد وغيره، فقد غلب المحققون جانب قراءة القران فأجازوا للحائض القراءة تغليبا لهذا الأصل استحسانا لطول مقامها حائضا وهو مذهب مالك «4» ، بل ذهب البعض إلى أنه إذا ظنت نسيانه وجبت «5» ، فإن قراءة الحائض القران لم يثبت عن النبي صلّى الله عليه وسلّم فيه شيء غير: «لا تقرأ الحائض ولا

(1) ابن خزيمة (1/ 103) ، ابن حبان (3/ 82) ، الحاكم (1/ 272) ، مرجع سابق.
(2) انظر: البيهقي في الكبرى (1/ 309) ، الترمذي (1/ 236) ، مرجع سابق.
(3) البيهقي (1/ 309) ، مرجع سابق.
(4) انظر: بداية المجتهد (1/ 35) ، مرجع سابق.
(5) انظر: المبدع في شرح المقنع (1/ 260) ، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل (1/ 243 و 1/ 337) .

الجنب من القران شيئا» «1» ، وهو حديث ضعيف باتفاق أهل المعرفة بالحديث، ومعلوم أن النساء كن يحضن على عهد رسول الله ولم يكن ينههن عن قراءة القران كما لم يكن ينههن عن الذكر والدعاء بل أمر الحيض أن يخرجن يوم العيد فيكبرن بتكبير المسلمين وأمر الحائض أن تقضي المناسك كلها إلا الطواف بالبيت تلبي وهي حائض وكذلك بمزدلفة ومنى وغير ذلك من المشاعر، وأما الجنب فلم يأمره أن يشهد العيد ولا يصلي ولا أن يقضي شيئا من المناسك لأن الجنب يمكنه أن يتطهر فلا عذر له فيترك الطهارة بخلاف الحائض فإن حدثها قائم لا يمكنها مع ذلك التطهر لكن المقصود أن الشارع أمر الحائض أمر إيجاب أو استحباب بذكر الله ودعائه مع كراهة ذلك للجنب فعلم أن الحائض يرخص لها فيما لا يرخص للجنب فيه لأجل العذر، وإن كانت عدتها أغلظ، وليست القراءة كالصلاة وكان النبي يضع رأسه في حجر عائشة رضي الله عنها وهي حائض، وفي صحيح مسلم أيضا يقول الله عز وجل للنبي صلّى الله عليه وسلّم: «إني منزل عليك كتابا لا يغسله الماء تقرأه نائما ويقظانا» فتجوز القراءة قائما وقاعدا وماشيا ومضطجعا وراكبا «2» .

ثالثا: لا يمكن الكافر من لمس المصحف:

وذلك لئلا يتمكن من الاستهانة به، فقد علمهم النبي صلّى الله عليه وسلّم ذلك فيما رواه عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لا تسافروا بالقران فإني لا امن أن يناله العدو» «3» .

---

(1) الترمذي (1/ 236) ، البيهقي في الكبرى (1/ 309) ، مصنف ابن أبي شيبة (1/ 98) .
(2) انظر الكلام بطوله لابن تيمية (21/ 460) ، مرجع سابق.
(3) مسلم (3/ 1490) ، أحمد (2/ 76) ، مرجعان سابقان، ولعل الخوف المذكور مخافة أن يناله العدو فيغير فيه في وقت نزوله مع قلة المصاحف ... فيحدث ذلك بلبلة في المجتمع المسلم ... فإن صحت هذه علة فقد تنتفي أحيانا ...

وأما ترجمة معاني القران وإهداؤها أو بيعها لمن يؤمل فيه الهداية فالظاهر الجواز مطلقا ولا يدخل في الخلاف، فيشرع مس الكتاب الذي فيه معاني القران ككتب التفسير والفقه ونحوها مما يؤمل معه أن يسلم، أو يتعرف إلى الإسلام كما أرسل النبي صلّى الله عليه وسلّم كتابه إلى هرقل.
وقد اشتد المسلمون في تنفيذ ذلك حتى منعوا منه أولي القوة من المشركين فقد قال عمر لأخته قبل أن يسلم: أعطوني الكتاب الذي هو عندكم فأقرأ- وكان عمر يقرأ الكتاب- فقالت أخته: إنك رجس، وإنه لا يمسه إلا المطهرون فقم فاغتسل أو توضأ قال فقام عمر فتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ طه ولهذا الحديث شواهد كثيرة وهو قول الفقهاء السبعة من أهل المدينة «1» ، ولكن رخص مالك للصبيان في مس المصحف على غير طهر لأنهم غير مكلفين «2» .

رابعا: استعمال السواك عند القراءة:

والراوي لهذا إنما هو شيخ القراء أبو عبد الرحمن السلمي عن علي قال:

أمرنا بالسواك وقال إن العبد إذا قام يصلي أتاه الملك فقام خلفه يستمع القران ويدنو فلا يزال يستمع ويدنو حتى يضع فاه على فيه فلا يقرأ اية إلا كانت في جوف الملك «3» فيطيّب فاه إذ هو طريق القران كما جاء في حديث علي: «إن أفواهكم طرق للقران فطهروها بالسواك» «4» ، بل ذكر بعض العلماء أن من فمه نجس يحتمل المنع من قراءة القران وأنه أولى «5» .

---

(1) البيهقي في الكبرى (1/ 38) ، مرجع سابق.

(2) انظر: بداية المجتهد (1/ 30) ، مرجع سابق.

(3) البيهقي في الكبرى (1/ 38) ، مرجع سابق.

(4) رواه أبو نعيم في الحلية (4/ 296) ، مرجع سابق، وانظر تخريجه في تلخيص الحبير (1/ 70) ، مرجع سابق.

(5) المبدع (1/ 186) ، مرجع سابق.

خامسا: وعلمهم من تعظيمه أن يستقبل القبلة لقراءته:

ومن النصوص التعليمية الواردة في استقبال القبلة ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إن لكل شيء سيدا وإن سيد المجالس قبالة القبلة» «1» ، وذلك يشير إلى أن كل حركة وسكون من العبد على نظام العبودية بحسب نيته في يقظته ومنامه وقعوده وقيامه وشرابه وطعامه تشرف حالته بذلك فيتحرى القبلة في مجلسه ويستشعر هيئتها، فلا يعبث فيسن المحافظة على استقبالها ما أمكن حتى للمدرس على الأصح، وإنما سن استدبار الخطيب للقبلة لأن المنبر يسن كونه بصدر المجلس فلو استقبل خرج عن مقاصد الخطاب، لأنه يخاطب حينئذ من هو خلف ظهره وقد يفعل كما كان يصنع شيخ الإسلام الشرف المناوي يجلس لإلقاء الدرس مستدبرها، والقوم أمامه قياسا على الخطبة ويعلله بما ذكر من أن ترك استقبال واحد أسهل من تركه لخلق كثير «2» .

سادسا: تعليمهم الحالة التي يكون عليها قارئ القران أثناء القراءة:

1- أن يتمضمض كلما تنخع روى شعبة بن أبي حمزة عن ابن عباس رضي الله عنه: أنه كان يكون بين يديه تور إذا تنخع مضمض ثم أخذ في الذكر وكان كلما تنخع مضمض «3» . وهذا ليس على إطلاقه كما في تحليل أدلة ذلك كله، فإن من مقاصد الشرع أن يجعل الذكر حياة المؤمن فيذكر الله قائما وقاعدا وعلى جنب، لا يحجبه عن الذكر شيء ما لم يكن الجنابة، وفيه إبقاء لنوع التميز للذكر وقراءة القران.

(1) رواه الطبراني في الأوسط (3/ 25) ، مرجع سابق، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (8/ 59) ، مرجع سابق،: «وإسناده حسن» .
(2) انظر: فيض القدير (2/ 512) ، مرجع سابق.
(3) القرطبي (1/ 27) ، مرجع سابق.

2- الخشوع عند قراءة القران: فعن أبي وائل قال: جاء رجل يقال له نهيك بن سنان إلى عبد الله فقال: يا أبا عبد الرّحمن كيف تقرأ هذا الحرف ألفا تجده أم ياء من ماء غير اسن أو من ماء غير ياسن قال فقال عبد الله: وكلّ القران قد أحصيت غير هذا قال إنّي لأقرأ المفصّل في ركعة فقال عبد الله هذا كهذّ الشّعر إنّ أقواما يقرؤن القران لا يجاوز تراقيهم ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع «1» .
3- إذا تثاءب أن يمسك عن القراءة: لأنه إذا قرأ فهو مخاطب ربه ومناج والتثاؤب من الشيطان، وعن مجاهد قال: إذا تثاءبت وأنت تقرا فامسك عن القراءة حتى يذهب عنك «2» ، يريد أن في ذلك الفعل إجلالا للقران «3» .
4- إذا أخذ في القراءة لم يقطعها ساعة فساعة بكلام الادميين من غير ضرورة.
5- أن يقرأه بالترتيل.
6- أن يستعمل فيه ذهنه وفهمه حتى يعقل ما يخاطب به، كما في قوله جل جلاله: كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ (ص: 29) كما قال الغزالي: «ولا يعرفه إلا من طال في تدبر كلماته فكره وصفا له فهمه حتى تشهد له كل كلمة منه بأنه كلام جبار قهار وأنه خارج عن حد استطاعة البشر» «4» .
7- أن يقف على اية الوعد فيرغب إلى الله تعالى ويسأله من فضله وأن يقف على اية الوعيد فيستجير بالله منه: كما تقدم في الفاعلية الحركية.

(1) مسلم (1/ 563) ، المسند المستخرج على صحيح مسلم (2/ 415) ، ابن أبي شيبة (2/ 256) ، مراجع سابقة.
(2) سعيد بن منصور في سننه (2/ 342) ، مرجع سابق، وقال المعلق: «سنده صحيح» .
(3) القرطبي (1/ 27) ، مرجع سابق.
(4) فيض القدير (1/ 558) ، مرجع سابق.

8- يمنع رفع الصوت واللغط عند قراءة القران: فعن أبي عبد الرحمن قال:
القران وحشي ولا يصلح مع اللغط «1» ، والمراد يحتاج ليكون واحده في السماع والقلب دون أن يزاحمه غيره، وعن قيس بن عبادة قال كان أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يكرهون رفع الصوت عند الذكر «2» أي من غير الذاكرين أو منهم على وجه مناف للخشوع.
فأما منهج الحلقات، وهيئة القراءة كما علمها الرسول صلّى الله عليه وسلّم أصحابه رضي الله عنهم فقد بسط لها الفصل الثالث كاملا.

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة (6/ 143) ، مرجع سابق.
(2) مصنف ابن أبي شيبة (6/ 143) ، مرجع سابق.

الفصل الثالث: جماع منهجية النبي صلّى الله عليه وسلّم في تحفيظ الألفاظ وترتيلها:
هذا الفصل معقود لبيان كيفية تعليم النبي صلّى الله عليه وسلّم اللفظ القراني في اتجاهين:
تقسيم معالم التدريس في الحقل القراني إلى معالم أساسية سواء كانت في الوقت الرسمي للحلقات القرانية أو في غيره.
وبيان كيفية تلقينه صلّى الله عليه وسلّم لهم اللفظ القراني، وذلك اقتضى بيان التأصيل الشرعي للتجويد، والملحقات به ...
ولتحقيق البيان الكامل حول هذين الاتجاهين انقسم هذا الفصل إلى ستة مباحث هي:
المبحث الأول: تعليمه صلّى الله عليه وسلّم أساسات الدرس القراني (منهج الحلقات القرانية) .
المبحث الثاني: تعليمه صلّى الله عليه وسلّم ماهية التجويد وحكمه.
المبحث الثالث: تعليمه صلّى الله عليه وسلّم أهمية التجويد وضوابطه الشرعية.
المبحث الرابع: تعليمه صلّى الله عليه وسلّم ترتيل ألفاظ القران الكريم.
المبحث الخامس: تعليمه صلّى الله عليه وسلّم مراتب الأداء الأعلى من التجويد.
المبحث السادس: تعليمه صلّى الله عليه وسلم الملحقات بأحكام التجويد.

المبحث الأول: تعليمه صلّى الله عليه وسلّم أساسات الدرس القراني «منهج الحلقات القرانية» :
ويتحدث هذا المبحث عن أساسات التعليم القراني عند النبي صلّى الله عليه وسلّم، ويبين أنها الأساسات ذاتها التي يسير عليها معلمو القران الكريم في عصرنا سواء كان ذلك في وقت الحلقات القرانية أو بعدها مما تستلزمه الدراسة ... ولبيان ذلك انقسم المبحث إلى أربعة مطالب، تمثل

أساسات الدرس القراني:
المطلب الأول: القراءة نظرا من المصحف.
المطلب الثاني: القراءة عن ظهر قلب.
المطلب الثالث: التعاهد (المراجعة) .
المطلب الرابع: تعليمهم مقدار الورد (الحزب) اليومي.

المطلب الأول: القراءة نظرا من المصحف:

كان صلّى الله عليه وسلّم يعلمهم القراءة من المصحف نظرا بالإضافة إلى استظهاره عن ظهر قلب فهو يقول لأصحابه: «من سره أن يحب الله ورسوله؛ فليقرأ في المصحف» «1» ، ولعله صلّى الله عليه وسلّم كان يملي عليهم القران ليكتبوه عند موضع يقال له موضع المصحف فعن سلمة بن الأكوع أنه رضي الله عنه كان يتحرى موضع مكان المصحف فكان يتحرى الصلاة عند الاسطوانة التي عند المصحف. «2» .، ووقع عند مسلم بلفظ: (يصلي وراء الصندوق) ، وكأنه كان للمصحف صندوق يوضع

---

(1) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (7/ 209) ، 1405 هـ.
(2) البخاري (1/ 189) ، مسلم (1/ 364) ، مرجعان سابقان.

فيه «1» ، وقيل في مسجده صلّى الله عليه وسلّم موضع خاص للمصحف كان ثمة من عهد عثمان «2» .
والحث على القراءة نظرا من المصحف ليتحقق أمران منهجيان أساسان في نقل اللفظ القراني:
1- وجود القران مكتوبا على أوسع نطاق في الأمة، فلكل أسرة على الأقل مصحف مما يجعل مسألة التشكيك فيه ضربا من الهذيان، وهذا من مقتضيات تسمية القران بالكتاب.
2- تعضيد القراءة بالكتابة، وتثبيت الكتابة بالقراءة ... ولذا كان أشهر اسمين للقران هما (القران والكتاب) ، ومن الفوائد غير ذلك:
أن يثبت في ذهن المؤمنين وغيرهم أن الكتاب الذي يستحق وصف الكتاب بإطلاق هو القران، كما قال الله عزّ وجلّ: ذلِكَ الْكِتابُ (البقرة: 2) .
فيه مواساة لمن لا يحفظ لبقاء اتصاله بالقران ولو لم يكن من حملة القران بالمعنى الخاص.
نشر الكتابة في الأمة على أوسع نطاق بربطه بما ينبغي نشره على أوسع نطاق وهو المصحف، مما يجعلها تأخذ بنواصي التقدم العلمي دائما.
التدبر: فإن النظر في المصحف يعين على ذلك: قال صلّى الله عليه وسلّم: «أعطوا أعينكم حظها من العبادة قيل: يا رسول الله ما حظها من العبادة؟ قال: النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه» «3» .

(1) فتح الباري (1/ 577) ، مرجع سابق.
(2) شرح سنن ابن ماجه ص 103.
(3) العظمة (5/ 225) .

وأمرهم النبي صلّى الله عليه وسلّم بتملك المصاحف: كما في قوله صلّى الله عليه وسلّم: «تعلّموا كتاب الله تعالى وتعاهدوه واقتنوه وتغنّوا به فو الّذي نفسي بيده لهو أشدّ تفلّتا من المخاض في العقل» «1» ؛ إذ إن قوله «اقتنوه» يفيد التملك أو اللزوم ... وكلاهما يدل على مصاحبة المصحف للمرء.
وقد اهتم الصحابة بتملك المصاحف، وصار المصحف قطعة من فؤادهم:
حتى جعلوه مقياسا للجمال عندهم لكثرة نظرهم فيه فعن أنس بن مالك الأنصاري رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه كان يصلي لهم في وجع النبي صلّى الله عليه وسلّم الذي توفي فيه حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة، فكشف النبي صلّى الله عليه وسلّم ستر الحجرة ينظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم يضحك فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبي صلّى الله عليه وسلّم.. «2» .، فقوله (كأن وجهه ورقة مصحف) عبارة عن الجمال البارع، وحسن البشرة وصفاء الوجه واستنارته «3» .
وكان الصحابة رضي الله عنهم يتابعون النظر في المصحف ولو كانوا حفظة فعن الحسن البصري قال: دخلوا على عثمان والمصحف في حجره «4» ، وعثمان رضي الله عنه هو القائل رضي الله عنه: (لو أن قلوبنا طهرت ما شبعنا من كلام ربنا، وإني لأكره أن يأتي علي يوم لا أنظر في المصحف) «5» ، وما مات رضي الله عنه حتى خرق مصحفه من كثرة ما كان يديم النظر فيه «6» ، وعن عكرمة قال: دخلت على ابن عباس رضي الله عنه وهو

(1) ابن حبان (1/ 325) ، أحمد (4/ 153) ، وقال في مجمع الزوائد (7/ 169) ، مراجع سابقة: «ورجال أحمد رجال الصحيح» .
(2) البخاري (1/ 240) ، مرجع سابق.
(3) شرح النووي (4/ 142) ، مرجع سابق.
(4) ابن أبي شيبة (2/ 241) ، مرجع سابق.
(5) انظر: شعب الإيمان (2/ 409) ، مرجع سابق.
(6) انظر: شعب الإيمان (2/ 409) ، مرجع سابق.

يقرأ في المصحف قبل أن يذهب بصره وهو يبكي.. «1» .، وكان الصحابة رضي الله عنهم يحثون الناس على القراءة من المصحف فقد أتى قوم واثلة بن الأسقع فقالوا:
حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليس فيه زيادة ولا نقصان، فغضب وقال: «إن مصحف أحدكم معلق في بيته وهو يزيد وينقص ... » «2» أي لا يتقن حفظ القران ويسأل عن حديث النبي صلّى الله عليه وسلّم، وعن ثابت قال: كان عبد الرحمن بن أبي ليلى إذا صلّى الصبح قرأ المصحف حتى تطلع الشمس قال وكان ثابت يفعله «3» ، وعن عبد الله بن عمرو قال: انتهيت إليه وهو ينظر في المصحف قال قلت أي شيء تقرأ في المصحف قال: حزبي الذي أقوم به الليلة «4» وعن يونس قال: كان خلق الأولين النظر في المصاحف قال: وكان الأحنف بن قيس إذا خلا نظر في المصحف «5» .

المطلب الثاني: القراءة عن ظهر قلب:
علمهم النبي صلّى الله عليه وسلّم أهمية الحفظ (عن ظهر قلب) ... وورد هذا التعبير في الدلالة على استظهار القران في قول النبي صلّى الله عليه وسلّم لرجل قال: معي سورة كذا وسورة كذا وسورة كذا عدها قال: «أتقرؤهن عن ظهر قلبك» قال: نعم! «6» ، وبوب البخاري لذلك: «باب القراءة عن ظهر قلب» «7» .

---

(1) الحاكم (2/ 352) ، مرجع سابق.
(2) الحاكم (2/ 230) ، مرجع سابق.
(3) سنن الدارمي (2/ 532) ، مرجع سابق.
(4) ابن أبي شيبة (2/ 124) ، مرجع سابق.
(5) ابن أبي شيبة (2/ 124) ، مرجع سابق.
(6) البخاري (4/ 1920) .
(7) وانظر بحثا تحليليا وافيا عن (الحفظ) في كتاب الباحث: تلقي النبي صلّى الله عليه وسلّم ألفاظ القران الكريم ص 232، مرجع سابق.

المفاضلة بين القراءة نظرا وبين القراءة عن ظهر قلب:
دل سؤال النبي صلّى الله عليه وسلّم له بقوله: أتقرأهن عن ظهر قلبك؟ على فضل القراءة عن ظهر قلب لأنها أمكن في التوصل إلى التعليم، «والذي يظهر أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والاشخاص» «1» لمن كان قد حفظ عن ظهر قلب ... أما التفضيل بين حافظ وغير حافظ فظاهر، وقد قال أبو أمامة في تفضيل الحفظ عن ظهر قلب: «اقرأوا القران ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة فإن الله لا يعذب قلبا وعى القران» «2» ، ويناسب هذا الحديث الموقوف حديث عقبة ابن عامر المرفوع ...

قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: «لو جعل القران في إهاب ثم ألقي في النار ما احترق» «3» ، وكان مصطلح القراء أو قرأة القران يرد في الحافظ له عن ظهر قلب، ومثله مصطلح حملة القران، وأهل القران، وصاحب القران.

القراءة (السماع) نظرا هي المطلوبة حال عرض التلاميذ:

لا شك أن القراءة نظرا أكثر تثبيتا، وأدعى للطمأنينة على المحفوظ وأسلم من الغلط، وهي المطلوبة للمقرئ حال عرض الاخرين عليه كما في حديث قيس ابن مروان قال: جاء رجل إلى عمر وهو بعرفة فقال: يا أمير المؤمنين جئت من الكوفة وتركت بها رجلا يملي المصاحف عن ظهر قلب قال: فغضب عمر وانتفخ حتى كاد يملأ ما بين شعبتي الرحل. فقال: ويحك! من هو؟ فقال: عبد الله بن مسعود فما زال عمر يطفئ ويسري عنه الغضب حتى عاد إلى حاله التي كان عليها.

---

(1) فتح الباري (9/ 80) ، مرجع سابق.
(2) أخرجه ابن أبي داود بإسناد صحيح كما في فتح الباري (9/ 80) ، مرجع سابق.
(3) الدارمي (2/ 522) ، أبو يعلى (3/ 284) ، الطبراني في الكبير (6/ 172) ، مراجع سابقة، وانظر: مجمع الزوائد (7/ 158) ، مرجع سابق.

فقال: ويحك والله ما أعلمه بقي أحد من الناس هو أحق بذلك منه ... وذكر الحديث «1» ، ولكن الحديث دال أيضا عن منزلة القراءة عن ظهر قلب، ومكانتها وأفضليتها، ولذا لا يقدر على القيام بها حق القيام إلا الخاصة، فتفضيل القراءة نظرا على القراءة عن ظهر قلب إنما هو لمن حفظ ابتداء، ولذا لم يخل أحد من الحفاظ من مصحف يقرأ فيه القران نظرا فقد كان لأبي موسى رضي الله عنه مصحف وكان يسميه لباب الفؤاد، وكان لعائشة رحمة الله عليها مصحف وكانت تسميه المجيد «2» ، وكان لعلي مصحف، وكذلك لأبي وابن مسعود وابن عمر «3» ....

تعاضد القراءة عن ظهر قلب والقراءة من المصحف على حفظ القران الكريم:

على أن الأمرين مطلوبان فقد كانت وسيلتا الحفظ للكتاب الكريم هما الحفظ في الصدور والحفظ في السطور، ولذا لن يرفع القران حتى يرفع من هذين الأمرين فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «لينتزعن هذا القران من بين أظهركم» قلت: يا أبا عبد الرحمن! كيف ينتزع وقد أثبتناه في مصاحفنا؟ قال: يسري عليه في ليلة فلا يبقى في قلب عبد ولا مصحف منه شيء ويصبح الناس فقراء كالبهائم ثم قرأ عبد

---

(1) رواه النسائي في السنن الكبرى (5/ 71) .
(2) (ابن أبي عاصم) أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني أبو بكر ت 287 هـ: الزهد ص 387،

تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، دار الريان للتراث، القاهرة، 1408 هـ، ط 2.
(3) والمصاحف مصاحف! يعرف كل من يسمع هذه اللفظة (مصاحف) أنها نسخ لكتاب واحد، حتى لو اختلف فيها ترتيب السور ... فكيف استحالت إلى قرائين مختلفة؟ كما يقرر ذلك صاحب كتاب (حقيقة مصحف فاطمة) ؟ وكيف استحالت جريمة اختلاق مصحف مختلف عن القران الكريم لفاطمة الزهراء منقبة عظيمة، ووجود نسخ من القران عند الصحابة مثلبة؟ إلا بعسف القول، وسوء النتيجة المبيتة مسبقا ... انظر للاطلاع على كلام المذكور: أكرم بركات العاملي: حقيقة مصحف فاطمة عند الشيعة، دار الصفوى، بيروت، ط 1، 1418 هـ/ 1997 م-.

الله وَلَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنا وَكِيلًا (الإسراء: 86) «1» .

من حكم نسيان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عند القراءة:
كان صلّى الله عليه وسلّم ينسّى بعد التبليغ ليطمأنّ إلى حفظ الصحابة رضي الله عنهم، واستظهارهم لما بلغهم به من القران، ويشجعهم على الفتح عليه فعن المسور بن يزيد المالكي قال: شهدت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقرأ في الصلاة فترك شيئا لم يقرأه فقال له رجل: يا رسول الله؟ تركت اية كذا وكذا فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «هلا أذكر تنيها» «2» ، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن النبي صلّى الله عليه وسلّم صلّى صلاة فقرأ فيها فلبس عليه فلما انصرف قال لأبي: «أصليت معنا؟» قال: نعم! قال: فما منعك؟ «3» وأما ما روي عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «يا علي لا تفتح على الإمام في الصلاة» «4» فضعيف.

الحث على استظهار أقل فرض الكفاية:
وكان صلّى الله عليه وسلّم يحثهم على حفظ أقل قدر عن ظهر قلب، ويرمز إلى من تقاصر عند ذلك بالذم ما دام مستطيعا فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله:
صلّى الله عليه وسلّم: «إن الذي ليس في جوفه شيء من القران كالبيت الخرب» «5» .

---

(1) الطبراني في الكبير (9/ 141) ، مرجع سابق.
(2) أبو داود (1/ 238) ، مرجع سابق.
(3) أبو داود (1/ 238) ، مرجع سابق.
(4) أبو داود (1/ 239) ، مرجع سابق، وفيه: «قال أبو داود أبو إسحاق لم يسمع من الحرث إلا أربعة أحاديث ليس هذا منها» .
(5) الترمذي (5/ 177) ، مرجع سابق، وقال: «هذا حديث حسن صحيح» .

وكان الصحابة رضي الله عنهم يتفاضلون في مقدار أخذهم للقران، وحفظهم له غيبا فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان النبي صلّى الله عليه وسلّم يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول أيهم أكثر أخذا للقران فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد وقال: «أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة» ، وأمر بدفنهم في دمائهم ولم يغسلوا ولم يصل عليهم «1» ، وفي رواية: «فكان يقول: انظروا أكثر هؤلاء جمعا للقران فاجعلوه أمام أصحابه» .

القراءة عن ظهر قلب من خصائص الأمة، تتميز بها عن أهل الكتاب:

ولذا طرح أهل العلم مسألة مهمة في هذا الباب، وهي: هل تجوز القراءة من المصحف حال الصلاة؟ والجواب جاءت الكراهة عن البعض كإبراهيم النخعي، ومجاهد، وحماد الشعبي لا لذاته بل كراهة أن يتشبهوا بأهل الكتاب «2» .

وعن قتادة عن الحسن أنه كرهه وقال: هكذا تفعل النصارى «3» ، والصحيح جوازها ولذا بوب البخاري: «باب إمامة العبد والمولى وكانت عائشة يؤمها عبد ها ذكوان من المصحف» «4» ، وعن القاسم قال: كان يؤم عائشة عبد يقرأ في المصحف «5» ، وذكر أبو بكر بن أبي مليكة أن عائشة أعتقت غلاما لها عن دبر فكان يؤمها في رمضان في المصحف، والترخيص فيه جاء عن الحكم والحسن ومحمد وعطاء، وعن الحسن قال لا بأس أن يؤم في المصحف إذا لم يجد يعني من يقرأ ظاهرا، وعن ثابت البناني قال: كان أنس يصلي وغلامه يمسك المصحف

---

(1) البخاري (1/ 450) ، مرجع سابق.
(2) انظر القائلين بذلك في ابن أبي شيبة (2/ 124، 123) ، مرجع سابق.
(3) ابن أبي شيبة (2/ 124) ، مرجع سابق.
(4) صحيح البخاري (1/ 245) ، مرجع سابق.
(5) ابن أبي شيبة (2/ 123) ، مرجع سابق.

خلفه فإذا تعايا في اية فتح عليه «1» ، وإنما ذكرنا هذه المسألة لتستبين منزلة القراءة عن ظهر قلب.

المطلب الثالث: التعاهد (المراجعة) :

وكان النبي صلّى الله عليه وسلّم يعلمهم ضرورة مراجعة المحفوظ من القران الكريم، وتعاهده ويشتد في ذلك حتى يضرب لهم الأمثال، ويحددلهم الوقت النموذجي المناسب للمراجعة الحقيقية للفظ القران الكريم، ويتجلى ذلك فيما يلي:

أولا: أمرهم بتعاهده ومراجعته مطلقا ليلا أو نهارا:

1- فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «تعلّموا كتاب الله تعالى وتعاهدوه واقتنوه وتغنّوا به فو الّذي نفسي بيده لهو أشدّ تفلّتا من المخاض في العقل» «2» ... وقد أشار النبي صلّى الله عليه وسلّم إلى المراجعة في الحديث بقوله (تعاهدوه) بعد قوله (تعلموا) ؛ إذ لولا ذلك لرجح أن يكون معناها مجرد النظر فيه، وعدم الانقطاع عنه «فيقول لهم (تعاهدوا القران) أي داوموا على تكراره ودرسه لئلا تنسوه، فتعاهد الشيء محافظته، وتجديد العهد به والمراد منه الأمر بالمواظبة على تلاوته والمداومة على تكراره ودرسه» «3» ، ثم أكد أن المراد هو مراجعته بعد حفظه فقال: «فو الذي نفسي بيده» أي بقدرته وتصرفه «لهو أشد تفصيا» أي أسرع تفصيا وتخلصا وذهابا وانقلابا وخروجا من قلوب الرجال يعني حفظته «من الإبل من عقلها» جمع عقال أي لهو أشد ذهابا من الإبل إذا تخلصت

---

(1) ابن أبي شيبة (2/ 123) ، مرجع سابق.
(2) ابن حبان (1/ 325) ، أحمد (4/ 153) ، أبو عوانة (1/ 515) ، الدارمي (2/ 531) ، النسائي في الكبرى (5/ 18) .
(3) فيض القدير (3/ 249) ، مرجع سابق.

من العقال فإنها تفلت حتى لا تكاد تلحق ... شبه القران وكونه محفوظا على ظهر قلب بالإبل الابدة النافرة وقد عقل عقلها وشد بذراعيها بالحبل المتين، وذلك أن القران ليس من كلام البشر بل من كلام خالق القوى والقدر، وليس بينه وبين البشر مناسبة قريبة، والله سبحانه بلطفه العميم منحهم هذه النعم العظيمة ويسرها لهم فينبغي تعاهده بالحفظ «1» .
وكان عقبة بن عامر يأمر بمقتضى هذا الحديث حفظة كتاب الله من المسلمين، وسائر المسلمين كأنه من أمره ومن نتاج تجربته لأهميته فكان يقول هذا الحديث موقوفا «2» ... وذلك كما أنه أحيانا كان يرفعه.
وقد انتشر هذا الحديث فأضحى معلما من معالم حفظ القران البدهية حيث جاء هذا الحديث عن غير عقبة بن عامر- خاصة عن أئمة الإقراء- فعن أنس بن مالك عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «تعاهدوا القران فو الذي نفسي بيده لهو أشد تفصيا من صدور الرجال من الإبل المعقلة إلى أعطانها» «3» ومثله عن أبي موسى «4» ، وعن شقيق قال: قال عبد الله بن مسعود: تعاهدوا هذه المصاحف وربّما قال القران فلهو أشدّ تفصّيا من صدور الرّجال من النّعم من عقله قال وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لا يقل أحدكم نسيت اية كيت وكيت بل هو نسّي» «5» ، وفي رواية: «تعاهدوا القران فإنه وحشي» «6» ، وقد رفعه ووقفه كعقبة بن عامر.

---

(1) فيض القدير (3/ 249) ، مرجع سابق.
(2) فيض القدير (3/ 249) ، مرجع سابق.

(3) المختارة (5/ 251) .
(4) البخاري (4/ 1921) .
(5) أحمد (1/ 423) ، سعيد بن منصور (1/ 76) .
(6) الحاكم (1/ 739) ، عبد الرزاق (3/ 359) ، مرجعان سابقان.

ثانيا: ضرب لهم الأمثال المحسوسة لتدلهم على ضرورة المراجعة:
فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «إنما مثل صاحب القران كمثل الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت» «1» .
فذكر النبي صلّى الله عليه وسلّم مراجعة القران وقرنها بلفظ المصاحبة بين القران وبين حامله «ليبين ضرورة وجود ألفة دائمة بينهما، ينتفي فيها الهجران، لأن الصاحب هو الذي ألفه كما تقدم في تحرير المصطلح» ، وقوله: «المعقلة بضم الميم وفتح العين المهملة وتشديد القاف أي المشدودة بالعقال وهو الحبل الذي يشد في ركبة البعير» «2» ، فشبه درس القران واستمرار تلاوته، وديمومة مراجعته بربط البعير الذي يخشى منه الشراد فما زال التعاهد موجودا فالحفظ موجود كما أن البعير ما دام مشدودا بالعقال فهو محفوظ، وخص الإبل بالذكر لأنها أشد الحيوان الإنسي نفورا وفي تحصيلها بعد استمكان نفورها صعوبة قوله أن عاهد عليها أمسكها أي استمر إمساكه لها وفي رواية أيوب عن نافع عند مسلم: «فإن عقلها حفظها وأن أطلقها ذهبت» أي انفلتت «3» .

ثالثا: منعهم من الألفاظ التي تكون نفسية متساهلة مع عدم مراجعة القران:
فكره لهم قول نسيت اية كذا وعلمهم جواز قول أنسيتها، وأسقطتها فعن عبد الله قال: قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «بئس ما لأحدهم أن يقول نسيت اية كيت وكيت بل نسّي واستذكروا القران فإنّه أشدّ تفصّيا من صدور الرّجال من النّعم» «4» ،

---

(1) البخاري (4/ 1920) ، مسلم (1/ 543) ، مرجعان سابقان.
(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري (9/ 80) ، مرجع سابق.
(3) فتح الباري شرح صحيح البخاري (9/ 80) ، مرجع سابق.
(4) مسلم 1/ 544، النسائي في الكبرى (1/ 327) ، أحمد (1/ 417) ، مراجع سابقة.

وعن عائشة أن النبي صلّى الله عليه وسلّم سمع رجلا يقرأ من الليل فقال: «يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا اية كنت أسقطتها» ولفظ البخاري «أنسيتها من سورة كذا وكذا» «1» ، ففي هذه التعاليم

المتقدمة «كراهة قول نسيت اية كذا وهي كراهة تنزيه، وأنه لا يكره قول أنسيتها، وإنما نهي عن نسيتها لأنه يتضمن التساهل فيها والتغافل عنها، وقد قال سبحانه وتعالى: أَتَتْكَ آياتُنا فَنَسِيتَها (طه: 126) ، واللغة ليست أداة للتعبير بل هي وعاء للتفكير أيضا «2» ، وقال القاضي عياض: «أولى ما يتأول عليه الحديث أن معناه ذم الحال لا ذم القول أي نسيت الحالة حالة من حفظ القران فغافل عنه حتى نسيه» «3» .

رابعا: رهبهم النبي صلّى الله عليه وسلّم من نسيانه «4» :
فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ما من أمير عشرة إلا جيء به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه حتى يطلقه الحق أو يوثقه ومن تعلم القران ثم نسيه لقي الله تعالى وهو أجذم» «5» .

خامسا: جعل الشرع قلة تعاهده ومراجعته جفاء، وهجرا:
فالهجر كما قال جل جلاله: وَقالَ الرَّسُولُ يا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً (الفرقان: 30) ، وعلمهم النبي صلّى الله عليه وسلّم أن ذلك منهي عنه في قوله: «اقرؤوا القران، ولا تأكلوا به، ولا تستكثروا به، ولا تجفوا عنه ... » ، والمراد تعاهدوه

---

(1) البخاري (4/ 1929) ، مسلم (1/ 543) واللفظ له، مرجعان سابقان.
(2) انظر: نحو تقويم جديد للكتابة العربية (المقدمة) ، كتاب الأمة رقم 69.
(3) نقل هذا القول عنه النووي في شرح مسلم (6/ 76) ، والمباركفوري في تحفة الأحوذي (8/ 76) ، مرجعان سابقان.
(4) أشار المؤلف لهذا البند إشارة؛ اكتفاء بما ذكره في إثبات قبول هذه الأحاديث، ومدلولها في كتاب تلقي النبي صلّى الله عليه وسلّم ص 245، مرجع سابق، وخشية من التكرار.
(5) مجمع الزوائد (7/ 166) ، مرجع سابق، وقال: «رواه عبد الله بن أحمد ورجاله ثقات وفي بعضهم خلاف» .

ولا تبعدوا عن تلاوته بأن تتركوا قراءته وتشتغلوا بتفسيره وتأويله، ولذا قيل:
«اشتغل بالعلم بحيث لا يمنعك عن العمل، واشتغل بالعمل بحيث لا يمنعك عن العلم وحاصله: أن كلا من طرفي الإفراط والتفريط مذموم، والمحمود هو الوسط العدل المطابق لحاله» «1» .

سادسا: علمهم النبي صلّى الله عليه وسلّم كيفية مراجعته:
بأن يقرأه بالليل والنهار فقال: «إذا قام صاحب القران فقرأه بالليل والنهار ذكره، وإن لم يقم به نسيه» «2» ، وقال صلّى الله عليه وسلّم: «مثل القران إذا عاهد عليه صاحبه فقرأه باللّيل والنّهار

كمثل رجل له إبل فإن عقلها حفظها وإن أطلق عقلها ذهبت فكذلك صاحب القران» «3» ، وبيان هذه الكيفية: أن يراجع حزبه بالنهار، ويقوم به في صلاة الليل كما طبق ذلك الصحابة رضي الله عنهم، فعن خيثمة قال:
انتهيت إليه– أي عبد الله بن عمرو– وهو يقرأ في المصحف فقال: هذا حزبي الذي أريد أن أقوم به الليلة «4» .

سابعا: الوقت النموذجي للمراجعة:
حدد صلّى الله عليه وسلّم لهم الوقت النموذجي للمراجعة وهو الليل، وأفضل ذاك أن يقوم الإنسان الليل بما حفظه، أو بما قرأه نظرا في نهاره كما في قوله تعالى:

---

(1) عون المعبود (13/ 32) ، مرجع سابق.
(2) رواه مسلم (1/ 536) ، وللضرورة أنقل ما ذكر في كتاب التلقي في هذا الموضع: «وقوله (لم يقم به) تحتمل معنى قيام الليل، وتحتمل معنى العمل به» ، وقد قال المباركفوري في معنى قول الصحابي يخاطب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (ألاأقوم بها) : كما في تحفة الأحوذي (8/ 150) ، مرجع سابق: «أي في صلاة الليل» .
(3) البخاري (4/ 1920) ، مسلم (1/ 543) ، ابن حبان (3/ 42) ، مراجع سابقة.
(4) ابن أبي شيبة (2/ 240) ، مرجع سابق.

إِنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلًا (6) إِنَّ لَكَ فِي النَّهارِ سَبْحاً طَوِيلًا (المزمل: 6– 7) ...
فتحديد هذا الوقت هو تسلسل لمنهجية الإقراء فقد أمره الله سبحانه وتعالى بهذا الوقت للمراجعة ورغبه فيه، ثم أمر هو أصحابه به، ورغبهم فيه فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «تعلّموا القران واقرؤه وارقدوا فإنّ مثل القران ومن تعلّمه فقام به كمثل جراب محشوّ مسكا يفوح ريحه كلّ مكان ومثل من تعلّمه فرقد وهو في جوفه كمثل جراب أو كي على مسك» «1» .
وقد أشار النبي صلّى الله عليه وسلّم للمراجعة والتعاهد في هذا الحديث بقوله: «واقرؤه» بعد قوله «تعلموا القران» فلا يكون معنى الأمر بالقراءة بعد الأمر بالتعلم إلا معنى المراجعة.
وهذه المراجعة من اللوازم في حياة المسلم بحيث لا ينبغي لحافظ القران قبل إن يراجع القران أن ينام، فقوله «فقام به» أي تشمر لأداء حقه قراءة وعملا، ثم شبه المراجع للقران في وقته النموذجي، وهو قيام الليل بما يرفعه وينفعه، وهو قوله «كمثل جراب محشوّ مسكا يفوح ريحه كلّ مكان» لكأن حافظ القران المراجع له في قيام الليل وعاء مملوء بالمسك الفواح ...
وفي ذلك إيماء إلى أن بركات القران وبصائره ونوره لا تنال إلا بذلك ... وإلا فلم التعنّي؟ وأما من رقد أي غفل ونام «كمثل جراب أوكي على مسك» ، والمعنى أنه ملأه مسكا وربط فمه على المسك أي لأجله ...

وهذا مثال على البله وسفه العقل، فإنما يراد المسك لتشم الرائحة الطيبة من صاحبه، وهذا منعها أن تفوح.

(1) ابن ماجة 1/ 73، مرجع سابق.

وبذا تحدد أن الوقت النموذجي للمراجعة هو ناشئة الليل:

وناشئة الليل هي «أوقاته وساعاته لأن أوقاته تنشأ أولا فأولا» «1» ، فالوقت النموذجي للمراجعة من الحفظ هو الليل، وأحسن ذلك أن يكون في قيام الليل، ويمكن أن يكون من أول الليل أي يبدأ بما بعد المغرب فقد كان علي بن الحسين يصلي بين المغرب والعشاء ويقول: «هذا ناشئة الليل» «2» ، وإن كان أول الليل يفضل لمن لا يوقن من نفسه القيام في اخره، كما قال ابن عباس: «كانت صلاتهم أول الليل، وذلك أن الإنسان إذا نام لا يدري متى يستيقظ» «3» . ولذا كان من دلائل هذه الاية أن الله جل جلاله بين فيها «فضل صلاة الليل على صلاة النهار، وأن الاستكثار من صلاة الليل بالقراءة فيها ما أمكن أعظم للأجر وأجلب للثواب» «4» .

حكمة اختيار هذا الوقت:

ظهرت في الاية حكمة اختيار هذا الوقت ليكون أنسب لمراجعة القران الكريم، وهي:

1- أنه أشد وطأ: أي أن العمل فيه يكون أثقل على النفس «من قولك اشتدت على القوم وطأة سلطانهم» أي ثقل عليهم ما حملهم من المؤن، وإذا ثقل العمل في هذا الوقت، فإنه يكون وقتا نموذجيا لمجاهدة النفس ومعاركتها، فإذا دربت سهل قيادها، ولذا فلا ينافي هذا ما قاله عكرمة: «عبادة الليل أتم نشاطا، وأتم إخلاصا، وأكثر بركة» ، لأن عكرمة رحمه الله أراد باعتبار المال، وهذا على قراءة وطأ «5» .

(1) تفسير القرطبي (19/ 39) ، مرجع سابق.
(2) تفسير القرطبي (19/ 40) ، مرجع سابق، وانظر: مختار الصحاح ص 274، مرجع سابق.
(3) تفسير القرطبي (19/ 40) ، مرجع سابق.
(4) تفسير القرطبي (19/ 40) ، مرجع سابق.
(5) فيها قراءتان متناقلتان: وطاء لابن عامر وأبي عمرو، وطا لبقية السبعة ... انظر: الشاطبية ص 144، مرجع سابق عند قول الناظم: ووطأ وطاء فاكسروه كما حكوا ... من سورة المزمل.

2- أنه أشد موافقة بين القلب والسمع واللسان: لانقطاع الأصوات والحركات، وهذا على قراءة من مد فهو مصدر واطأت وطاء، فيواطىء السمع القلب في الليل، ومنه قول الله جل جلاله: لِيُواطِؤُا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللَّهُ (التوبة: 37) أي ليوافقوا، وفائدة ذلك من جهة اللفظ: رسوخ اللفظ وثبوته، واستقامة الحفظ فلا يزيغ وذلك أنه لا يعرض له حوائج «1» ، وكذا إن قرأ نظرا في النهار ثم أعاده في الليل: فيتواطأ (يتوافق) عند ذلك البصر والسمع والقلب فعن مجاهد قال: تواطؤ سمعك وبصرك وقلبك، فهي أجدر أن يتواطأ لك فيها سمعك وبصرك «2» ، ثم أكد على شدة الاشتغال في النهار فقال: إِنَّ لَكَ فِي النَّهارِ سَبْحاً طَوِيلًا (المزمل: 7) أي تصرفا في حوائجك وإقبالا وإدبارا وذهابا ومجيئا «3» ..

3- كما أن العمل بالليل «أشد ثباتا من النهار» «4» ، فإن مراجعة القران تحتاج إلى الديمومة والتعاهد، وهذا في الليل أسهل منه في النهار" فإن الليل يخلو فيه الإنسان بما يعمله فيكون ذلك أثبت للعمل، وأنفى لما يلهي ويشغل القلب فأشد وطئا أي أشد نشاطا للمصلي، وأثبت للقراءة، وهذا هو معنى قوله سبحانه وتعالى: وَأَقْوَمُ قِيلًا (المزمل: 6) أي أصوب للقراءة، وأثبت للقول لأنه زمان التفهم، أو أشد استقامة لفراغ البال بالليل، أو أجدر أن يتفقه في القران «5» .

---

(1) تفسير الطبري (29/ 130) ، مرجع سابق.
(2) تفسير الطبري (29/ 130) ، مرجع سابق.
(3) تفسير القرطبي (19/ 42) ، مرجع سابق، وانظر: الجلالين ص 773، مرجع سابق.
(4) تفسير القرطبي (19/ 41) ، مرجع سابق.
(5) انظر: تفسير القرطبي (19/ 41) ، مرجع سابق.

قضاء الحزب الليلي:

إذا فات الورد الليلي فينبغي له أن يقضيه في النهار؛ إذ قد ذهب البعض إلى أن معنى «السبح الفراغ أي إن لك فراغا طويلا للحاجات بالنهار» ومنه قال الزجاج: «إن فاتك في الليل شيء فلك في النهار فراغ الاستدراك» «1» ، وكذلك كان النبي صلّى الله عليه وسلّم يعلم أصحابه: فعن عبد الرحمن بن عبد القاري قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل» «2» ، وكذلك كانت سنته العملية فعن عائشة- رضي الله تعالى عنها- قالت: «كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا عمل عملا أثبته وكان إذا نام من الليل أو مرض صلّى من النهار ثنتي عشرة ركعة» «3» .

وعلمهم النبي صلّى الله عليه وسلّم أن يضبطوا هيئات التعامل مع النفس الإنسانية المتغيرة:
بحيث لا تخل بالحفظ اليومي: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:

«إن لهذا القران شرة، وللناس عنه فترة، فمن كانت فترته إلى القصد فنعما هي، ومن كانت فترته إلى الأرض فأولئك هم قوم بور» «4» ، وعنه رضي الله عنه عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القران على لسانه فلم يدر ما يقول فليضطجع» «5» ، ولا ينبغي أن يحول شيء بين المرء وبين إكمال حزبه

---

(1) تفسير القرطبي (19/ 42) ، مرجع سابق.
(2) مسلم (1/ 515) ، مرجع سابق.
(3) مسلم (1/ 515) ، مرجع سابق.
(4) قال في مجمع الزوائد (7/ 168) ، مرجع سابق: «أبو يعلى وفيه أبو معشر نجيح وهو ضعيف يعتبر بحديثه» .
(5) مسلم (1/ 543) ، مرجع سابق.

فيقرؤه ولو مضطجعا كما قال جل جلاله: الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِياماً وَقُعُوداً وَعَلى جُنُوبِهِمْ (ال عمران: 191) ، والقران أعظم الذكر، وعن الأسود عن عائشة قالت: «إني لأقرأ حزبي أو عامة حزبي وأنا مضطجعة على فراشي» «1» .
وقد علّموا كيفية السؤال عن اية نسيت فعن ابن مسعود رضي الله عنه: «إذا سأل أحدكم صاحبه كيف يقرأ اية كذا وكذا فليسأله عما قبلها» «2» .

المطلب الرابع: تعليمهم مقدار الورد اليومي:

علم النبي صلّى الله عليه وسلم أصحابه رضي الله عنهم مقدار الورد اليومي سواء كان هذا الورد حفظا أو مراجعة أو كان قراءة من المصحف فلا يتخلف عنه الإنسان، كما حدد أقل المطلوب وأكثر المطلوب ...

ورد الحفظ الجديد عن ظهر قلب:

فكانوا يتعلمون القران من النبي صلّى الله عليه وسلّم حفظا عن ظهر قلب خمسا خمسا كمقتضى تلقائي من مقتضيات التنزيل المفرق، فقد قال عمر رضي الله عنه: تعلموا القران خمسا خمسا فإن جبريل عليه السّلام نزل بالقران على النبي صلّى الله عليه وسلّم خمسا خمسا، وقد قال بعض أهل العلم: من تعلم خمسا خمسا لم ينسه «3» ، وعن أبي نضرة قال: كان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يعلمنا القران خمس ايات بالغداة، وخمس ايات بالعشي ويخبر أن جبريل عليه السّلام نزل بالقران خمس ايات خمس ايات «4»

---

(1) ابن أبي شيبة 2/ 124، مرجع سابق.

(2) عبد الرزاق 3/ 365، مرجع سابق.
(3) شعب الإيمان 2/ 331، مرجع سابق.
(4) الإتقان 1/ 124، مرجع سابق.

وأخذه النبي صلّى الله عليه وسلّم خمسا خمسا «أي تلقنه منه» «1» ، وروي مرسلا من قول أبي العالية: تعلموا القران خمس ايات خمس ايات فإن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان يأخذه خمسا خمسا، وكان أبو عبد الرحمن السلمي يعلم خمسا خمسا «2» . وقد تكون كمية المتعلّم عشرا عشرا، ويسمى (المعشر) كما جاء عن أبي عبد الرّحمن قال:
حدّثنا من كان يقرئنا من أصحاب النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّهم كانوا يقترئون من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عشر ايات فلا يأخذون في العشر الاخرى حتّى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل قالوا: فعلمنا العلم والعمل «3» ، وعن شريك أنه قال: كنا نعلم ما أنزل في هذا العشر من العلم «4» .
ويحمل الفرق بين الكميتين على اختلاف الأشخاص، أو على اختلاف الأحوال.
و (العشرة) من المناسب الملائم الذي يعتبر فيه نوع الوصف وهو تحديد العشرة في نوع الحكم وهو حفظ القران «5» :
فقد ورد كثيرا في مجال حفظ القران الكريم باعتباره المتوسط الذي يراعي الفروق الفردية، وباعتبار أمر اخر هو مواكبة العمل والعلم بالمعاني للمحفوظ فقد ورد هذا العدد في الذي يحفظه الإنسان من سورة الكهف اتقاء للدجال فعن أبي الدّرداء أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «من حفظ عشر ايات من أوّل سورة الكهف عصم من الدّجّال» «6» ، والايات التي نزلت في عائشة عشر «7» .

---

(1) فيض القدير (5/ 193) ، مرجع سابق.
(2) ابن أبي شيبة (6/ 117) ، مرجع سابق.
(3) أحمد (5/ 410) ، مرجع سابق.
(4) شعب الإيمان (2/ 331) ، مرجع سابق.
(5) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ص 369.
(6) مسلم (1/ 555) ، الحاكم (2/ 399) ، أبو داود (4/ 117) ، مراجع سابقة.
(7) البخاري 4/ 1729، مسلم 4/ 2136، ابن حبان 10/ 20، مراجع سابقة.

وكانت الايات تنزل عليه في الغالب بهذا المقدار فيتلقفها الصحابة يحفظونها فعن عبد الرّحمن بن عبد القاريّ قال: سمعت عمر بن الخطّاب رضي الله عنه يقول: كان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم إذا أنزل عليه الوحي سمع عند وجهه كدويّ النّحل فأنزل عليه يوما فمكثنا ساعة فسرّي عنه فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال: «اللهمّ زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنّا وأعطنا ولا تحرمنا واثرنا ولا تؤثر علينا وارضنا وارض عنّا» ثمّ قال صلّى الله عليه وسلّم: «أنزل عليّ عشر ايات من أقامهنّ دخل الجنّة ثمّ قرأ قد أفلح المؤمنون حتّى ختم عشر ايات» «1» ، فالعشر هي عادة النزول، ويبلغ بها صلّى الله عليه وسلّم الناس فيتلقاها الناس حفظا وهو الغالب لقلة عدد الكتبة مقارنة بالحفظة.

التعشير:

ولأنهم كانوا يحفظون القران في الغالب عشرا عشرا فقد سموا ذلك التعشير، وسموا الورد اليومي منه المعشر، ثم إنهم صاروا يضعون علامة يدلون بها على المعشر السابق أو اللاحق في التعلم أو القراءة ... ولأن طريقة تعليم الصحابة رضي الله عنهم لمن بعدهم أخذت الطابع ذاته، ولأن كمية الايات قد استقرت في المصحف بانقضاء الوحي، وجمع الصحابة القران في موضع واحد فقد ذهب بعض تلاميذ الصحابة إلى وضع علامات تدل على المعشر، أي إلى تمييز الأعشار، وتسمى عند البعض (بالمأشر) ، وقد ألّفت مؤلفات في أعشار القران فأقدم من ألف فيه قتادة بن دعامة السدسي ت 118 هـ في كتاب سماه (أعشار القران) ... وألف مكي بن أبي طالب حموش كتاب (الاختلاف) في عدد الأعشار «2» .

---

(1) الحاكم (1/ 717) ، المختارة (1/ 342) ، الترمذي (5/ 326) ، النسائي في الكبرى (1/ 450) ، أحمد (1/ 34) ، مراجع سابقة.

(2) انظر: ابتسام مرهوان لصفار (دكتورة) : معجم الدراسات القرانية ص 27، ساعدت جامعة بغداد على نشره رقم تسلسل التعضيد 4 لسنة 83– 1984 م.

ولكن هذا التحديد بالعشر لا يعني التزامه بدقة بل من أكثر فالله أكثر «1» ، وكذا تحمل رواية خمسا؛ إذ الأصل أن هذا طاعة، فالطلبة فيه بحسب وسعهم، وحمل البعض الخمس والعشر على حالة التلقين «2» ، والصحيح أن ذلك يختلف من شخص لاخر.

كمية المراجعة:

كان النبي صلّى الله عليه وسلّم يجعل العشر ايات أقل ما ينبغي أن يقرأه المسلم في مراجعته في الليل فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قام بعشر ايات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة اية كتب من القانتين ومن قام بألف اية كتب من المقنطرين» «3» ، وكان الصحابة رضي الله عنهم يذكرون هذه الأحاديث موقوفة– مع أن لها حكم

الرفع– دلالة على بدهية رفعها لأهميتها فعن تميم الدّاريّ رضي الله عنه قال: «من قرأ عشر ايات في ليلة لم يكتب من الغافلين» «4» ، ولكنه صلّى الله عليه وسلّم حثهم على المزيد، ورتب الشارع الحكيم على ذلك الأجور العظيمة كل بقدر مشقته، ليرد كل أناس مشربهم فعن تميم الدّاريّ وفضالة بن عبيد قالا:

---

(1) إشارة إلى حديث عبادة بن الصّامت حدّثهم أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا اتاه الله إيّاها أو صرف عنه من السّوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم فقال رجل من القوم إذا نكثر قال الله أكثر» رواه الترمذي (5/ 566) ، مرجع سابق، وقال: «وهذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه» .
(2) (النويري) أبو القاسم محمد بن محمد بن محمد: شرح طيبة النشر في القرااات العشر (2/ 47) ، تحقيق وتعليق: عبد الفتاح السيد سليمان أبو سنه خبير التحقيق بمجمع البحوث الإسلامية، مراجعة لجنة إحياء التراث الإسلامي، بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1406 هـ– 1986 م.
(3) أبو داود (2/ 57) ، ابن خزيمة (2/ 181) ، مرجعان سابقان.
(4) الدارمي (2/ 554) ، مرجع سابق.

من قرأ بعشر ايات في ليلة كتب من المصلّين «1» ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «من قرأ في ليلة عشر ايات لم يكتب من الغافلين ومن قرأ في ليلة بمائة اية كتب من القانتين ومن قرأ بمائتي اية كتب من الفائزين» «2» وعن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه قال: «من قرأ في ليلة عشر ايات كتب من الذّاكرين، ومن قرأ بمائة اية كتب من القانتين، ومن قرأ بخمس مائة اية إلى الألف أصبح وله قنطار من الأجر قيل وما القنطار قال ملء مسك الثّور ذهبا» «3» ، وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ عشر ايات في ليلة لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ مائة اية كتب له قنوت ليلة، ومن قرأ مائتي اية كتب من القانتين، ومن قرأ أربعمائة اية كتب من العابدين، ومن قرأ خمسمائة اية كتب من الحافظين، ومن قرأ ستمائة اية كتب من الخاشعين، ومن قرأ ثمانمائة اية كتب من المخبتين، ومن قرأ ألف اية أصبح له قنطار، والقنطار ألف ومائتا أوقية خير مما بين السماء والأرض قال خير مما طلعت عليه الشمس ومن قرأ ألفي اية كان من الموجبين» «4» ، وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه مثله «5» .
ونلحظ أن من دلالة الإشارة للتفريق بين الايات هنا أن قد رسخ في ذهن الحفاظ وغيرهم كمال السورة ومقدارها ومواضع الايات، فيستبينون أنها طويلة أو قصيرة ... ولا شك أن لهذا دلالته في حفظ القران الكريم.

---

(1) الدارمي (2/ 555) ، مرجع سابق.

(2) الدارمي (2/ 555) ، مرجع سابق.
(3) الدارمي (2/ 557) ، مرجع سابق.
(4) مسند الشاميين (2/ 44) ، الطبراني في الكبير (8/ 180) ، مرجعان سابقان، وقال في مجمع الزوائد (2/ 267) ، مرجع سابق: «رواه الطبراني في الكبير وفيه يحيى بن عقبة بن أبي العيزار وهو ضعيف» .
(5) المختارة 8/ 278، مرجع سابق.

المبحث الثاني: تعليمه صلّى الله عليه وسلّم ماهية التجويد وحكمه:
يناقش هذا المبحث حقيقة التجويد، ومدى تعليم النبي صلّى الله عليه وسلّم له، والمصطلحات التي كانت تطلق عليه في العهد النبوي والقرون المفضلة، ويصل من ذلك إلى حكمه الشرعي، ومدى تطبيق المسلمين على مختلف الأعصر لهذا الحكم..
ولتحقيق مقصد المبحث فقد انقسم إلى ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: الأصول الشرعية لعلم التجويد.
المطلب الثاني: مكونات علم التجويد- كما علمها النبي صلّى الله عليه وسلّم-.
المطلب الثالث: حكم تعلم أحكام التجويد كما علمه النبي صلّى الله عليه وسلّم.

المطلب الأول: الأصول الشرعية لعلم التجويد:
دل على التجويد في عصر النبي صلّى الله عليه وسلم وأصحابه مصطلحات أخرى غير هذا المصطلح (التجويد) مثل: الترتيل، والتحسين، والتزيين، والتحبير، والترجيع.
وهذه المصطلحات- كما سنرى من كيفية تعليمها من النبي صلّى الله عليه وسلّم لأصحابه إن شاء الله عزّ وجلّ- تستخدم في وصف القراءة إذا جمعت مرتبتين في النطق: الإعراب للكلام (تبيينه وإظهاره في نطقه العربي الفصيح) ، والزينة في الأداء باستخدام قواعد التزيين الصوتية العربية.
ولم يرد من هذه الكلمات الخمس في القران الكريم سوى كلمة الترتيل «1» ، والبقية وردت في السنة النبوية، فقد كانت هذه الأصول هي المكونة لعلم التجويد التطبيقي.

(1) قال الله سبحانه وتعالى: وَرَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا (الفرقان: 32) ، وقال: وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (المزمل: 4) .

ومرد التقعيدات النظرية والتطبيقية في علم التجويد:
إلى أمرين يشكلان الأصلين الشرعيين لعلم التجويد في صورته التامة:
النصوص الشرعية، وقواعد اللغة العربية من حيث كون اللسان الذي نزل به القران عربيا، ومن حيث رجوع تلك القواعد إلى ما اختاره النقل الشرعي منها، أو يقال أخذت مادة علم التجويد الوضعي والتطبيقي من علمين: علم القراءة (المشافهة) ، وعلم اللغة العربية، ولنأخذ في تفصيل ذلك:

الأصل الأول لعلم التجويد:
تعليمهم اللفظ القراني من حيث كونه نزل بلسان عربي مبين:
فيقرأ القران باللفظ العربي «1» المنقول في أصل لفظه أو في كيفية التصويت به ولكن على الصورة المنقولة بالمشافهة، إذ القراءة والأداء أمران يتعلقان باللفظ ويبنيان على وجوه اللغة.
وأول أجزاء المعاني التي منها يلتئم النطق هو الصوت ثم الصوت بتقطيع الهواء يصير حرفا، ثم عند جمع الحروف يصير كلمة ثم عند تعيين بعض الحروف المجتمعة على هيئة مخصوصة يصير لغة عربية، ثم بكيفية تقطيع الحروف يصير معربا، ثم بتعيين بعض وجوه الإعراب يصير قراءة منسوبة إلى الأحرف السبعة، ثم إذا صار كلمة عربية صحيحة معربة صارت دالة على معنى من المعاني فتتقاضى للتفسير الظاهر «2» .

---

(1) لا نتناول ها هنا تفاصيل هذا الموضوع، من أنواع اللغات (اللهجات) العربية في القران فقد أفردوه بالتصنيف، قال أبو بكر الواسطي في كتابه الإرشاد في القرات العشر: «في القران من اللغات العربية خمسون لغة» ، وانظر فيه: كتاب لغات القبائل الواردة في القران الكريم لأبي عبيد، وقد عدها السيوطي في الإتقان (2/ 476) ، وحسب البحث تقرير الحقائق التعليمية في هذا الموضوع.
(2) انظر: جواهر القران ص 36، مرجع سابق.

فقد علمهم النبي صلّى الله عليه وسلّم أن القران نزل بلسان عربي مبين: كما قال وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (الشعراء: 192– 195) فعربية القران: كالحوالة من الشارع لاستخدام قوانين العربية في تلاوة القران وكتابته من إعراب وبناء وتصريف وإظهار وإدغام وإمالة وتغليظ وتفخيم وترقيق وفتح وإسكان وتخفيف وتحقيق ...
لا من حيث العموم بل في إطار المتناقل.
وعلى هذا فالعربية أصل النطق بألفاظ القران الكريم، كما «هي أصل فهم القران ومجموعها متواتر، وفي أهميتها لإدراك كيفية قواعد التلفظ والتفهم قيل:

حفظ اللغات علينا ... فرض كفرض الصلاة
فليس يضبط دين ... إلا بحفظ اللغات»
«1» وقد كان لفظ القران الكريم ميسرا بلسانه صلّى الله عليه وسلّم سهلا مذللا لتتم وظيفة التبليغ:
ودون ذلك التيسير لا يتم أداء هذه الوظيفة كما قال جل جلاله: فَإِنَّما يَسَّرْناهُ بِلِسانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ (مريم: 97) ، وكما قال سبحانه وتعالى: فَإِنَّما يَسَّرْناهُ بِلِسانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (الدخان: 58) ، فقد كان يعلمهم كلاما عربيا بينا مظهرا باللسان، لا كلاما خفيا، فإن مدلول كلمة لسان يظهر أن النبي صلّى الله عليه وسلّم علم أصحابه هيئة أداء اللفظ الداخلي والخارجي: فلا بد من أن تكون مبينة واضحة كما قال جل جلاله: رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِ اللَّهِ مُبَيِّناتٍ (الطلاق: 11) «أي في حال كونها بينة واضحة جلية» «2» ، وهذا يشمل اللفظ الخارجي والداخلي من الهيئات الصوتية الموغلة في الجزئية.

---

(1) نقل كلام الفارابي والبيتين الإمام السيوطي في المزهر (1/ 302) .
(2) ابن كثير (4/ 385) ، مرجع سابق.

ولهذا أثره العظيم في بيان كيفية تلاوة القران الكريم في جهتين:
1- جهة صيرورة موافقة اللغة العربية ركنا من أركان القراءة المقبولة.
2- جهة خضوع أداء ألفاظ القران الكريم لأحوال اللسان العربي الأدائية من إظهار وإدغام، وفتح وإمالة، وتخفيف وتثقيل، وتحريك وإسكان، وحذف وإثبات، ومد وقصر ...
وإذا كان هذا هو الأساس الأول لعلم التجويد وتقعيداته فلا يبحث في حكم التجويد بهذا المعنى- عند غالب المصنفين القدماء- لأنه أصل الكلام ... وتواتره بمعنى ثبوته يقينا قطعيا لا ارتياب فيه بدهي لأن التجويد هنا مخارج الحروف وصفاتها وهي التي تتكون منها ماهية الكلام العربي الفصيح ... مع ملحوظتين:
الأولى: أن المختلف فيه بين القراء في التجويد يرجع إلى أصول النطق العربي الفصيح أيضا مما فيه سعة كاختلاف كلمة بين الإظهار والإدغام.
الثانية: أن الزيادة على أصول الكلام العربي الفصيح في التجويد إنما هو في الترتيل والتزيين والتحسين الذي أمرنا به في القراءة، فأصول علم التجويد وقواعده إذن كانت موجودة في الكلام العربي يحرص عليها القراء ويعتمدون عليها في قراءتهم وإقرائهم، وإن لم تكن مدونة، شأنها في ذلك شأن قواعد النحو والصرف التي استنبطها علماء العربية في وقت لاحق.
ولذا فإن اختلاف القراء في إثبات بعض فروع علم التجويد الدقيقة:
مثل حكم الميم الساكنة عند الباء: هل هو الإخفاء أو الإظهار- على ثلاثة أقوال كما هو معلوم في مظانه «1» - يعزى إلى علم العربية، وذلك إذا كان ضمن

(1) انظر ذلك في: المفيد في شرح عمدة المجيد ص 134 عند قول الناظم: لكن مع الباقي إبانتها وفي إخفائها رأيان مختلفان.

القياس الجائز في علم القراءة لا الممنوع، وهو ما يتعلق بهيئة الأداء الداخلية في مواضع محدودة.

الأصل الثاني لعلم التجويد: علم القراءة:
حيث كان هذا العلم هو الذي يحوي علم التجويد من الناحية التطبيقية.

كيفية تشكل علم التجويد من علم القراءة:
1- إن متعلم قراءة القران يقوم يقرأ على الشيخ فيلقنه الشيخ كيفية القراءة مطلقا أي ما تعلق منها بأصل اللفظ أو ما تعلق بأدائه، أو ما تعلق بتحسين صوته فيها وفق القواعد المتلقاة، فيأمره بالمد أو بالغنة أو بالإدغام..
وهكذا ... ويلحظ الشيخ الخطأ في القراءة كما كانوا- تماما- يلحظون الخطأ النحوي فيردونه على صاحبه طبيعة، على الرغم من عدم وجود مؤلفات في النحو ... ثم إنهم نظروا إلى هذه الأحكام المتلقاة شفاها فدونوها أشباها ونظائر بالاستقراء ... ثم جعلوها قواعد مسطرة، وضوابط مبثوثة في الكتب فاستقام منها علم القراءة مدونا مكتوبا في كتبه، واحتوى فيما احتوى على أكثر علم التجويد من إدغام وإمالة ومد وقصر وتسهيل للهمز وغنة ومخارج للحروف والصفات ... ولكن بصورة أوسع شملت ما كان مقتضى تلقائي من مقتضيات النطق الفصيح للغة العربية، ثم جمّل بما أمر به النبي صلّى الله عليه وسلم وأمر به من التحسين والتزيين والترتيل كمد المتصل فإن النطق العربي الفصيح يقتضيه، وقواعد الصرف توجبه وترتضيه، ولا بد من زيادة حسنه طلبا لترتيله وتزيينه وتحسينه ...
وهكذا بقية الأحكام.
2- ثم بدأ علم التجويد ينفرد بالتأليف ليكون علما مستقلا يحتوي على ما يدل على النطق العربي الصحيح مما كان مختصا بالمتفق عليه بين القراء وحال

الاختلاف يذكر ما يتعلق برواية واحدة فقط ... فانفرد كما انفرد علم أسباب النزول عن التفسير، وعلم عدد الاي عن علم القراءة.

الفرق بين علم التجويد وبين علم القراءة:

1- علم القرااات علم يعرف فيه اختلاف أئمة الأمصار في نفس حروف القران أو في صفاته، فإذا ذكر فيه شيء من ماهية صفات الحروف فهو تتميم؛ إذ لا يتعلق الغرض به، وأما علم التجويد فالغرض منه معرفة ماهيات صفات الحروف، فإذا ذكر فيه شيء من اختلاف الأئمة فهو تتميم، فالتجويد يناقش حق الحرف ومستحقه، والقرااات يناقش بعد أن يكون حق الحرف ومستحقه قد صار من المسلمات.

2- القرااات علم رواية واختلاف الألفاظ، والتجويد علم دراية فهو أداء تلك الألفاظ «1» .

ومما ينبغي التنبيه له أن علم القراءة وعلم التفسير كانا متلازمين:

لم يستقل أحدهما عن الاخر، ولذا ذكروا أن القرااات جزء من علم التفسير، ويبين هذا قول مجاهد- رحمه الله تعالى-: «عرضت القران على ابن عباس ثلاث عرضات أوقفه على كل اية أسأله فيما نزلت وكيف كانت» «2» ، وكما أن مجاهد كان إمام المفسرين فقد كان شيخ القراء كذلك وهو شيخ الإمام المكي ابن كثير الداري.

---

(1) انظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 20، مرجع سابق.

(2) الحاكم (2/ 307) ، الدارمي (1/ 273) ، ابن أبي شيبة (6/ 154) ، مراجع سابقة.

هل لتأخر التأليف في علم التجويد أثر سلبي؟:

لا يعني تأخر ظهور التأليف في علم التجويد أن القراء كانوا ينطقون القران قبل ذلك على غير أصل واضح، كما لا يعني أن علماء التجويد اختلقوا هذه الأصول أو ابتدعوها.

ف «تجويد القران قد يحصله الطالب بمشافهة الشيخ المجود، بدون معرفة مسائل هذا العلم، بل المشافهة هي العمدة في تحصيله، لكن بذلك العلم يسهل الأخذ بالمشافهة، وتزيد المهارة، ويصان به المأخوذ عن طريان الشك والتحريف» «1» ، فكانت أجيال المسلمين تجود القران بالمشافهة منذ عصر الصحابة حتى ظهرت المؤلفات التي تعني بالتجويد، وظلت المشافهة والتلقي عن الشيخ المتقن هي الأساس في قراءة القران وإتقان اللفظ بحروفه.

المطلب الثاني: مكونات علم التجويد- كما علمها النبي صلّى الله عليه وسلم-:

تمت صياغة مادة علم التجويد النظرية من المصدرين السابقين العملي والنظري، ثم واصل المتخصصون في علم التجويد أبحاثهم الصوتية وغيرها مستندين إلى تلك المادة، وأضافوا إليها خلاصة جهداهم حتى بلغ علم التجويد منزلة عالية من التقدم في دراسة الأصوات اللغوية.

ومن ثم فمن الجنف الشديد عند الكلام على حكم التجويد علما وعملا أن يتكلّم عنه بعيدا عن تصور مادته وماهيته وتصور أصوله الشرعية والنظرية، فتعليم النبي صلّى الله عليه وسلم أصحابه تجويد القران هو تعليم لمراتبه وأصوله الشرعية- بعد تقرير حداثة هذا المصطلح-، فيجب معرفة

أصوله الشرعية حتى يتم الحكم

(1) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 20، مرجع سابق نقلا عن محمد المرعشس الملقب ساجقلي زاده ت 1150 هـ.

عليها ... شأنه في ذلك شأن البيوع المحدثة لا بد من ردها إلى أصولها الشرعية للنظر في أحكامها تحليلا وتحريما.

وتجويد الشيء في اللغة «1» :
هو إحكامه وإتقانه يقال جوّد فلان الشيء وأجاده إذا أحكم صنعته، وأتقن وضعه، وبلغ به الغاية في الإحسان والكمال سواء كان ذلك الشيء من نوع القول، أو من نوع الفعل «2» .

وأما اصطلاحا:
له إطلاقان في اصطلاح علماء القراءة «3» :

التجويد العلمي:
معرفة القواعد والضوابط التي وضعها علماء التجويد ودونها أئمة القراءة من المخارج والصفات وأحكام النون الساكنة، والوقف والابتداء.
التجويد العملي: هو إحكام حروف القران وإتقان النطق بكلماته وبلوغ الغاية في تحسين ألفاظه والإتيان بها معربة بشرط النقل (التلقي) .
ويقال: يجود فلان القران تجويدا: «إذا أتى بالقراءة مجودة الألفاظ، بريئة من الجور في النطق بها، لم تهجنها الزيادة، ولم يشنها النقصان» «4» .
ولا يتحقق الإعراب والإتقان للكلمات إلا بإعطاء الحروف حقها ومستحقها، ولذا ذهب بعضهم في تعريفه على أنه: إخراج كل حرف من مخرجه مع إعطائه حقه ومستحقه «5» .

(1) انظر في تعريف التجويد: التحديد في الإتقان والتجويد ص 70، التمهيد ص 59، نهاية القول المفيد في علم التجويد ص 11.
(2) لسان العرب (3/ 135) ، مرجع سابق.
(3) انظر: أحكام قراءة القران الكريم ص 20.
(4) جمال القراء وكمال الإقراء (2/ 526) ، مرجع سابق.
(5) انظر مثلا: نهاية القول المفيد ص 12، أحكام تلاوة القران للحصري ص 15، مرجعان سابقان.

وحق الحرف هو: صفاته الذاتية اللازمة له فلا تنفك عنه كالجهر والشدة والاستعلاء، وكالإعراب النحوي ... فإن انفكت عنه فإن الانفكاك يغير ذات الحرف فإن عصى ومحظور إذا لم يعط الصاد والظاء حقهما من الاستعلاء والإطباق يصيران عسى ومحذور.

ومستحقه هو: صفاته العارضة الناشئة عن الصفات الذاتية كالتفخيم فإنه ناشئ عن الاستعلاء والتكرير، والترقيق فإنه ناشئ عن الاستفال ... والكسر والتفخيم متضادان لأن الأول يستدعي انخفاض اللسان والثاني يستدعي ارتفاعه ... وهذا على سبيل الإجمال، وإلا فالتفصيل أن التفخيم لا ينشأ دائما عن الاستعلاء ... وكالإظهار والقلب والإخفاء فإنها ناشئة إما عن التماثل وإما عن التقارب وإما عن التباعد، وإما عن التجانس، وهذه من الصفات الذاتية التركيبية.. كما هو مبسوط في محاله.

ولأن التجويد يعتمد على التلقي فما زال العلماء يكثرون من التنبيه أن إتقان التجويد لا بد فيه من رياضة الألسن والتكرار للفظ المتلقى كما قال الداني: «ليس بين التجويد وبين تركه إلا رياضة لمن تدبره بفكه» «1» ؛ إذ تنشأ في حال التركيب أحكام غيرها حال الإفراد «فمن أحكم صحة التلفظ حالة التركيب حصّل حقيقة التجويد بالإتقان والتدريب» «2» ، وقال صاحب كشف الظنون عن هذا العلم:

«وهو كالموسيقي من جهة أن العلم لا يكفي فيه بل هو عبارة عن ملكة حاصلة من تمرن امرئ بفكه وتدربه بالتلقف عن أفواه معلميه» «3» والناس في ذلك بين محسن مأجور، ومسيء اثم أو معذور كما قال ابن الجزري «4» .

---

(1) التحديد ص 60، مرجع سابق.

(2) التمهيد ص 65، مرجع سابق.

(3) كشف الظنون (1/ 353) ، مرجع سابق.

(4) كشف الظنون (1/ 353) ، مرجع سابق.

وجميع ما عليه القراء من القراءة تجويد وتحقيق، وحسن أداء، فقراءة ابن كثير مع تسهيله كقراءة حمزة في التجويد، لأن المراد بالتجويد: إعطاء الحروف حفها، وإخراجها من مخارجها، واجتناب اللحن الخفي، وذلك لا يختلف بحدر ولا بتأن «1» .

فأركان التجويد العملي ثلاثة هي:

أولا: إحكام حروف القران، وإتقان النطق بكلماته، والإتيان بها معربة بإعطاء الحرف حقه:
وهذا الركن راجع إلى كون القران نزل بلسان عربي مبين ... فالعمل به واجب قطعي لا ريب فيه، ولولا ما تقتضيه الضرورة البحثية لكفت البديهة في تصور دليله.
ولعل من أهم أسباب تأخر ظهور علم التجويد مدونا مستقلا غير اندماجه الظاهر في علم القراء: اعتماده الشديد على التلقي من الأفواه، وهذا مما يوضح أن الصحابة تعلموه من النبي صلّى الله عليه وسلم تلقائيا، لم يحتج إلى نص تفصيلي، لأنه جزء من البلاغ المبين للفظ القران الكريم، ولا شك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القران وإقامة حدوده هم متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراء المتصلة بالحضرة النبوية.
والموضوعات التي تتعلق بهذا الركن من علم التجويد مخارج الحروف وصفاتها الأصلية، والإدغام الواجب المتفق عليه، والمد الواجب من لازم ومتصل بغض النظر عن مراتبه....

(1) (السخاوي) علم الدين علي بن محمد ت 643 هـ: جمال القراء وكمال الإقراء (2/ 526) ، مرجع سابق.

ثانيا: إحكام حروف القران، وإتقان النطق بكلماته بإعطاء الحرف مستحقه:
مستحق الحرف هو صفاته العرضية الناشئة عن الصفات الذاتية، وهذا الركن كالأول، غير أن الفارق بينهما أن صفة الحرف هنا لا تغير من ذاته في الغالب، فإن الترقيق لا يغير من ذات الراء المفخمة، إنما يغير صفة الكمال فيها، والإشمام أو الروم لا يغير من ذات النون مثلا.
ويتعلق بهذا الركن موضوعات التجويد الاخرى مثل الصفات الفرعية من تفخيم وترقيق (دروس الرات واللامات وحروف الإطباق) ، وأبواب كيفية الوقف على أواخر الكلم ...

ثالثا: تحسين التلفظ بالحروف:
وهذا الركن هو ما يتميز به نطق الكلمات القرانية عن نطق سائر الكلمات العربية، ولذا فالجمهور لا يدخلون العمل بالتجويد في الحديث النبوي، وهذا الركن هو الذي عبر عنه العلماء بقولهم: «هو حلية التلاوة وزينة القراءة» «1» من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف، ومن أبرز من تميز به من الصحابة ابن مسعود، وأبو موسى الأشعري، وسالم مولى أبي حذيفة.
فالركنان الأولان هما التلاوة، وهما القراءة ... ولا يتصور أداء اللفظ إلا بالأول، وينفر من أدائه دون الثاني في الفصيح، وأما الثالث فهو تحسينهما وتجميلهما.
وتظهر الأركان الثلاثة في تعريف صاحب كشف الظنون لعلم التجويد بأنه «علم باحث عن تحسين تلاوة القران العظيم من جهة مخارج الحروف وصفاتها،

(1) الكامل للهذلي ص 19 وجه ب، مصورة مخطوطة عند الباحث. ملحوظة: وردت مصطلحات

التلاوة والأداء والقراءة في هذا الموضوع: «والفرق بين الثلاثة أن التلاوة: قراءة القران متتابعا، كالأوراد والأسباع والدراسة، والأداء: الأخذ عن المشايخ، والقراءة: تطلق عليهما، فهي أعم منهما» انظر: الدقائق المحكمة في شرح المقدمة.

(1/226)

وترتيل النظم المبين بإعطاء الحروف حقها من الوصل والوقف والمد والقصر والإدغام والإظهار ... » «1» . فتعبير العلماء عن التجويد بالتحسين مع أنه الركن الثالث؛ لأن الركنين الأولين دخلا ضمنا، فلا يتصور تحسين للفظ بغيرهما.

المطلب الثالث: حكم التجويد كما علمه النبي صلّى الله عليه وسلم:
أما الركنان الأولان من التجويد فلا يرتاب أحد في أن النبي صلّى الله عليه وسلم قد علمهما أصحابه رضي الله عنهم لن ذلك من مقتضيات نزول القران بلسان عربي مبين، إذ أصل أصول هيئة الأداء: عربية اللسان، وكل دليل للركن الثالث هو دليل للركنين السابقين.

ودليل تعليم النبي صلّى الله عليه وسلم لأصحابه الركن الثالث:
1- أمر الله عزّ وجلّ النبي صلّى الله عليه وسلم بتجويد القران: والنبي صلّى الله عليه وسلم إنما تلقاه مرتلا من جبريل عليه السّلام كما في اية الفرقان وَرَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا (الفرقان: 32) ، وأمر بأن يقرأه كما سمعه من جبريل عليه السّلام كما في اية المزمل وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (المزمل: 4) ، واية القيامة فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ
(القيامة: 18) ، ووقع ذلك منه عمليا كما في حديث المعالجة «2» ، ولا شك أننا مأمورون بالاقتداء به صلّى الله عليه وسلم.
2- قوله سبحانه وتعالى: يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ (البقرة: 121) : أي يقرؤونه حق قراءته، وهي قراءة تأخذ بمجامع القلب فيراعى فيها ضبط اللفظ والتأمل في المعنى، وحق الأمر والنهي.
وإعطاء اللفظ حقه في التلاوة: تظهر ضرورته الشرعية من هذه الاية وهذا هو التجويد؛ إذ عرّف العلماء (التجويد) بأنه إعطاء الحرف حقه ومستحقه،

---

(1) كشف الظنون (1/ 353) ، وانظر: أبجد العلوم (2/ 144) ، مرجعان سابقان.
(2) وتفصيل ذلك في كتاب تلقي النبي صلّى الله عليه وسلم ألفاظ القران الكريم ص 113، مرجع سابق.

(1/227)

فالتجويد من حق تلاوة الكتاب العزيز، وقد روى الطبري أن ابن مسعود رضي الله عنه كان يقول: «إن حق تلاوته أن يحل حلاله، ويحرم حرامه، وأن يقرأه كما أنزله الله عزّ وجلّ، ولا يحرفه عن مواضعه» «1» ، وعن قتادة قال في معنى الاية: «يتبعونه حق اتباعه– قال– اتباعه يحلون حلاله ويحرمون حرامه ويقرؤنه كما أنزل» .

3– قوله جل جلاله: وَقُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ (الإسراء: 106) .

4– أحاديث التحسين للقران، والتزيين لتلاوته، والتغني به، كما قال النبي صلّى الله عليه وسلم: «اقرؤوا القران وتغنوا به..» ، وقال صلّى الله عليه وسلم: «ليس منا من لم يتغن بالقران» ...

5– واشتد اهتمام النبي صلّى الله عليه وسلم بتعليمهم قواعد تجويد القران تلقينا كقوله صلّى الله عليه وسلم:

«الماهر بالقران مع السفرة الكرام البررة» ، «والمهارة في القران جودة التلاوة بجودة الحفظ فلا يتلعثم ولا يتشكك وتكون قراءته سهلة بتيسير الله تعالى كما يسره على الكرام البررة، فالماهر بالقران هو الحافظ له مع حسن الصوت به، والجهر به بصوت مطرب بحيث يلتذ سامعه» «2» .

6– وأعظم أدلة وجوب التجويد العملي هو التلقي القراني المتواتر تواترا ضروريا.

ويشير إلى ذلك ما جاء عن علي رضي الله عنه: «إن رسول الله صلّى الله عليه وسلم يأمركم أن تقرؤوا كما علمتم» «3» ، وحدد لهم بعض المعلمين فقال: «خذوا القران من أربعة من بن أم عبد فبدأ به ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وسالم مولى أبي حذيفة» «4» ، وهذا هو معنى قول الجزري في المقدمة:

---

(1) الطبري (1/ 519) ، مرجع سابق، تفسير الجلالين ص 25، مرجع سابق.

(2) انظر: فتح الباري (13/ 519) ، مرجع سابق.

(3) ابن حبان (3/ 21) ، مرجع سابق.

(4) البخاري (3/ 1385) ، مسلم (4/ 1913) ، الحاكم (3/ 250) ، الترمذي (5/ 674) ، مراجع سابقة.

والأخذ بالتجويد حتم لازم ... من لم يجود القران اثم

لأنه به الإله أنزلا ... وهكذا منه إلينا وصلا

«أي أن القراءة بالتجويد واجبة لأن الله أنزل القران به، فتجويد القران وصلنا من الله بسلسلة الإسناد الجليلة هذه، إذ إن المقصود الاصطلاحي بتجويد القران:

قراءته على الصفة التي قرأه بها النبي صلّى الله عليه وسلم وأداؤه بالهيئة التي أداه بها» «1» .

فعلم التجويد بأركانه «هو عبارة عن وصف اصطلاحي لما ثبتت الرواية به من صفة قراءة النبي صلّى الله عليه وسلم، وإلا فالمقصود هو تلك الهيئة التي نزل بها الوحي، وتلقاها رسول الله صلّى الله عليه وسلم من جبريل مشافهة، عرضا وسماعا، كما سبق بيانه، وأقرأ بها عددا من أصحابه» «2» .

فهذه النصوص واضحة الدلالة على أن القراءة توقيفية، فلا يجوز أن يقرأ أحد إلا بالهيئة التوقيفية

المتلقاة من الحضرة النبوية، والتي يتعلمها مشافهة من المقرئين، وقد عين النبي صلّى الله عليه وسلم لجيل الصحابة رضي الله عنه هؤلاء المقرئين ليتعلموا منهم القراءة، ويتلقوا منهم نص القران، وذكرهم ليس على سبيل الحصر، فقد نوه النبي صلّى الله عليه وسلم في أحاديث أخرى بقراء اخرين من الصحابة رضي الله عنه «3» .

وأكد النبي صلّى الله عليه وسلم على تجميل الصوت وتحليته عند قراءة القران الكريم فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «لكل شيء حلية وحلية القران حسن الصوت» «4» ، وعن البراء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «زينوا القران

---

(1) انظر: سنن القراء ص 28، مرجع سابق، وانظر تفصيل ذلك في كتاب التلقي الفصل الثالث كاملا.

(2) انظر: سنن القراء ص 110، مرجع سابق.

(3) انظر: سنن القراء ص 110، مرجع سابق.

(4) المختارة (7/ 88) ، مرجع سابق، ونحوه ذكره في مجمع الزوائد (7/ 171) ، مرجع سابق.

بأصوآتاكم فإن الصوت الحسن يزيد القران حسنا» «1» ، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلم يقول: «إن حسن الصوت يزين القران» «2» ، وتسلسلت المنهجية: فعن علقمة أنه قرأ على بن مسعود رضي الله عنه فقال: «رتل فداك أبي أمي فإنه زينة القران» «3» ، وفي رواية عنه قال: كنت رجلا قد أعطاني الله حسن الصوت، وكان ابن مسعود يرسل إلي فأقرأ عليه القران فكنت إذا فرغت من قراءتي قال: زدنا من هذا فداك أبي وأمي فإني سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلم يقول: «حسن الصوت زينة للقران» «4» .

المسلمون في أغلبهم الأعم يقومون بالأركان الثلاثة:

وحتى لا يبادر البعض بالإنكار على وجوب ما سبق فإنه يجب تقرير حقيقة واقعة في حياة المسلمين هي: أن المرتبة الثالثة حقيقة ملموسة واقعية فلا تجد صغيرا ولا كبيرا ولا رجلا ولا امرأة ولا شابا ولا هرما إلا غير نبرة تصويته عند قراءة القران الكريم إلى هيئة فيها تغن ظاهر كل حسب قدرته وطاقته الصوتية.

وعلى هذا يحفظ هذا الكتاب المجيد من جميع الجهات:

فثم غاية لقراءة القران هي التدبر أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ (النساء: 82) ، كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ (ص: 29) سواء كانت اللام أن تكون للتعليل أو للعاقبة.

---

(1) الحاكم (1/ 768) ، مرجع سابق.

(2) الشاشي في مسنده (1/ 339) ، مرجع سابق، وهو في مجمع الزوائد (7/ 171) ، مرجع سابق.
(3) ابن الجعد (1/ 496) ، الطبراني في الكبير (10/ 82) ، الفردوس بمأثور الخطاب (2/ 141) ، مراجع سابقة.
(4) الطبراني في الكبير (10/ 82) ، مرجع سابق.

وثم مقتضى يوجبه التدبر هو الخشوع اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلى ذِكْرِ اللَّهِ (الزمر: 23) .
وثم طريقة لقراءة هذا الكلام هي التلاوة بالترتيل وتحسين التصويت به، فليست قراءة القران كمعتاد الكلام، أو إلقاء الشعر.
فتحصل بمجموع ذلك كله: وجوب ترتيل (تجويد) القران كما تلقي وسمع مع المنع من غثاثة الإفراط في التغني للتوقيفية التعبدية المحضة.

فالواجب الشرعي في التجويد:
وهو ما أجمع عليه القراء كالإخفاء والإدغام والإظهار والقلب وترك المد فيما أجمع على قصره وترك القصر فيما أجمع على مده وغيره ذلك مع أن الواجب من المد هو القدر المجمع عليه مما ليس فيه خلاف، وتزيين القراءة بحيث تختلف عن سجية معتاد الكلام حال التلاوة، فهذا هو الواجب الشرعي؛ إذ يمثل الترتيل المأمور به، ويبقى العذر بالجهل مانعا من وقوع العامي في الإثم، ولكن أي عذر لمتعلم جامعي في أرقى التخصصات الفنية ألا يعرف كيفية قراءة كتاب الله الكريم أكثر من العامي أو الأمي؟.

وحقيقة الوجوب هنا قائمة على ركائز:
توفر الحد الأدنى من أحكام التجويد مما هو مجمع عليه بين القراء، فليس من الواجب تحقيق المد تماما وإنما المجيء بأصله الذي يسمى به مدا، وكذلك الغن، ولا يكون ذلك إلا بتحقيق مخرج الحرف وصفته ... ولذا ذكر قالون عن نافع أنه كان يمد ويحقق القراءة، ولا يشدد، ويقرب بين المدود وغير المدود، قال ابن

مجاهد: وكذلك مذهب ابن كثير وأبي عمرو «1» ، وقال حمزة: ترك الهمز في المحاريب من الأستاذية «2» ، والمراد ترك الكمال في ذلك كله.

تحسين الصوت تغنيا وتزيينا بالمستطاع: والمراد تغيير نغمة الصوت عند التلاوة على هيئة مميزة للقران الكريم.
أن الأركان الثلاثة تتفاوت في وجوبها، فالأول لا تسمى القراءة قراءة إلا به، والثاني يخل بعرف القراءة وقد يخل بالمعنى، ووجوبه في درجة أدنى، والثالث يخل بعرف تلاوة القران ووجوبه أقل مما سبقه، والتساهل فيه كائن، والله أعلم.

---

(1) (الداني) أبو عمرو عثمان بن سعيد الأندلسي ت 444 هـ: التحديد في الإتقان والتجويد ص 87، مرجع سابق.
(2) (السخاوي) علم الدين علي بن محمد ت 643 هـ: جمال القراء وكمال الإقراء (2/ 471) ، مرجع سابق، ويراجع كلام السخاوي القيم في الدفاع عن ابن عامر وحمزة.

المبحث الثالث: تعليمه صلّى الله عليه وسلم أهمية التجويد وضوابطه الشرعية:
بعد معرفة الأصول الشرعية للتجويد وتصور ماهيته، وحكم تعلمه، لا بد من الإشارة إلى وسائل النبي صلّى الله عليه وسلم في بيان أهميته، واجتناب ما يضاده، وبيان حدوده، وهو ما يتحدث عنه هذا المبحث، ولذا انقسم إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعليمه صلّى الله عليه وسلم أهمية التجويد.
المطلب الثاني: تعليمه صلّى الله عليه وسلم اجتناب اللحن.
المطلب الثالث: تعليمه صلّى الله عليه وسلم ضوابط التجويد.
المطلب الأول: تعليمه صلّى الله عليه وسلم أهمية التجويد:
علمهم النبي صلّى الله عليه وسلم أهمية التجويد من وقت مبكر من البعثة حيث نزلت سورة المزمل ... ومن معالم تعليمه صلّى الله عليه وسلم للصحابة أهمية التجويد:

1- كان النبي صلّى الله عليه وسلم يعلمهم القران حرفا حرفا:
وهذا إنما يكون بالتلقين القراني للحروف مصحوبة بالترتيل حتى قال عبد الله بن مسعود في وصف تعليم النبي صلّى الله عليه وسلم لهم التشهد «كما يعلمنا السورة من القران» «1» ، ومثله حديث ابن عباس، وجابر في تعلم الاستخارة «2» ، فيحتمل أن يكون وجه الشبه هو التكرار، ويحتمل دقة التلقين، والاهتمام بدقة الحفظ والأظهر أن ذلك شمل الأمرين معا، ويدل على ذلك وعلى تسلسل هذه المنهجية أيضا أن إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي والأسود بن يزيد بن قيس النخعي رويا

---

(1) صحيح ابن خزيمة (1/ 349) ، مرجع سابق.
(2) البخاري (1/ 391) ، مرجع سابق.

عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم علمه التشهد في الصلاة فقالا: «كنا تحفظه عن عبد الله بن مسعود كما نحفظ حروف القران الواو والألف» «1» ، وقد شدد ابن مسعود رضي الله عنه في ذلك «حتى أخذ على أصحابه الواو والألف فيه كي يوافقوا لفظ رسول الله صلّى الله عليه وسلم» «2» .

ويدل قوله «الواو والألف» : على تحري الحروف وعدم إبدالها بغيرها، ويحتمل أن يكون المعنى إتقان نطق الحرف، والتشديد على ما يخل به الإنسان عادة كالحركات (التي تسمى في علم الأصوات: الألفونات والمصوتات) التي قد تتعرض إلى البتر إذا كانت طويلة، أو إلى المط إذا كانت قصيرة ... فيحمل على العموم، وذكر الألف والواو يدل على مقدار الإتقان في الحفظ والأداء معا كما قال مجاهد:

«صليت خلف مسلمة بن مخلد فافتتح البقرة فما أخطأ فيها واو ولا ألفا» «3» .

2- جعل الترتيل (التجويد) القراني مقياسا لدقة الترتيل في غيره:

ولذا كانوا يشبهون دقة تعليم أي شيء اخر بتعلم ألفاظ القران كالتشهد والاستفتاح والاستخارة، والأذان الذي يؤدى مرتلا مغنى به.

3- وقد كان صلّى الله عليه وسلم يعلمهم مد الصوت في الأذان فكيف تراه في تعليم القران؟:

فعن أبي محذورة رضي الله عنه قال: ألقى علي رسول الله صلّى الله عليه وسلم التأذين «حرفا حرفا» هو بنفسه فقال قل الله أكبر ... قال: ثم أرجع فمد من صوتك ... الحديث «4» . فالمراد بمد الصوت هنا رفع الصوت وإطالة المد بنداوة.

---

(1) صحيح ابن خزيمة (1/ 438) ، ابن أبي شيبة (1/ 262) ، مرجعان سابقان.

(2) شرح معاني الاثار (1/ 265) .

(3) ابن أبي شيبة (6/ 139) ، الحاكم (3/ 565) ، مرجعان سابقان، ومسلمة المذكور هو الأنصاري الزرقي صحابي معروف ولد في السنة الأولى للهجرة، كان أميرا لمصر ومات وهو وال عليها سنة 62 هـ، انظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء (3/ 125) ، المعين في طبقات المحدثين ص 26، مشاهير علماء الأمصار ص 56.

(4) أبو داود 1/ 137، مرجع سابق.

4- ديمومة الإقراء لهم بالترتيل ليصير عادة قرانية في التلاوة:
فكانوا يسمعون القران منه صلّى الله عليه وسلم مرارا، فيكون ذلك مراسا لهم على الحفظ وإتقان الأداء على ما هو معلوم من صلاته الجهرية، وحلقاته القرانية وإقرائه الفردي وتبليغه العام.

5- تقديم الأقرأ في أهم العبادات وهي الصلاة:
وقد أمر أن يؤمّ باقوم الأقرأ، وهذا يدل على اهتمامه بتعليمهم ما يتفاضلون فيه في القراءة، والأقرأ «محتمل لشيئين أحدهما أن يكون المراد به أحفظهم للقران، وهو المتبادر الثاني: أحسنهم تلاوة للقران باعتبار تجويد قراءته وترتيلها» «1» ، ولا شك أن الأكثر قراءة هو الذي جمع بين الأمرين وعليه عمل عامة المسلمين إلى اليوم.

6- تقسيم قرأة القران إلى قسمين: الماهر، والمتعتع:
فعن عائشة- رضي الله تعالى عنها- قالت: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «الماهر بالقران مع السّفرة الكرام البررة والّذي يقرأ القران ويتتعتع فيه وهو عليه شاقّ وفي لفظ: والّذي يقرأ وهو يشتدّ عليه له أجران له أجران» «2» .
والماهر بالقران: أصل المهارة الحذق بالسباحة، والمراد بالمهارة بالقران جودة الحفظ وجودة التلاوة من غير تردد فيه «3» ، فالماهر هو «الحاذق الكامل الحفظ الذي لا يتوقف ولا يشق عليه القراءة بجودة حفظه وإتقانه» «4» ، ولذا ففي رواية البخاري: «مثل الذي يقرأ القران وهو حافظ له» «5» فالماهر من اجتمع فيه

---

(1) البحر الرائق (1/ 368) ، مرجع سابق.
(2) البخاري (4/ 1882) ، مسلم (1/ 549) .
(3) انظر: فتح الباري (13/ 519) ، مرجع سابق.
(4) انظر: شرح النووي (6/ 84) ، مرجع سابق.
(5) البخاري (4/ 1882) ، مرجع سابق.

شرطان: جودة الحفظ، إتقان الأداء «فالمهارة في القران بهذا جودة التلاوة بجودة الحفظ فلا يتلعثم ولا يتشكك وتكون قراءته سهلة ... » «1» .
«وثواب الماهر أن يكون مع الملائكة أو الرسل وياله من حظ وشرف، وسبب ذلك أن الله تعالى يسره الله تعالى عليه كما يسره على الملائكة فكان مثلها في الحفظ والدرجة» «2» ، «ويحتمل أن يكون معنى كونه مع الملائكة أن له في الاخرة منازل يكون فيها رفيقا للملائكة السفرة؛ لاتصافه بصفتهم من حمل كتاب الله تعالى، ويحتمل أن يراد أنه عامل بعملهم» «3» .
وأما التتعتع فهو «التردد في الكلام عيا وصعوبة» «4» والذي يتتعتع فيه هو الذي يتردد في تلاوته

لضعف حفظه، أو لصعوبة أدائه وإتقانه وقوله «وهو شديد عليه» أي يصيبه شدة ومشقة، والشدة والمشقة قد تكون في حفظه، وقد تكون في أدائه، وقوله «له أجران» : أجر بالقراءة، وأجر بتتعته في تلاوته ومشقته «5» .
وليس معنى الحديث أن الذي يتتعتع عليه له من الأجر أكثر من الماهر به، بل الماهر أفضل وأكثر أجرا؛ «لأنه مع السفرة وله أجور كثيرة، ولم يذكر هذه المنزلة لغيره» «6» كما يقال أيضا: «درجات الماهر فوق ذلك كله لأنه قد كان القران متعتعا عليه ثم ترقى عن ذلك إلى أن شبه بالملائكة» «7» .

---

(1) انظر: فتح الباري (13/ 519) ، مرجع سابق.
(2) انظر: فتح الباري (13/ 519) ، مرجع سابق.
(3) انظر: شرح النووي (6/ 84) ، مرجع سابق.
(4) انظر: القرطبي (1/ 7) ، مرجع سابق.
(5) انظر: شرح النووي (6/ 84) ، مرجع سابق.
(6) انظر: شرح النووي (6/ 84) ، مرجع سابق.
(7) انظر: القرطبي (1/ 7) ، مرجع سابق.

7- فرضية أداء المستطاع في تلاوة القران الكريم من الترتيل:
كما دل عليه الحديث السابق.

8- وكان النبي صلّى الله عليه وسلم يجعل ميادين تجويد القران مختلفة ليرسخ بأكثر من أسلوب:
وذلك كالصلاة الجهرية الجماعة، وحلقة التعليم، والتعليم الفردي، والصلاة الفردية، والقراءة الفردية فكان يرفع الصوت بالقراءة، ولا شك أن من المقاصد الشرعية لذلك سماع القران لفظا وكيفية (أداء) فعن أم هانئ قالت: كنت أسمع قراءة النبي صلّى الله عليه وسلم وأنا على عريشي «1» .
وتسلسلت هذه المنهجية فقد علم الصحابة رضي الله عنهم تلاميذهم ذلك كما تعلموه من النبي صلّى الله عليه وسلم فأخبروهم أن من أعظم واجبات حامل القران تلاوته بالحق أي بأحكامه ليس التلاوة المجردة فعن شقيق قال: أتى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بمصحف قد زين فقال: إن أحسن ما زين به المصحف تلاوته بالحق «2» .

وقد نبه الصحابة رضي الله عنهم تلاميذهم إلى ضرورة التزام التجويد:
وذموا تاركه فعن حذيفة رضي الله عنه: «إنّ من أقرأ الناس للقران منافقا لا يدع منه واوا ولا ألفا، يلفته بلسانه كما تلفت البقرة الخلى بلسانها» «3» ، فقد وسم من لا يعطي الحروف حقها بالنفاق وذلك أن اللفت هنا من قولهم: الرّاعي يلفت الماشية بالعصا، أي يضربها بها، لا يبالي أيها أصاب،

والمعنى: «يقرؤه من غير رويّة ولا

(1) ابن ماجة (1/ 429) ، وقال في مصباح الزجاجة (1/ 159) ، مرجع سابق: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات» .
(2) سعيد بن منصور في سننه (2/ 485) ، مرجع سابق، وقال المحقق: «سنده صحيح» .
(3) ابن أبي شيبة (6/ 127) ، مرجع سابق، صفة المنافق ص 59 للفريابي.

تبصّر بمخارج الحروف، وتعمّد للمأمور به من الترتيل والترسّل في التلاوة، غير مبال بمتلوّه كيف جاء؛ كما تفعل البقرة بالحشيش إذا أكلته، وأصل اللّفت ليّ الشيء عن الطريق المستقيمة» «1» ، وقد يحتمل عند الباحث أن يكون المعنى:
اهتمام المنافق بالقراءة حتى لا يترك منه ألفا ولا واوا إلا أتقنه ليفتن الناس بذلك.
ومن ذلك ما جاء عن أبي جمرة قال قلت لابن عباس: إني (رجل) سريع القراءة، إني أهذ القران «وربما قرأت القران في ليلة مرة أو مرتين» . فقال ابن عباس: لأن أقرأ سورة البقرة فأرتلها أحب إلي من أن أقرأ القران كله «فإني كنت فاعلا لابد فاقرأه قراة تسمع أذنيك ويعيه قلبك» «2» ... وهذا الأخير هو حدّ الحدر الاصطلاحي ...
وصيغة التفضيل (أحب) في قول ابن عباس لا تدل على جواز قراءة القران بغير ترتيل بل تدل على الاستبداد، وتشبه في ذلك قوله سبحانه وتعالى: ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (الصف: 11) ، أو يكون من باب الترتيل الذي بمعنى التأني والتؤدة (يطابق التحقيق الاصطلاحي) ، والمفاضلة بينه وبين الهذ وهو الإسراع (يطابق الحدر الاصطلاحي) مع بقاء الأحكام الواجبة في كل منهما، كما سيأتي في مراتب الترتيل– إن شاء الله عزّ وجلّ– في المبحث القادم.
ومن أهم معالم تعليم النبي صلّى الله عليه وسلم لهم أهمية التجويد: تعليمه اجتناب اللحن، وهو ما يأتي في الفصل التالي.

(1) انظر: الفائق في غريب الحديث (3/ 224) .
(2) البيهقي في الكبرى (3/ 13) ، مرجع سابق.

المطلب الثاني: تعليمه صلّى الله عليه وسلم اجتناب اللحن «1» :

الدلالة اللغوية والاصطلاحية للحن:

ذكر بعضهم للحن ستة معان: الخطأ في الإعراب، واللغة، والغناء، والفطنة والتّعريض والمعنى «2»
ومنه قول الشاعر:
منطق صائب وتلحن أحيانا ... وخير الحديث ما كان لحنا
وأما اللحن في اصطلاح القراء فهو: هو الميل عن الصواب فهو خطأ يطرأ على القراءة فيخل بعرف القراءة وبمعناها وهو الجلي، أو يخل بالعرف دون المعنى وهو الخفي.
وقد جعل النسفي «الخطأ في القراءة ستة أنواع أحدها: في الاية والثاني في الكلمة والثالث في الحروف والرابع في الإعراب والخامس في قطع الكلمة والسادس في الوقف والابتداء» ثم جعل للثلاثة الأولى ستة أوجه «وهي الزيادة والنقصان والتقديم والتأخير والإبدال والتكرار ... وجعل الضابط في فساد الصلاة في الغالب هو تغير المعنى عند أبي حنيفة ومحمد وأما أبو يوسف فيشترط اللفظ» «3» ، وعلى هذا الجماهير أن الخطأ اللفظي لا يغتفر في فساد الصلاة لقادر على التعلم.

---

(1) انظر في مناقشة موضوع اللحن من زاوية تجويدية: التمهيد ص 76، مرجع سابق، نهاية القول المفيد ص 22، مرجع سابق.
(2) انظر: لسان العرب (13/ 379 و 13/ 381) ، مختار الصحاح (1/ 248) ، مرجعان سابقان.
(3) من مصورة مخطوطة للشيخ أبي حفص عمر بن محمد بن أحمد النسفي ورقة 1 وجه أفي ملك الباحث، والصورة مستجلبة من مخطوطات كتب خانة بالهند.

ومن معالم أمر النبي صلّى الله عليه وسلم باجتناب اللحن وتصحيحه:

1- الأمر بإعراب القران:
وذلك كائن بإعطاء كل حرف حقه ومستحقه، وهو معنى التجويد، والأمر بإعراب القران إبعاد للركن الأساسي من أركان اللحن الجلي، وقد «جاء عن النبي صلّى الله عليه وسلم وعن أصحابه وتابعيهم رضوان الله عليهم من تفضيل إعراب القران، والحض على تعليمه، وذم اللحن وكراهيته ما وجب به على قراء القران أن يأخذوا أنفسهم بالاجتهاد في تعلمه» «1» كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:
قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «أعربوا القران والتمسوا غرائبه» «2» ، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «أعربوا القران فإن من قرأ القران فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات وكفارة عشر سيئات ورفع عشر درجات» «3» ، ومعنى إعراب القران كما قال الحليمي: «شيئان أحدها أن يحافظ على الحركات التي بها يتميز لسان العرب على لسان العجم، والاخر أن يحافظ على أعيان الحركات ولا يبدل شيئا منه بغير لأن ذلك ربما أوقع اللحن أو غير المعنى» «4» ، وكذلك أن يؤدي لكل حرف حقه من الأداء حتى يبرز الكلام باللفظ تماما، وإنما

تكون دقائق العربية بتطبيق دقائق التجويد لأن حقيقة التجويد البحث عن أحوال الحروف ودقائق النطق بها «5» .

---

(1) تفسير القرطبي (1/ 23) ، مرجع سابق وقد نقل ذلك عن أبي بكر الأنباري.
(2) الحاكم (2/ 477) ، مرجع سابق وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد على مذهب جماعة من أئمتنا ولم يخرجاه» ، وفي مجمع الزوائد (7/ 163) : «رواه أبو يعلى وفيه عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد المقبري وهو متروك» ، وهو في ابن أبي شيبة (6/ 116) ، وانظر: خالدون الأحدب (دكتور) : زوائد تاريخ بغداد على الكتب السنة (6/ 216) ، دار القلم- دمشق ط 1، 1996 م- 1417 هـ، وقال في إسناده عند الخطيب: «إسناده ضعيف جدا» .
(3) الطبراني في الأوسط (7/ 307) ، مرجع سابق، مجمع الزوائد (7/ 163) ، مرجع سابق، وقال: «رواه الطبراني في الأوسط وفيه نهشل وهو متروك» .
(4) شعب الإيمان (2/ 429) ، مرجع سابق.
(5) انظر: لسان العرب (1/ 590) ، مرجع سابق.

وتسلسلت المنهجية فقال ابن مسعود رضي الله عنه: «أعربوا القران فإنه عربي وسيكون بعدكم أقوام يثقفونه وليسوا بخياركم» «1» ، والظاهر أن معنى يثقفونه أي يلتقطون كلامه التقاطا كأنهم لا يبالون بإعرابه، أو يسردونه دون مبالاة ببيانه، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «أعربوا القران فإنه عربي، وتفقهوا في السنة، وأحسنوا عبارة الرؤيا، وإذا قص أحدكم على أخيه فليقل اللهم إن كان خيرا فلنا وان كان شرا فعلى عدونا» «2» .

2- الأمر الصريح باجتناب اللحن عموما وتصحيحه لمن وقع فيه:
فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمع النبي صلّى الله عليه وسلم رجلا قرأ فلحن فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «أرشدوا أخاكم» «3» وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «تعلموا السنة والفرائض واللحن كما تعلموا القران» «4» ، وعن أبي بن كعب قال: «تعلموا اللحن في القران كما تعلمون القران» «5» . وأما ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا: «إذا قرأ القارئ فأخطأ أو لحن أو كان أعجميا كتبه الملك كما نزل» «6» فالمراد به- إن صح- كأن يبدل «حرفا بحرف لفقد معلم أو عجز أو لحن فيه بأن

---

(1) سعيد بن منصور (1/ 146) ، الطبراني في الكبير (9/ 139) ، شعب الإيمان (2/ 429) ، مراجع سابقة، وقال فيه الهيثمي في مجمع الزوائد (7/ 163) ، مرجع سابق: «رواه الطبراني من طرق وفيها ليث بن أبي سليم وفيه ضعف وبقية رجال أحد الطرق رجال الصحيح» ، ومعنى يثقفونه كما قال البيهقي في شعب الإيمان (2/ 541) ، مرجع سابق: «يعني يسردونه» ، وجاء الجزء الأول منه

«أعربوا القران» مرفوعا وموقوفا في المعجم الكبير للطبراني (9/ 139) ، مرجع سابق.
(2) سعيد بن منصور (2/ 267) ، مرجع سابق.
(3) الحاكم (2/ 477) ، مرجع سابق، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» .
(4) شعب الإيمان (2/ 429) ، مرجع سابق.
(5) شعب الإيمان (2/ 429) ، مرجع سابق.
(6) الفردوس (1/ 289) ، مرجع سابق.

(1/241)

حرفه أو غير إعرابه» «1» ، وليس معنى هذا الحديث إلا معنى الاخر (الماهر بالقران) ففي هذا الحديث «أن القارئ يكتب له ثواب قراءته، وإن أخطأ ولحن لكن محله إذا لم يتعمد ولم يقصر في التعلم وإلا فلا يؤجر بل يؤزر» «2» .
والتجويد معرفة الصواب في القراءة واجتناب الخطأ، فمعرفة اللحن هي الركن الثاني من ركني الإتقان في هذا الباب، وقد أشار إلى ذلك الخاقاني بقوله:
فأول علم الذكر إتقان حفظه ... ومعرفة باللحن من فيك إذ جرى
فكن عارفا باللحن كيما تزيله ... وما للذي لا يعرف اللحن من عذر
«3» ملحوظة: ظهر أن أكثر ما ورد من أحاديث واثار في هذا المطلب ضعيفة ضعفا غير منجبر لكن الباحث ذكرها محاولة للإحاطة بما ورد في الباب، ولأن أصل الموضوع قائم في التلقي ذاته ... إذ عملية الإقراء والتلقين قائمة على سماع الصواب وتسميعه في اللفظ والأداء، ونفي الخطأ المنع منه في اللفظ والأداء أيضا.

المطلب الثالث: تعليمه صلّى الله عليه وسلم ضوابط التجويد:
وكما أن النبي صلّى الله عليه وسلم علمهم التجويد وأهميته، ونفرهم من اللحن فقد علمهم الضوابط التي تضبط طريقة أداء اللفظ القراني لئلا يحدث البغي في ترتيل ألفاظ القران، وهيئات التصويت بحروفه بحيث لا يغالى في تجويد القران، ولا يوغل في التغني به حتى يخرج عن كونه قرانا معظّم اللفظ والمعنى إلى جعله كلاما مغنى اللفظ متروك المعنى، ومن معالم تعليمه في ذلك:

---

(1) فيض القدير (1/ 416) ، مرجع سابق، وقال: «وفيه هشيم بن بشير قال الذهبي حافظ حجة مدلس عن أبي بشر مجهول» .
(2) فيض القدير (1/ 416) ، مرجع سابق.
(3) محمد مكي نصر: نهاية القول المفيد في علم التجويد ص 22، طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر: راجع هذه النسخة وصححها على محمد الضباع ربيع الثاني 1349 هـ.

(1/242)

1- المنع من الغلو في ترتيل لفظ القران:
فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «إن من إجلال الله إكرام ... حامل القران غير الغالي فيه والجافي عنه ... » «1» ، والغلو هو المبالغة في التجويد، أو الإسراع في القراءة بحيث يمنعه عن تدبر المعنى، والتشديد ومجاوزة الحد في العمل به، وتتبع ما خفي منه واشتبه عليه من معانيه، وأما قوله «ولا الجافي عنه» أي وغير المتباعد عنه المعرض عن تلاوته وإحكام قراءته وإتقان معانيه والعمل بما فيه «2» ، ولذا نبه أهل العلم على ضرورة ألايخرج التغني بالقران عن حده المعلوم، فالأمر بالتجويد وما يتبعه من تغن: «إذا لم يخرجه التغني عن التجويد، ولم يصرفه عن مراعاة النظم في الكلمات والحروف، فإن انتهى إلى ذلك عاد الاستحباب كراهة» «3» .

2- التخفيف في المطالبة بالدقة البالغة لأحكام التجويد خاصة للعامة:
كما جاء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلّى الله عليه وسلم ونحن نقرأ القران وفينا الأعرابي والأعجمي فقال: «اقرؤا فكل حسن، وسيجيء أقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه» «4» ، وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلّى الله عليه وسلم يوما ونحن نقترئ فقال: «الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الأحمر وفيكم الأبيض وفيكم الأسود اقرؤه قبل أن يقرأه أقوام يقيمونه كما يقوم السهم يتعجل أجره ولا يتأجله» «5» .

---

(1) أبو داود (4/ 261) ، مرجع سابق.
(2) انظر: عون المعبود (13/ 32) ، مرجع سابق.
(3) فيض القدير (4/ 68) ، مرجع سابق.
(4) سنن أبي داود (1/ 220) ، مرجع سابق.
(5) سنن أبي داود (1/ 220) ، مرجع سابق.

فقوله: «اقرؤا فكل حسن» : أي فكل واحدة من قراءتكم حسنة مرجوة للثوب، ولا عليكم ألاتقيموا ألسنتكم إقامة القدح وهو السهم قبل أن يراش «وسيجيء أقوام يقيمونه» : أي يصلحون ألفاظه وكلماته ويتكلفون في مراعاة مخارجه وصفاته (كما يقام القدح) : أي يبالغون في عمل القراءة كمال المبالغة لأجل الرياء والسمعة والمباهاة والشهرة، وقال الطيبي- رحمه الله تعالى-: «وفي الحديث رفع الحرج وبناء الأمر على المساهلة في الظاهر، وتحري الحسبة والإخلاص في العمل، والتفكر في معاني القران» «1» ، وهذا يعطي سعة في عدم التعمق في إتقان التجويد، والتساهل في ذلك ما دامت أصول القواعد ظاهرة وذلك مثل وجود الحد الأدنى من المدود الفرعية فيغض النظر عن توفر الكمال فيها، وجاء رجل إلى نافع فقال:

تأخذ عليّ الحدر، فقال نافع: ما الحدر؟ ما أعرفها، أسمعنا. قال: فقرأ الرجل، فقال نافع: الحدر، أو قال حدرنا، ألانسقط الإعراب، ولا ننفي الحروف، ولا نخفف مشددا، «ولا نشدد مخففا» ، ولا نقصر ممدودا، ولا نمد مقصورا، قراءتنا قراءة أكابر أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلم سهل جزل، لا نمضغ، ولا نلوك «2» .

وقد أشار إلى بعض ذلك الإمام السخاوي في منظومه بقوله:

لا تحسب التجويد مدا مفرطا ... أو مد ما لا مد فيه لوان
أو أن تشدد بعد مدّ همزة ... أو أن تلوك الحرف كالسكران
أو أن تفوه بهمزة متهوعا ... فيفر سامعها من الغثيان
للحرف ميزان فلا تك طاغيا ... فيه ولا تك مخسر الميزان
«3»

---

(1) عون المعبود (3/ 42) ، مرجع سابق.
(2) (الداني) أبو عمرو عثمان بن سعيد الأندلسي ت 444 هـ: التحديد في الإتقان والتجويد هامش ص 93، مرجع سابق.
(3) (ابن أم قاسم) الحسن بن قاسم المرادي ت 749 هـ: المفيد في شرح عمدة المجيد في النظم والتجويد ص 15، تحقيق: د. علي حسين البواب، مكتبة المنار، 1407 هـ- 1987 م، الزرقاء- الأردن.

3- ألا تؤدي أحكام الترتيل إلى إلغاء الغاية من التلاوة وهي التدبر:

فتصبح القراءة بذلك مجرد مثار للطرب: كما قال سبحانه وتعالى: كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ (ص: 29) ، ولذا قيل في قول أنس رضي الله عنه: «يمد صوته مدا» «أي يطيل الحروف الصالحة للإطالة يستعين بها على التدبر والتفكر وتذكير من يتذكر» «1» وليس الإطالة للتطريب المجرد.

وهذا الوصف هو الذي يتأتى منه الغرض من التلاوة وهو التدبر والتأمل كما في قوله سبحانه وتعالى: أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ (النساء: 82) ، كما أنه هو الوصف الذي يتأتى معه الغرض من خشوع القلب كما في قوله جل جلاله: اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ (الزمر: 23) ولا تتأثر به الجلود والقلوب إلا إذا كان مرتلا، فإذا هذا كالشعر أو الكلام العادي لما فهم، وإذا كان مطربا كالأغاني لما أثر، فوجب الترتيل كما بين «2» .

وتسلسلت المنهجية فنقل الصحابة ذلك الهم فعلموه تلاميذهم فعن حذيفة قال: «ليقرأن القران أقوام يقيمونه كما يقام القدح لا يدعون منه ألفا ولا يجاوز إيمانهم حناجرهم» «3» .

4- عدم التدافع المعنوي واللفظي في القران:

فنهاهم النبي صلّى الله عليه وسلم عن أن يخطئ بعضهم بعضا فيما كان الأمر فيه واسعا في تأدية الألفاظ أو في دلالاتها، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال:
سمع رسول الله صلّى الله عليه وسلم قوما يتدارؤن في القران فقال: «إنما هلك من كان قبلكم

---

(1) حاشية السندي (2/ 179) ، مرجع سابق.
(2) انظر: أضواء البيان (8/ 610) ، مرجع سابق.
(3) سعيد بن منصور في سننه (1/ 249) ، مرجع سابق.

بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضا، فلا تكذبوا بعضه ببعض، فما علمتم منه فقولوه، وما جهلتم منه فكلوه إلى عالمه» «1» .

---

(1) أحمد (2/ 185) ، مرجع سابق، الجامع لمعمر بن راشد (11/ 216) ، مرجع سابق.

المبحث الرابع: تعليمه صلّى الله عليه وسلم ترتيل ألفاظ القران الكريم:
وفيه ثلاثة مطالب:
التجويد– كمصطلح– استحدث ليعبّر عن الترتيل ونحوه من المصطلحات الشرعية، فلا بد من بسط مفهوم الترتيل لنرى كيف علمه النبي صلّى الله عليه وسلم لأصحابه رضي الله عنهم، واقتضى ذلك أن ينقسم المبحث إلى ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: الترتيل وأركانه.
المطلب الثاني: مثال على فروع الترتيل التي علمها النبي صلّى الله عليه وسلم.
المطلب الثالث: تعليمه صلّى الله عليه وسلم مراتب الترتيل.

المطلب الأول: الترتيل وأركانه:

الترتيل في الوضع اللغوي:
يفهم من دلالات الوضع اللغوي للترتيل أنه الذي يجمع عدة دلائل «1» :

1– حسن التنسيق والتنضيد للشيء المرتل:
ومنه «ثغر رتل ورتل: حسن التنضيد مستوي النبات» والرتل: حسن تناسق الشيء.

2- حسن التنسيق بين أجزاء الشيء المرتل مع شدة البيان
والظهور لها بحيث يتميز بعضها عن بعض: ومنه يقال «ثغر رتل وهو المفلّج الذي بين أسنانه فروج لا يركب بعضها بعضا، ورتّل الكلام: أحسن تأليفه وأبانه وتمهّل فيه» ، وهذا لا يكون إلا إذا ميز كل حرف عن الاخر، وأبان كل حركة من الاخرى.

(1) انظر: لسان العرب (11/ 265) ، مرجع سابق.

3- أن يكون حسنه على تؤدة:
ومنه كلام رتل أي مرتّل إذا كان «حسنا على تؤدة» .

4- أن يكون التبيين والتمهل والتؤدة بغير بغي
يخرجه عن سنن الكلام المرتل، ويضبط هذا في ترتيل لفظ القران الكريم التلقي.

5- وهذا المعنى اللغوي للترتيل هو الذي يستلزم السكينة والوقار
فلا يكون التنسيق والتنضيد للكلام القراني، والإبانة والتأني ... مخرجا له عن الكلام القراني إلى الغناء المتخلع لما هو غير قران ...
واجتمع هذا كله في تأويل قوله سبحانه وتعالى: وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (المزمل: 4) ؛ فقد قال بعض اللغويين فيها: «ما أعلم الترتيل إلّا التحقيق والتبيين والتمكين» ، أراد في قراءة القران؛ وترتيل القراءة: التأني فيها والتمهّل وتبيين الحروف والحركات «1» ، ولذا ففي صفة قراءة النبي صلّى الله عليه وسلم كان يرتّل اية اية «2» .
وإذا كان الرسول صلّى الله عليه وسلم كما قالت عائشة- رضي الله تعالى عنها-: يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه لم يكن يسرد كسردكم وفي لفظ إنما كان حديث رسول الله فصلا تفهمه القلوب «3» ... فكيف به في ترتيل لفظ القران؟، وإذا كانت عائشة- رضي الله تعالى عنها- قد حفظت عنه ذلك في كلامه الشريف فكيف تراها تعلمت منه ترتيل لفظ القران الكريم، والله جل جلاله يقول: وَاذْكُرْنَ ما يُتْلى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آياتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ (الأحزاب: 34) ، ولذا حفظ عنه ترتيله للفظ القران الكريم بدقة بالغة أزواجه صلّى الله عليه وسلم.

(1) لسان العرب (11/ 265) ، مرجع سابق.
(2) نص حديث حذيفة مرفوعا: (فقرأ قراءة حسنة يرتل فيها يسمعنا ...) أخرجه الإمام أحمد (5/ 401) ، مرجع سابق.
(3) البخاري (3/ 1307) ، مسلم (4/ 2298) ، أبو داود (3/ 320) ، مراجع سابقة.

مواضع ذكر كلمة الترتيل في القران الكريم:
وردت كلمة الترتيل في موضعين في القران الكريم:
الأول: جاء على سبيل الإخبار عن كيفية قراءة الملك الذي أقرأ النبي صلّى الله عليه وسلم حال تعليمه له صلّى الله عليه وسلم وهو قوله سبحانه وتعالى: وَرَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا (الفرقان: 32) ، فقد كان جبريل عليه السّلام إذا نزل بالعشر من القران أو نحوها نزل به مرتلا، وإسناد الفعل إلى الله سبحانه وتعالى من باب إسناد ما هو للمأمور للامر زيادة في التأكيد على أن ما أداه جبريل عليه السّلام هو ما أمر بتأديته حرفيا، وعن ابن عباس في هذه الاية قال: «فصل القران من الذكر فوضع في بيت العزة في السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل على النبي صلّى الله عليه وسلم يرتل ترتيلا» ، وفي لفظ: «فجعل جبريل ينزله على النبي صلّى الله عليه وسلم يرتله ترتيلا» قال سفيان: خمس ايات ونحوها «1» هكذا (يرتله ترتيلا) والفعل المضارع دال على أن الجملة حالية يراد به الكيفية المعروفة.
الثاني: في سورة المزمل على سبيل الأمر، وهو قوله سبحانه وتعالى: وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (المزمل: 4) .

أركان الترتيل:
اجتمع لنا من خلال السابق أن متضمنات الترتيل وأركانه ستة هي:

أولا: تبيين الكلام المرتل:
وذلك يكون بتبيين الحروف والحركات المكونة للكلام، فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عزّ وجلّ: وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (المزمل: 4) ؛ قال: «بيّنه تبيينا» «2» ،

(1) الضياء في المختارة (10/ 154) ، مرجع سابق.
(2) لسان العرب (11/ 265) .

وقد أكّد الأمر بالترتيل والإخبار عنه في ايتي الفرقان والمزمل بالمصدر، وذلك لما لأنه: «يدل على المبالغة على وجه لا يلتبس فيه بعض الحروف ببعض، ولا ينتقص من النطق من مخرجه المعلوم مع استيفاء حركته المعتبرة» «1» .
وهذا التبيين في قراءة المرتّل يجب أن يكون بحيث يتميز كل حرف عن الاخر، ولا يتميز عن الاخر إلا إذا عرف حق الحرف ومستحقه (التجويد) ، ولا يكون ذلك بالضرورة بالتوصيف العلمي الذي درج عليه المتأخرون، بل بالتطبيق العملي، فقد كان النبي صلّى الله عليه وسلم يعلمهم هذا على هيئة دقيقة، وكانوا يتعلمون منه الحروف وحقوقها عمليا، على أن معظم أحكام التجويد كان معروفا

عند العرب بسليقتهم اللغوية، حتى استدل العلماء على جواز نطق الضاد ظاء بأدلة ليس منها– فقط– ما ذكره «ابن جني في كتاب التنبيه وغيره أن من العرب من يجعل الضاد ظاء مطلقا في جميع كلامهم وهذا قريب وفيه توسع للعامة» «2» ، بل ما ذكره الفخر الرازي في تفسيره من أن «المختار عندنا أن اشتباه الضاد بالظاء لا يبطل الصلاة ويدل عليه أن المشابهة حاصلة فيهما جدا والتميز عسير فوجب أن يسقط التكليف بالفرق وبيان المشابهة، وإذا ثبت هذا فنقول لو كان الفرق معتبرا لوقع السؤال عنه في زمن رسول الله صلّى الله عليه وسلم وفي أزمنة الصحابة لا سيما عند دخول العجم فلما لم ينقل وقوع السؤال عن هذا البتة علمنا أن التمييز بين هذين الحرفين ليس في محل التكليف» «3» .

---

(1) انظر: معاني القران للزجاج.
(2) (شعلة) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين الموصلي ت 656 هـ: شرح شعلة على الشاطبية المسمى كنز المعاني شرح حرز الأماني ص 28، المكتبة الأزهرية للتراث.
(3) انظر: تفسير الرازي.

ثانيا: التؤدة والتمهل في النطق بأجزاء الكلام المرتل:

سواء كانت حركات وحروفا، حتى كأن الناطق به يقرؤه حرفا حرفا، فمعنى (رتل) أي: «انبذه حرفا حرفا» ، والصورة التطبيقية من تعليم النبي صلّى الله عليه وسلم لصحابته رضي الله عنهم ما تعلمته أم سلمة– رضي الله تعالى عنها– من كيفية ترتيل القران الكريم فقد سأل يعلى بن مملك أم سلمة عن قراءة رسول الله صلّى الله عليه وسلم وصلاته فقالت: وما لكم وصلاته؟ كان يصلي ثم ينام قدر ما صلى ثم يصلي قدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح ونعتت له قراءته فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا «1» .

فقوله في الرواية (ثم نعتت) أي وصفت قراءة مفسرة أي مبينة حرفا حرفا أي كان يقرأ بحيث يمكن عد حروف ما يقرأ، قال الطيبي: «يحتمل وجهين الأول أن تقول كانت قراءته كيت وكيت والثاني أن تقرأ مرتلة كقراءة النبي صلّى الله عليه وسلم» «2» ، و «المراد حسن الترتيل والتلاوة على نعت التجويد» «3» .

ومن أقوى أدلة التأني والتؤدة قوله جل جلاله: وَقُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ (الإسراء: 106) ، وقد استدل البخاري بهذه الاية على الترتيل «4» ، وعن كريب قال: سألت ابن عباس عن جهر النبي صلّى الله عليه وسلم بالقراءة بالليل. فقال:

«كان يقرأ في حجرته قراءة لو شاء حافظ أن يتعلمها لتعلمها» «5» .

تسلسل المنهجية:

فقد أنكر ابن مسعود رضي الله عنه على تلاميذه الهذ في القراءة فعن أبي وائل قال غدونا على عبد

الله فقال رجل: قرأت المفصل البارحة. فقال:

(1) صحيح ابن خزيمة (2/ 188) ، مرجع سابق.
(2) تحفة الأحوذي (8/ 194) ، مرجع سابق.
(3) تحفة الأحوذي (8/ 194) ، مرجع سابق.
(4) البخاري (4/ 1924) ، مرجع سابق.
(5) شعب الإيمان (2/ 383) ، مرجع سابق.

«هذا كهذ الشعر؟! إنا قد سمعنا القراءة وإني لأحفظ القرناء التي كان يقرأ بهن النبي صلّى الله عليه وسلم ثماني عشرة سورة من المفصل وسورتين من ال حم» «1» .
ومثل ذلك ما قاله أبو الدرداء رضي الله عنه: «إياكم والذين يحرفون القران وإياكم والهذاذين بالقران الذين يهذون القران ويسرعون بقراءته فإنما مثل ذلك كمثل الأكمة لا أمسكت ماء ولا أنبتت كلأ» «2» . وليس معنى ذلك أن يبطّأ في إخراج الحرف الاخر حتى يخرجه ذلك عن سنن الكلام المعتاد، بل المراد التمهل الزائد عن الكلام المعتاد مع إبقاء الحرف منسجما ككلام، ولذا قال مجاهد في قوله تعالى: وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (المزمل: 4) : «بعضه على أثر بعض» ، وقال الشافعي رحمه الله: «أقل الترتيل ترك العجلة في القران عن الإبانة» «3» .
وكذلك مما يستشهد به على تعليم النبي صلّى الله عليه وسلم لهم التأني وتبيين الحروف ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه قال: بت عند خالتي ميمونة، فقام رسول الله صلّى الله عليه وسلم فزعا فاستقى ماء فتوضأ ثم قرأ: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ (ال عمران: 190) إلى اخر السورة، ثم افتتح البقرة فقرأها حرفا حرفا حتى ختمها.. «4» ..

ثالثا: إشباع الحروف والحركات:

بحيث تأخذ حقها دون شطط، وهذا ما نطلق عليه (التمكين) حيث يتم «بأن يبيّن جميع الحروف ويوفّيها حقها من الإشباع» «5» ، وقال ابن حجر في معنى اية

(1) البخاري (4/ 1924) ، مرجع سابق.
(2) شعب الإيمان (2/ 541) ، مرجع سابق.
(3) (البيهقي) أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر ت 458 هـ: السنن الصغرى (1/ 556) ، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط 1، 1410– 1989.
(4) الطبراني في الكبير (12/ 20) ، مرجع سابق.
(5) لسان العرب (11/ 265) ، مرجع سابق.

المزمل: «اقرأه مترسلا بتبيين الحروف وإشباع الحركات» ، حتى يكاد المرء يعد الحروف الخارجة من فم القارئ، وأخرج العسكري في المواعظ عن علي: «بينه تبيينا ولا تنثره نثر الدقل، ولا تهذه هذ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم اخر السورة» «1» .

رابعا: حسن التنسيق والتنضيد:

والمراد التنضيد لعلاقة كل حرف بالاخر، وهذا ما نطلق عليه تحقيق الحروف، ولذا جعل الزجاج أصل الترتيل: «التفنين والتنسيق وحسن النظام» ، وقد كان النبي صلّى الله عليه وسلم يعلمهم التشهد كما يعلمهم السورة من القران.

خامسا: أن يكون ذلك كله بغير بغي:

فلا يتولد من الحرف اخر، ولا من الحركة حرفا، فالتّرتيل في القراءة «الترسل فيها والتبيين بغير بغي» «2» .

وسلك الباحث هذا السبيل في الجمع بين الأقوال لأن عادة السلف أن يفسروا الشيء ببعض معناه، «إذ المراد من هذا الأمر التبيين والإفصاح والتحسين، حتى يؤدي القران على أكمل وجه، فيظهر حسنه، ويبدو رونقه، وذلك لا يتم إلا بالتجويد» «3» .

سادسا: أن يكون ذلك على نحو مستملح مستطاب:

في حدود التلقي الذي ضبط وحدّد بقواعد موزونة، وهو الذي أمر به النبي صلّى الله عليه وسلم فقال: «زينوا أصوآتاكم بالقران» كما سيأتي إن شاء الله عزّ وجلّ.

---

(1) روح المعاني (29/ 104) ، مرجع سابق.
(2) مختار الصحاح (11/ 98) ، مرجع سابق.
(3) انظر: سنن القراء ص 68، مرجع سابق.

وقد كان النبي صلّى الله عليه وسلم يعلمهم ذلك عمليا في حلقات الإقراء:

أو في التبليغ العام، أو في الصلوات الجهرية من فرائض وتطوع، وحسبك أن تكون ثلاث صلوات يعلمهم فيها أداء القران تلقينا.

ومن ذلك ما جاء عن حذيفة رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله صلّى الله عليه وسلم ذات ليلة لأصلي بصلاته فافتتح فقرأ قراءة ليست بالخفية ولا بالرفيعة قراءة حسنة يرتل فيها يسمعنا.. «1»

..
وتستلزم هذه الستة ركنا سابعا هو: السكينة والوقار:
إذ لا بد منه في الترتيل لتضبطه «وهو ضابط من ضوابط التجويد والتغني» .

زمن القراءة حال الترتيل:
لا شك أن الترتيل بهذه الأركان يقتضي أن تكون القراءة أطول من المقروء وهذا سمت النبي صلّى الله عليه وسلم في ترتيله فعن حفصة رضي الله عنها قالت: ما رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلم في سبحته قاعدا قط حتى كان قبل وفاته بعام فكان يصلي قاعدا ويقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها «2» . وهذا هو المعمول به عند المسلمين في قراءة القران، وإن تفاوت زمن القراءة عندهم.
وقد تعلم الصحابة رضي الله عنهم كيفية ترتيله حتى النساء، كما في السؤال الذي سئلته أم سلمة– رضي الله تعالى عنها– عن قراءة رسول الله صلّى الله عليه وسلم فوصفتها له بالأداء التطبيقي كما سبق.

---

(1) أحمد (5/ 401) ، مرجع سابق.
(2) مسلم (1/ 507) ، ابن خزيمة (2/ 238) ، ابن حبان (6/ 253) ، أبو عوانة (1/ 532) ، مراجع سابقة.

والترتيل مطلوب من القارئ في الدنيا والاخرة:
وقد روى هذا سلسلة القراء فعن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «يقال لصاحب القران اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عن اخر اية تقرؤها» «1» ، فقوله «ورتل» أي: «اقرأ بالترتيل ولا تستعجل بالقراءة كما كنت ترتل في الدنيا من تجويد الحروف ومعرفة الوقوف» «2» .

العلاقة بين الترتيل والتجويد:
ومما سبق، وبمقارنة ما فصلناه من أركان الترتيل السبعة بأركان التجويد الثلاثة، وبالمقارنة التي تضمنها الكلام التفصيلي عن أركان الترتيل بتعريف التجويد نصل إلى حقيقة ظاهرة في العلاقة بين الترتيل والتجويد: فالعلاقة بينهما هي المثلية، فترتيل القران هو التجويد، إلا أنه اصطلاح حادث، ثم صار يطلق أكثر على التوصيف العلمي الدقيق منه على المطلوب العملي.

المطلب الثاني: مثال على فروع الترتيل التي علمها النبي صلّى الله عليه وسلم (المد) :
يمثل المد أساس هيئة التغني الواضحة المميزة للقران من أحكام التجويد (الترتيل) ، فكان لا بد من

الكلام على ما يدل على تعليم النبي صلّى الله عليه وسلم لأصحابه هذا الحكم، وقد اعتنى العلماء بإيضاح ذلك حتى بوب أهل العلم له أبوابا مستقلة، ومنهم الإمام البخاري «3» مع أن التلقي كاف في الإثبات لذلك، لكن نذكر هذا التفصيل لزيادة البيان والإيضاح:

---

(1) السنن الكبرى للنسائي (5/ 22) ، مرجع سابق.
(2) تحفة الأحوذي (8/ 187) ، مرجع سابق.
(3) انظر: البخاري (4/ 1924) ، مرجع سابق، وانظر: أصوات القران ص 20، مرجع سابق.

1- فقد كانت يظهر في قراءة النبي صلّى الله عليه وسلم المد فقد قال قتادة: سألت أنسا كيف كانت قراءة النبي صلّى الله عليه وسلم قال: «كانت مدا» «1» ، وفي لفظ: «كان يمد مدا» «2» ، وفي لفظ «كان يمد صوته مدا» «3» ، أي كانت ذات مد «4» ، فيطيل الحروف الصالحة للإطالة يستعين بها على التدبر وتذكير من يتذكر «5» .
2- ومثّل أنس لهذا النوع من المد فقرأ بسم الله الرّحمن الرّحيم (الفاتحة: 1) يمد بِسْمِ اللَّهِ ويمد ب الرَّحْمنِ ويمد ب الرَّحِيمِ «6» .
وهذا التمثيل يدل على غاية التحقيق في الترتيل فإن مد الكلمات الثلاث (الله، الرحمن، الرحيم) والمراد مد اللام التي قبل الهاء من الجلالة، والميم التي قبل النون من الرحمن، والحاء من الرحيم في غير الوقف عليها هو من نوع الأصلي، ومعلوم أن المد الأصلي مقداره حركتان فهو مد طبيعي، وأجاز بعض علماء التجويد مده ثلاث حركات عند الأخذ بوجه التحقيق ... وهذا ما ينطبق على هذه الرواية ولذا رجح العلماء أن «المراد من الترجمة الضرب الأول» «7» ، وفي هذا إثبات للمد الفرعي من باب الأولى، وقد قال الداني في حديث أنس رضي الله عنه:
«ويمد (الرحمن) ، ويمد (الرحيم) ، وهو أصل في تحقيق القراءة، وتجويد الألفاظ،

---

(1) البخاري (4/ 1925) ، مرجع سابق، وانظر: (الترمذي) أبو عيسى محمد بن سؤرة الترمذي ت 279 هـ: مختصر الشمائل المحمدية، اختصره وصححه: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط 4، 1413 هـ.
(2) البخاري (4/ 1924) ، مرجع سابق.
(3) السنن الكبرى للنسائي (1/ 347) ، صحيح ابن حبان (14/ 222) ، مرجعان سابقان.
(4) فتح الباري (9/ 91) ، مرجع سابق.
(5) (السندي) أبو الحسن نور الدين بن عبد الهادي (1138 هـ) : حاشية السندي على النسائي (2/ 179) ، مراجعة: عبد الفتاح أبو غدة 1406 هـ- 1986 م، مكتبة المطبوعات الإسلامية- حلب.

(6) البخاري (4/ 1925) ، مرجع سابق.
(7) فتح الباري (9/ 91) ، مرجع سابق.

(1/256)

وإخراج الحروف من مواضعها، والنطق بها على مراتبها، وإيفائها صيغتها، وكل حق هو لها، من تبيين ومد وتمكين وإطباق وتفش وصفير وغنة وتكرير واستطالة وغير ذلك، على مقدار الصيغة وطبع الخلقة، من غير زيادة ولا نقصان» «1» .
3- وأخرج ابن أبي داود من طريق قطبة بن مالك رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلم قرأ في الفجر (ق) فمر بهذا الحرف لَها طَلْعٌ نَضِيدٌ (ق: 10) فمد نضيد «2» ، والمد في نَضِيدٌ من نوع العارض للوقف؛ إذ عادة رسول الله صلّى الله عليه وسلم الوقف على رؤوس الاي. وهذا المد في قراءته صلّى الله عليه وسلم دائم سواء كان في الصلاة وغيرها.
4- ولا تنبغي المماراة في مده صلّى الله عليه وسلم لما يمد من الحروف في قراءة القران فقد كان كذلك ديدنه فيما يردده من شعر مرتجز يشبه الحداء في أماكنه فعن البراء بن عازب يحدث قال: لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله صلّى الله عليه وسلم رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه وكان كثير الشعر، فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل من التراب يقول:
اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا ... وإن أرادوا فتنة أبينا
قال: ثم يمد صوته باخرها «3» ولا يعترض على هذا بأن المراد هو رفع الصوت لا إطالته لأن المقام مقام ارتجاز مسموع على ما هو معتاد معلوم، ومد الصوت يناسب الألف تماما في أبينا وتدل عليه الأحوال المعتادة في مثل هذا.

---

(1) التحديد في الإتقان والتجويد ص 79، مرجع سابق.
(2) فتح الباري (9/ 91) ، مرجع سابق.
(3) البخاري (4/ 1507) ، مرجع سابق.

(1/257)

وقد يمد المدود غير الواجبة مما هو جائز المد في قراءة التحقيق مثل ما اصطلح على تلقيبه بمد البدل كمده لكلمة (امين) فعن وائل بن حجر رضي الله عنه قال: كان النبي صلّى الله عليه وسلم إذا قال أمين رفع بها صوته، وفي رواية: سمعت النبي صلّى الله عليه وسلم إذا قال: وَلَا الضَّالِّينَ (الفاتحة: 7)

قال: امين رفع بها صوته في الصلاة، وقال رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلم لما قال: غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (الفاتحة: 7) قال امين يمد بها صوته «1» ، ف «رفع صوته بامين وطول بها» «2» حتى يسمعها الصف الأول فيرتج بها المسجد «3» ، ومد الصوت يأتي للمعنيين: إطالة الحرف، والجهر به «4» .

5- وفي قول عبد الله بن مغافل رضي الله عنه يحكي ترجيع النبي صلّى الله عليه وسلم ابمد الهمزة والسكوت «دلالة على أنه صلّى الله عليه وسلم كان يراعي في قراءته المد والوقف» «5» .

وتسلسلت المنهجية: فعن مسعود بن يزيد الكندي قال: كان ابن مسعود يقرئ رجلا فقرأ الرجل إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَالْمَساكِينِ (التوبة: 60) مرسلة، فقال ابن مسعود: ما هكذا أقرأنيها رسول الله صلّى الله عليه وسلم. قال: كيف أقرأكها يا أبا عبد الرحمن؟ قال: أقرأنيها إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَالْمَساكِينِ فمددوها «6» .

هل اختلاف أهل الأداء والمجودين من علماء القراءة في بعض الفروع الصغيرة مؤثر على التواتر القراني؟:

---

(1) البيهقي في الكبرى (2/ 57) ، مرجع سابق.
(2) البيهقي في الكبرى (2/ 57) ، مرجع سابق.
(3) ابن ماجة (1/ 278) ، مرجع سابق.
(4) انظر: تحفة الأحوذي (2/ 59) ، مرجع سابق.
(5) فتح الباري (13/ 515) ، مرجع سابق.
(6) مجمع الزوائد (7/ 155) ، مرجع سابق: «رواه الطبراني ورجاله ثقات» .

الجواب: كل الاختلافات الأدائية التجويدية تعود إلى الترجيح اللغوي في بعض الفروع الموغلة في الدقة من حيث الأداء نحو المد المتصل هل يكون ثلاث حركات أو أكثر، والميم الساكنة هل تخفى عند الباء أم تظهر، ولا ضير من ذلك كله، كما هو واضح.

ملحوظات هامة:

1- لا يخفى أن الواجب من المد قراءة لا رواية هو القدر المجمع عليه من المد؛ إذ هو أصل المد الذي لا تستقيم الكلمة بدونه وأما الزيادة على ذلك مما اختلف فيه القراء فواجب صناعي لا شرعي، كالوجوب في أداء الرواية.

2- اختلف أهل العلم في تقدير المراتب للقراء بالألفات في ما زاد على المد الطبيعي من أنواع المدود، وهذا الاختلاف «لا تحقيق وراءه بل يرجع إلى أن يكون لفظيا وذلك أن المرتبة الدنيا وهي القصر إذا زيد عليها أدنى زيادة صارت ثانية، ثم كذلك حتى تنتهي إلى القصوى وهذه الزيادة بعينها إن قدرت بألف أو بنصف ألف هي واحدة فالمقدر غير محقق، والمحقق إنما هو الزيادة، وهذا ما

تحكمه المشافهة، وتوضحه الحكاية، ويبينه الاختبار، ويكشفه الحسن قال الحافظ أبو عمرو رحمه الله: وهذا كله جار على طباعهم ومذاهبهم في تفكيك الحروف، وتخليص السواكن، وتحقيق القراءة وحدرها وليس لواحد منهم مذهب يسرف فيه على غيره إسرافا يخرج عن المتعارف عليه في اللغة، والمتعالم في القراءة بل ذلك قريب بعضه من بعض، والمشافهة توضح حقيقة ذلك، والحكاية تبين كيفيته» «1» ، وإنما يزادي ذلك للمبتدئ ليتقن كما قال حمزة يقول: إنما أزيد على الغلام في المد ليأتي بالمعنى «2» .

---

(1) النشر في القرااات العشر (1/ 326) ، مرجع سابق.
(2) النشر في القرااات العشر (1/ 326) ، مرجع سابق.

وبذا يستبين أن الوجوب المذكور في حكم التجويد يراد به أصول هذه الأركان من الناحية العملية، وليس التفاصيل الموغلة في الأداء من غير المجمع عليه بين القراء إظهارا وإدغاما، وغنا ومدا، وتفخيما وترقيقا ... وأما المختلف فيه إظهارا وإدغاما مثلا فالسعة في القراءة بأيهما قائمة ما لم يسند ذلك إلى الرواية ... ومثل ذلك حسن الأداء، والتزيين، والتحسين؛ إذ يراد منها ليس الوجوب على كل بحسب القدرة بقدر ما يراد أن يغير تصويته بالقران إلى هيئة مغناة مزينة، وهو ما يفعله كل المسلمين على تفاوت بينهم في مقدار حسن ذلك.

تواتر أركان التجويد (الترتيل) :

بعد هذا العرض يتضح أن عمل المسلمين في التلاوة المقبولة بينهم يجعل التواتر لهذا العلم– عمليا– بينهم أمرا قطعيا لا يحتاج إلى أسانيد أصلا؛ إذ هو عمل الأمة بأسرها: خاصتها وعامتها ... فبعضه جزء من صميم لسانها الذي نزل القران به (وهو المخارج والصفات على التفصيل السابق) وبعضه هو المميز لتلاوة القران الكريم عن قراءة أي كتاب اخر ... والمراد المجمع عليه مما يمثل الحد الأدنى المطلوب في الوجوب الشرعي.

المطلب الثالث: تعليمه صلّى الله عليه وسلم مراتب الترتيل:

ملحوظة في معنى الترتيل:

سبق معنى الترتيل ودلالته اللغوية والشرعية، ولكن علماء القراءة يستعملون الترتيل في معنيين: أحدهما عام وهو ما تقدم.

والثاني: أن هذا الترتيل العام من حيث مدى التؤدة والتأني ينقسم إلى مراتب هي المراتب المعروفة في علم القراءة والتجويد للقراءة، وهذا يعني أن الترتيل هنا يأتي بالمعنى العام الشامل للحدر والتدوير والمرتبة الثالثة التي قد تدعى بالترتيل، وقد تدعى بالتحقيق، وقد يستعمل هذا المصطلح في معنى خاص هو ما توفرت فيه الأركان السابقة مع أعلى مراتب التؤدة اللائقة بقراءة القران وهو الذي اصطلح عليه بعض علماء القراءة ب (التحقيق) «1» .

مراتب الترتيل:

وعلى هذا فإن مراتب الترتيل بالمعنى العام ثلاثة: ومحور تقسيمها وحيثيته هو مدى التأني والتؤدة، مع بقاء الأركان الاخرى للترتيل كما هي، فللتأني وللطمأنينة المقبولة في علم القراءة أعلى وأوسط وأدنى، فالأعلى اصطلح عليه بالتحقيق أو بالترتيل (بالمعنى الخاص) والأوسط يدعى بالتدوير، والأدنى يدعى بالحدر ... ولكنها تشترك في جميع أركان الترتيل (بالمعنى العام) ، وتتفاوت في ركن واحد هو التأني والتؤدة ... كما أنها تتفق جميعا في الركنيين الأولين من أركان التجويد العملي، وتتفاوت في مدى الإشباع الجائز للحركات والحروف والصفات العارضة التي تتعلق بالركن الثالث من التجويد العملي، ولذا قال العلماء في الفرق بين مراتب الترتيل– بعد أن جعلوها كيفيات جائزة للقراءة–:

---

(1) ممن اصطلح عليه بالتحقيق: الإمام السيوطي في الإتقان (1/ 265) ، وذهب بعضهم مذهبا مغايرا فجعل مراتب القراءة أربعة يجمعها الترتيل بالمعنى العام، وأعلاها التحقيق وبعده الترتيل وجعل الفرق بين الترتيل وبين التحقيق فيما ذكره بعضهم أن التحقيق يكون للرياضة والتعليم والتمرين والترتيل يكون للتدبر والتفكر والاستنباط فكل تحقيق ترتيل وليس كل ترتيل تحقيقا. انظر: الإتقان (1/ 265) ، مرجع سابق.

الأولى: التحقيق «1» :

وهو إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد، وتحقيق الهمزة، وإتمام الحركات، واعتماد الإظهار والتشديدات، وبيان الحروف وتفكيكها، وإخراج بعضها من بعض بالسكت والترتيل والتؤدة، وملاحظة الجائز من الوقوف بلا قصر ولا اختلاس ولا إسكان محرك ولا إدغامه، وهو يكون لرياضة الألسن وتقويم الألفاظ، ويستحب الأخذ به على المتعلمين من غير أن يتجاوز فيه إلى حد الإفراط بتوليد الحروف من الحركات، وتكرير الرااات ... كما قال حمزة لمن سمعه يبالغ في ذلك: أما علمت أن ما فوق البياض برص، وما فوق الجعودة قطط وما فوق القراءة ليس بقراءة، وكذا يحترز من الفصل بين حروف الكلمة كمن يقف على التاء من نستعين وقفة لطيفة مدعيا أنه يرتل، وهذا النوع من القراءة يظهر في بعض طرق الإمام حمزة وورش بصورة جلية «2» .

---

(1) لم يستقر– حتى الان– الفرق المصطلحي بين الترتيل والتحقيق، فقد ذهب البعض إلى عد

مراتب القراءة أربعة مراتب منها التحقيق والترتيل والتدوير والحدر كما فعل ذلك الشيخ محمد مكي نصر في نهاية القول المفيد ص 14، وذهب البعض إلى جعلها ثلاثة مراتب هي الترتيل والحدر والتوسط كما فعل ابن أم قاسم في المفيد ص 38، وذهب القدماء إلى جعل المراتب ثلاثة هي التحقيق والترتيل والحدر كما فعل الداني في التحديد ص 70، والجزري في التمهيد ص 62 ... وقد ألف هذا الكتاب وهو في التاسعة عشرة من عمره كما ذكر في اخره، وفي هذه الحالة فإن هذه المراتب– اصطلاحا– هي المراتب الثلاث عند البعض: التحقيق (كما هو) ، والتدوير (هو الذي أطلقوا عليه الترتيل) ، والحدر (كما هو) ، وهو الذي ارتضاه الباحث ... وذلك أن المتقدمين يجعلون التحقيق للتعلم، والترتيل لطريقة التلاوة كالحدر ... ولكن التحقيق مستعمل واقعا في التلاوة كالترتيل من جهة، ومن جهة أخرى فإن جعل الترتيل مرتبة مع الحدر والتحقيق يوهم خروجهما من المعنى العام للترتيل الوارد في سورة المزمل، وليس كذلك؛ إذ الترتيل يشمل كل المراتب بمعناه العام وخروجا من هذا اللبس ارتضى الباحث تقسيم المراتب إلى ثلاثة تنضوي تحت الترتيل هي: التحقيق، والتدوير، والحدر، وهو ما قرره ابن الجزري، ورجع إليه في اخر أمره حيث ذكر ذلك في النشر الذي ألفه في سنة 799 هـ، أي وعمره تسع وأربعون سنة، فقسم في النشر (1/ 205) المراتب إلى تحقيق، وتدوير، وحدر، وقال عن التحقيق: «هو نوع من الترتيل» .
(2) انظر: الإتقان (1/ 265) ، مرجع سابق.

(1/262)

وقد صرّح بمصطلح التحقيق في حديث عزيز أسنده الداني مما يدل على تعليم النبي صلّى الله عليه وسلم هذا الأمر بدقة بالغة، فأسند الداني إلى ورش التحقيق، قال:
قرأ على نافع التحقيق، قال نافع: إنه قرأ على الخمسة (ذكر خمسة من مشايخه) التحقيق، قال: وأخبرني الخمسة أنهم قرأوا على عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة التحقيق، وأخبرهم عبد الله أنه قرأ على أبي بن كعب رضي الله عنه التحقيق، وأخبره أنه قرأ على رسول الله صلّى الله عليه وسلم التحقيق، قال: وقرأ رسول الله صلّى الله عليه وسلم علي التحقيق، ثم قال أبو عمرو: هذا الخبر الوارد بتوقيف قراءة التحقيق من الأخبار الغريبة والسنن العزيزة التي لا توجد روايته إلا عند المكثرين الباحثين، ولا يكتب إلا عند الحفاظ الماهرين، وهو أصل كبير في استعمال قراءة التحقيق وتعلم الاتقان والتجويد، لاتصال سنده وعدالة نقلته، ولا أعلمه يأتي متصلا إلا من هذا الوجه «1» .

الثانية: الحدر:
هو إدراج القراءة وسرعتها وتخفيفها بالقصر والتسكين والاختلاس والبدل والإدغام الكبير وتخفيف الهمزة ونحو ذلك مما صحت به الرواية مع مراعاة إقامة الإعراب، وتقويم اللفظ، وتمكن الحروف بدون بتر حروف المد، واختلاس أكثر الحركات، وذهاب صوت الغنة، والتفريط إلى غاية لا تصح بها القراءة، ولا توصف بها التلاوة، وهذا النوع يظهر بصورة جلية في بعض طرق مذهب ابن كثير وأبي جعفر ومن قصر المنفصل كأبي عمرو ويعقوب «2» .

(1) التحديد في الإتقان والتجويد ص 79، مرجع سابق.
(2) انظر: الإتقان (1/ 265) ، مرجع سابق، وانظر وصفا لطبيعة القرات السبع من حيث مراتب القراءة في: التحديد ص 94، مرجع سابق.

ويظهر الفرق جليا بين الترتيل والحدر:
بما يسمعه الناس من الأذان والإقامة فإن الترتيل يكون في الأذان، والحدر يكون في الإقامة فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلم يأمرنا أن نرتل الأذان ونحدر الإقامة «1» ، ومثله من فعل ابن عمر «2» ، ومعنى التّرتيل كأنه يقطع الكلام بعضه عن بعض، والحدر هو الإسراع من الحدور ضد الصعود «3» فالترتيل هنا بالمعنى الخاص هو المبالغة في التأني ... وعلى المرتبتين لا بد من إعطاء الحروف حقوقها كما قال الخاقاني:
فذو الحذق معطر للحروف حقوقها ... إذا رتل القران أو كان ذا حدر

الثالثة: التدوير:
وهو التوسط بين المقامين من التحقيق والحدر، وهو الذي ورد عن أكثر الأئمة، وهو مذهب سائر القراء، وهو المختار عند أكثر أهل الأداء «4» .
وكل هذه المراتب يصحبها الترتيل إلا أنها تختلف في مدى التؤدة والتأني، ولذلك أشار بعضهم فقال:
حدود حروف الذكر في لفظ قارئ ... بحدر وتحقيق ودور مرتلا
فإني رأيت البعض يتلو القران لا ... يراعي حدود الحرف وزنا ومنزلا «5» .

(1) الدارقطني (1/ 238) ، مرجع سابق، وانظر: تلخيص الحبير (1/ 200) .
(2) مسند ابن الجعد ص 318.
(3) النهاية في غريب الأثر (2/ 16) ، مرجع سابق.
(4) انظر: الإتقان (1/ 266) ، مرجع سابق.
(5) نهاية القول المفيد في علم التجويد ص 19، مرجع سابق.

أي مراتب الترتيل هي الأفضل؟
وعلاقة هذا السؤال بالبحث تستبين بأن يقال بصيغة أخرى:
هل علمهم النبي صلّى الله عليه وسلم القراء بالتحقيق أم بغيره؟

الجواب: الظاهر أن النبي صلّى الله عليه وسلم علمهم القراءة بمراتبها المختلفة، وإن لم تكن التسمية الاصطلاحية سائدة لكن الغالب على قراءته وأصحابه التحقيق المتوسط (يقرب من التدوير) لما تقدم من حديث حفصة تصف قراءة النبي صلّى الله عليه وسلم يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها «1» ، ولا يكون ذلك إلا بالتحقيق (الترتيل بمعناه الخاص) أو بالتدوير، وحديث حذيفة قال: صليت مع النبي صلّى الله عليه وسلم ليلة ... فقرأها يقرأ مترسلا إذا مر باية فيها تسبيح سبح وإذا مر بسؤال سأل وإذا مر بتعوذ تعوذ ثم ركع ... الحديث «2» .
وقد تعلم منه الصحابة رضي الله عنهم التحقيق وأمروا به تلاميذهم ونفروهم من الهذ الذي يتجاوز الحدر ولذا قال البخاري– رحمه الله تعالى–: «باب الترتيل في القراءة وقوله تعالى وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (المزمل: 4) وقوله وَقُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ (الإسراء: 106) وما يكره أن يهذ كهذ الشعر» «3» وبوب النووي في مسلم: «باب ترتيل القراءة واجتناب الهذ وهو الإفراط في السرعة» ، وجاء رجل يقال له نهيك بن سنان إلى عبد الله، فقال: يا أبا عبد الرحمن! كيف تقرأ هذا الحرف ألفا تجده أم ياء من اسن أو من ياسن؟ قال فقال:
عبد الله وكل القران قد هذا قال إني لأقرأ المفصل في ركعة، فقال عبد الله: هذا

---

(1) مسلم (1/ 507) ، مرجع سابق.
(2) مسلم (1/ 536) ، أبو عوانة (1/ 460) ، مرجعان سابقان.
(3) البخاري (4/ 1924) ، مرجع سابق.

كهذ الشعر؟ إن أقواما يقرؤون القران لا يجاوز تراقيهم ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع إن أفضل الصلاة الركوع والسجود.. «1» ..
وهذا كله يدل على أن الغالب على قراءته التحقيق.

وقد علمهم النبي صلّى الله عليه وسلم الفرق بين الهذ وبين الحدر:
فالهذ هو السرعة المفرطة التي تخل بقواعد التلاوة، والحدر هو الهذ المعتدل الملتزم بأركان الترتيل بمعناه العام: ويدل لهذا قول النبي صلّى الله عليه وسلم– فيما رواه عبد الله بن بريدة عن أبيه– قال: كنت جالسا عند النبي صلّى الله عليه وسلم فسمعته يقول: « ... ثم يقال له اقرا واصعد في درج الجنة وغرفها فهو في صعود ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيلا» «2» ، وفي رواية «فهو في صعود ما دام يقرأ حدرا كان أو ترتيلا» «3» ، فقوله «هذا كان أو ترتيلا» يدل على أن المراد مدى السرعة في تتابع الصوت لا على ترك الأحكام، فالترتيل هنا بمعناه الخاص لا العام الشامل للحدر التدوير والتحقيق «4» ، ويدل على هذا حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «يقال لصاحب القران اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عن اخر اية تقرؤها» «5» ، فإن هذا الحديث يبين معنى التخيير في الحديث الأول بأنه تخيير بين أنواع الترتيل

بالمعنى العام الشامل لجميع مراتب الترتيل فلذا قال له هنا «ورتل كما كنت ترتل في الدنيا» أي بأحد أنواع الترتيل

---

(1) البخاري (1/ 269) ، مسلم (1/ 563) ، مرجعان سابقان.
(2) الدارمي (2/ 543) ، مرجعان سابقان.
(3) وقال في مجمع الزوائد (7/ 159) ، مرجع سابق: «روى ابن ماجة منه طرفا رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح» .
(4) ويحتمل أن للقارئ ذلك حتى لو لم يقرأه على الطريقة الواجبة رحمة من الله وفضلا ... وهذا الاحتمال ضعيف.
(5) النسائي في الكبرى (5/ 22) ، مرجع سابق.

التي كان غالب قراءتك ترجع إليها، كما يبين هذا الحديث أن كلمة ترتيل في الحديث الأول هي بالمعنى الخاص التي ترادف التحقيق، أو يكون من باب الترتيل الذي بمعنى التأني والتؤدة «يطابق التحقيق الاصطلاحي» .
وقد علم الصحابة رضي الله عنهم تلاميذهم الحرص على الترتيل واجتناب الهذ والسرعة المفرطة: فقد فعن أبي جمرة قلت لابن عباس رضي الله عنهما: إني رجل سريع القراءة إني لأقرأ القران في ليلة فقال ابن عباس رضي الله عنهما: لأن اقرأ سورة أحب إليّ، فإن كنت لا بد فاعلا فأقرأ قراءة تسمعها أذنيك ويوعها قلبك «1» ، وهذا الأخير هو الحدر الاصطلاحي، وسئل مجاهد– رحمه الله تعالى– عن رجل قرأ البقرة وال عمران ورجل قرأ البقرة فقط قيامهما واحد ركوعهما واحد وسجودهما واحد فقال: الذي قرأ البقرة فقط أفضل ثم تلا وَقُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ (الإسراء: 106) «2» .
وعلى الرغم من أن الغالب على قراءة الرسول صلّى الله عليه وسلّم هو التحقيق إلا أنه صلّى الله عليه وسلم لا ريب قد قرأ لهم بالحدر فإن حديث قراءته بطولى الطوليين في المغرب يدل على ذلك استنباطا.
ولذا ذكر الحنفية استعمال الحدر في تهجد الليل فقيد الحنفية القراءة بالليل بالإسراع في القراءة، ولعل «وجه التقيد به أن عادة المتهجدين كثرة القراءة في تهجدهم فلهم الإسراع ليحصلوا وردهم من القراءة» «3» ، ولكن كل الفقهاء يجعلون الإتيان بأقل الواجب الشرعي للتجويد أمر لا بد منه لصحة الصلاة،

---

(1) البيهقي في الكبرى (3/ 13) ، مرجع سابق.
(2) أبو عبيد في الفضائل ص 158، مرجع سابق.
(3) حاشية ابن عابدين (1/ 541) ، مرجع سابق.

ونصوا في هذا على المد الواجب فقالوا وهم يتكلمون عن الحدر: «أن يمد أقل مد قال به القراء وإلا حرم لترك الترتيل المأمور به شرعا» «1» .
والصحيح في هذا الباب التفصيل، فالقران العزيز «يقرأ للتعلم، فالواجب التقليل والتكرير، ويقرأ للتدبر، فالواجب الترتيل والتوقف، ويقرأ لتحصيل الأجر بكثرة القراءة، فله أن يقرأ ما استطاع» «2» ، ومعنى هذا أنه يستحب لكل إنسان ما يوافقه طبعه ويخف عليه فربما يكلف غير ذلك مما يخالف طبعه فيشق عليه ويقطعه ذلك عن القراءة أو الإكثار أما من تساوى عند الأمران فالترتيل أولى ...
وأشار الخاقاني إلى ذلك بقوله:
وترتيلنا القران أفضل للذي ... أمرنا به من لبثنا فيه والفكر
ومهما حدرنا درسنا فمرخص ... لنا فيه إذ دين العباد إلى اليسر
وكان الناس منذ العهد الأول قد تعلموا ذلك من النبي صلّى الله عليه وسلم:
فصاروا يستعملون كل مرتبة في مواضعها فعن أبي عثمان النهدي قال: دعا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بثلاثة قراء فاستقرأهم فأمر أسرعهم قراءة أن يقرأ الناس ثلاثين اية، وأمر أوسطهم أن يقرأ خمسا وعشرين وأمر أبطأهم أن يقرا للناس عشرين اية «3» ، وعن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج قال: ما أدركت الناس إلا وهم يلعنون الكفرة في رمضان– قال– فكان القارئ يقوم بسورة البقرة في ثمان ركعات فإذا قام بها في اثنتي عشرة ركعة رأى الناس أنه قد خفف «4» .

---

(1) حاشية ابن عابدين (1/ 541) ، مرجع سابق.
(2) جمال القراء وكمال الإقراء (2/ 547) ، مرجع سابق.
(3) البيهقي في الكبرى (2/ 497) ، مرجع سابق.
(4) البيهقي في الكبرى (2/ 497) ، مرجع سابق.

المبحث الخامس: تعليمه صلّى الله عليه وسلم مراتب الأداء الأعلى من التجويد:
إذا كان الترتيل هو أساس التجويد، فإن ثمّ أسسا أخرى في علم القراءة تطلب شرعا من القارئ، فعقد هذا المبحث لدراستها، ولتحقيق هذه الغاية انقسم المبحث على أربعة مطالب:
المطلب الأول: تعليمهم تزيين التصويت بألفاظ القران الكريم.
المطلب الثاني: تعليمهم التغني بألفاظ القران الكريم.
المطلب الثالث: تعليمهم الترجيع لألفاظ القران الكريم.
المطلب الرابع: القراءة بالألحان.

المطلب الأول: تعليمهم تزيين التصويت بألفاظ القران الكريم:

علمهم النبي صلّى الله عليه وسلم ضرورة تزيين القران بالأصوات في عدة أحاديث كالذي رواه البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي صلّى الله عليه وسلم قال: «زينوا القران بأصوآتاكم» «1» ، ولكن في مستدرك الحاكم ورد بلفظ: «زينوا أصوآتاكم بالقران» «2» ، أي بتقديم الأصوات على القران، وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «زينوا أصوآتاكم بالقران» وفي رواية: «أحسنوا أصوآتاكم بالقران» «3» ، وقال البخاري بعد ذكر أحاديث تحسين وتزيين القران: «وعامة هذه الأخبار مستفيضة عند أهل العلم» «4» .

---

(1) أبو داود (2/ 74) ، النسائي في الكبرى (1/ 384) .
(2) مستدرك الحاكم (1/ 762) ، عبد الرزاق (2/ 485) ، مرجعان سابقان، وانظر: مجمع الزوائد (7/ 170) ، مرجع سابق.
(3) الطبراني في المعجم الكبير (11/ 81) .
(4) خلق أفعال العباد ص 69.

معنى التزيين:

تدور معاني زين على: الملاحة والغاية في الحسن؛ إذ الزاي والياء والنون أصل صحيح يدل على حسن الشيء وتحسينه «1» .

معنى الحديث:

اختلف العلماء في معناه حتى ذكر القرطبي ست تأويلات في معناه «2» ، والبحث يذكر أشهرها مما يتعلق بموضوعنا:

التأويل الأول: معناه اللهج بقراءته، وكثرة ترداده حتى يصير زينة الصوت، وحليته في الكلام أي أشغلوا أصوآتاكم بالقران، والهجوا بقراءته، واتخذوه زينة وشعارا «3» : فعلى هذا «هو مقلوب أي زيّنوا أصوآتاكم بالقران، والمعنى الهجوا بقراءته وتزينوا به وليس ذلك على تطريب القول والتحزين» «4» ، وقالوا: «فالزينة للصوت لا للقران» «5» ، وبين أصحاب هذا المذهب أنهم اضطروا إلى هذا التأويل اضطرارا لأنه: لا يجوز على القران– في نظرهم– وهو كلام الخالق أن يزينه صوت مخلوق بل هو بالتزيين لغيره والتحسين له أولى «6» ، ولذا فقد توقى هذه الرواية قوم، وأسند الخطابي عن شعبة قال: نهاني أيوب أن أحدث «زينوا القران بأصوآتاكم» ، وقالوا: لم يرد تطريب الصوت به والتحزين له؛ إذ ليس «هذا في وسع كل أحد فلعل من الناس من إذا أراد التزيين له أفضى به إلى التهجين» «7» ،

---

(1) معجم مقاييس اللغة (1/ 341) .
(2) انظر: تفسير القرطبي (1/ 11) ، مرجع سابق.
(3) انظر: الغريب للخطابي (1/ 357) ، حاشية السندي (2/ 179) ، مرجعان سابقان.
(4) النهاية (2/ 325) ، مرجع سابق.
(5) فيض القدير (4/ 68) ، مرجع سابق.
(6) انظر: الغريب للخطابي (1/ 356) ، مرجع سابق.
(7) انظر: الغريب للخطابي (1/ 357) ، مرجع سابق.

كما استدل القرطبي على ذلك بأن المراد بالتغني الجهر به كما ثبت ذلك في حديث أبي هريرة «1» ، ولكن الظاهر أن هذا اللفظ (يجهر) يدل على تحسين الصوت وهو ما جعل الإمام السيوطي يستدل بقوله (يجهر به) على تحسين الصوت «2» .
التأويل الثاني: وقيل هو تزيين القران بجمال الصوت:
فإن القران قد يخرج بصوت جاف فظّ يلقيه قارئه ولا يبالي بتجميله فلا تلتفت إليه القلوب لا لأنه كلام الله بل لأن المتلفظ به ما أبان البلاغ، ولا أجمل الأداء وعلى هذا فلا «حاجة إلى القلب وإنما معناه الحثّ على التّرتيل الذي أمر به في قوله تعالى وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا» «3» فحقيقة الحديث: أنه يحث على ترتيل القران «ورعاية إعرابه وتحسين الصوت به وتنبيه على التحرز من اللحن والتصحيف فإنه إذا قرئ كذلك كان أوقع في القلب وأشد تأثيرا وأرق لسامعه» «4» ، والرواية الاخرى- إن ثبتت- فهي تتميم لها ف «زينوا أصوآتاكم بالقران» أي الهجوا بقراءته واشغلوا أصوآتاكم به، واتخذوه شعارا وزينة لأصوآتاكم «5» ، كما ينبغي لكم أن تخرجوه بأحسن لفظ وأجمل أداء.

توجيه الزينة في الحديث:
ويكون للحديث على هذا توجيه حسن جدا؛ إذ تكون «الزّينة للمرتّل لا للقران كما يقال ويل للشّعر من راوية السّوء فهو راجع إلى الرّاوي لا للشّعر» «6» ،

---

(1) البخاري (4/ 1918) ، مسلم (1/ 545) ، مرجعان سابقان.
(2) الديباج على صحيح مسلم (2/ 393) ، مرجع سابق.
(3) النهاية (2/ 325) ، مرجع سابق.
(4) فيض القدير (4/ 68) ، مرجع سابق.
(5) فيض القدير (4/ 68) ، مرجع سابق.
(6) النهاية (2/ 325) ، مرجع سابق.

وسماه تزيينا «لأنه تزيين للفظ والمعنى فإن الصوت الحسن يزيد القران حسنا، وفي أدائه بحسن الصوت، وجودة الأداء بعث للقلوب على استماعه، وتدبره، والإصغاء إليه» «1» .
ويؤيد هذا المعنى للحديث الأحاديث المستفيضة الاخرى التي تحض على التحبير والترتيل والتحسين والتحزين مما هو في مستوى العلمي الضروري، كما يؤيد هذا المعنى رواية «أحسنوا أصوآتاكم بالقران» «2» والمعنى: «رتلوه واجهروا به» «3» ولذا «قال الطيبي: هذا الحديث لا يحتمل القلب لتعليله بقوله فإن الصوت الحسن يزيد القران حسنا» «4» ، ويشهد لصحة هذا التأويل حديث أبي موسى رضي الله عنه أنّ النبي صلّى الله عليه وسلم استمع إلى قراءته فقال: «لقد أوتيت مزمارا من مزامير ال داود فقال لو علمت أنك تستمع لحبّرته لك تحبيرا» أي حسّنت قراءته وزينتها، ويؤيدّ ذلك تأييدا لا شبهة فيه حديث ابن عباس أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم قال: «لكلّ شيء حلية وحلية القران حسن الصوت» «5» .

والكاتب يؤيد الجمع بين هذه المعاني:
فالنبي صلّى الله عليه وسلم قد علمهم تحسين الصوت بالقران، وتحسين القران بالصوت بعد أن وجدنا الروايات تذكر ذلك ولا شذوذ يظهر لنا ولذا فلا وجه لقول البعض

---

(1) فيض القدير (4/ 68) ، مرجع سابق.
(2) الطبراني في المعجم الكبير (11/ 81) .
(3) فيض القدير (3/ 387) ، مرجع سابق.
(4) فيض القدير (3/ 387) ، مرجع سابق، ولا ينبغي أن يستدل بهذا الحديث على جواز الغناء كما ذهب إليه القشيري حيث قال: «هذا دليل على فضيلة الصوت الحسن فالسماع لا بأس به وتعقبه ابن تيمية بأنه إنما يدل على فضل الصوت الحسن بكتاب الله لا بالغناء فمن شبه هذا بهذا فقد شبه الحق بالباطل» .
(5) النهاية (3/ 326) ، مرجع سابق.

«القلب لا وجه له» «1» ، والقول الثاني لا ينفي الأول أما الأول فنفى أصحابه الثاني، وقولهم مقبول لكن نفيهم مردود، فالتزيين لكلام الله عزّ وجلّ لأن الصوت صوت القاري، وإن كان الكلام كلام الباري.
وواقع المسلمين بشيبهم وشبابهم وذكورهم وإناثهم، وكبارهم وصغارهم شاهد على ذلك فإنك تجد كل واحد منهم لو كان أميا إن أراد أن يقرأ غير صوته على هيئة تتشابه بينهم جميعا، وإن كانت تتفاوت في حسنها، وانضباط قواعدها في تظاهرة عجيبة تدل على مقدار الحفظ الإلهي للقران الكريم.

ويبقى– بعد ذلك– الاختلاف في الأصوات البشرية مسألة طبعية:
كما قال الإمام البخاري: «فبين النبي صلّى الله عليه وسلم أن أصوات الخلق وقراااتهم ودراستهم وتعليمهم وألسنتهم مختلفة بعضها أحسن وأزين وأحلى وأصوت وأرتل وألحن وأعلى وأخف وأغض وأخشع وقال وَخَشَعَتِ الْأَصْواتُ لِلرَّحْمنِ فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً (طه: 108) وأجهر وأخفى وأمهر وأمد وألين وأخفض من بعض» «2» .
وهنا نلحظ معلما هاما هو أن النبي صلّى الله عليه وسلم علمهم تقديم حسن الصوت في الأذان فأحرى أن يكون ذاك في القران: فعن عبد الله بن زيد قال: لما أصبحنا أتينا رسول الله صلّى الله عليه وسلم فأخبرته بالرؤيا فقال: «إن هذه الرؤيا حق فقم مع بلال فإنه أندى أو أمد صوتا منك فألق عليه ما قيل لك فينادي بذلك» «3» .

---

(1) النهاية (3/ 326) ، مرجع سابق.
(2) خلق أفعال العباد ص 73، مرجع سابق.
(3) اللفظ المذكور لابن خزيمة (1/ 189) ، وابن حبان (4/ 573) ، والضياء في المختارة (9/ 374) ، ورواه الترمذي (1/ 359) ، مراجع سابقة، وهو عند أبي داود (1/ 135) ، مرجع سابق بلفظ (أندى) ، وفي تلخيص الحبير (1/ 197) ، مرجع سابق.

و (أندى) أصله «من الندى أي الرطوبة يقال صوت ندي أي رفيع واستعارة النداء للصوت من حيث أن من تكثر رطوبة فمه حسن كلامه» «1» ، فأندى: «أي أرفع وأعلى، وقيل أحسن وأعذب، وقيل أبعد» «2» فالأحسن أن يراد بأندى «ههنا أحسن وأعذب وإلا لكان في ذكر قوله أمد بعده تكرار» «3» ، وعلى هذا ففي الحديث «دليل على اتخاذ المؤذن حسن الصوت» «4» .
وفي حديث أبي محذورة قال: لما خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلم من حنين خرجت عاشر عشرة من أهل مكة نطلبهم فسمعناهم يؤذنون بالصلاة فقمنا نؤذن لنستهزىء بهم فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «قد سمعت في هؤلاء تأذين إنسان حسن الصوت» ، فأرسل إلينا فأذنا رجل رجل وكنت اخرهم، فقال حين أذنت:
«تعال» ، فأجلسني بين يديه فمسح على ناصيتي فبرك علي ثلاث مرات ثم قال:
«اذهب فأذن عند البيت الحرام» «5» فإذا كان ذلك كذلك في الأذان، فكيف به في القران؟.
وكان الصحابة رضي الله عنهم يلتمسون حسن الصوت بالقران فعن عمر أنه قال لرجل: اقرأ سورة الحجر. قال: أو ليست معك يا أمير المؤمنين؟ قال: أما بمثل صوتك فلا «6» .

---

(1) انظر: عون المعبود (2/ 121) ، مرجع سابق.
(2) النهاية (5/ 26) ، مرجع سابق.
(3) انظر: تحفة الأحوذي (1/ 480) ، مرجع سابق.

(4) انظر: تحفة الأحوذي (1/ 480) ، مرجع سابق.
(5) ابن خزيمة (1/ 201) ، أبو داود (1/ 136) ، عبد الرزاق (1/ 459) ، الدارقطني في سننه (1/ 235) ، مراجع سابقة.
(6) شعب الإيمان (2/ 527) ، مرجع سابق.

المطلب الثاني: تعليمهم التغني بألفاظ القران الكريم:

الأحاديث الواردة في ذلك:
بين النبي صلّى الله عليه وسلم فضيلة التغني بالقران فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «لم يأذن الله لشيء ما أذن للنبي يتغنى بالقران» وقال صاحب له: يريد يجهر به «1» ، و (يأذن) : «معناه الاستماع ومنه قوله تعالى وأذنت لربها» «2» ، فالمعنى- كما قال أبو عبيد- يعني ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبي يتغنى بالقران «3» ، والمراد بالاستماع هنا الاستماع الخاص، وذلك كتفريق العلماء بين المعية العامة الواردة في قوله جل جلاله: وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ (الحديد: 4) ، والمعية الخاصة في قوله سبحانه وتعالى: إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (النحل: 128) وهو ما يعني قرب القارئ من الله سبحانه وتعالى، وعظيم شرفه بالقراءة.
ولم يقف ذلك عند مجرد الفضيلة حتى ورد الأمر بالقراءة بهذه الكيفية فعن عقبة ابن عامر رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم قال: «تعلموا كتاب الله وتعاهدوا واقتنوه وتغنوا به فو الذي نفسي بيده لهو أشد تفلتا من المخاض في العقل» «4» .
وفي المقابل فقد ورد الزجر الشديد والتنفير القراءة بغير هذه الكيفية فعن عبد الله بن أبي نهيك عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: أتيته فسألني من أنت فأخبرته عن نسبي فقال سعد: تجار كسبة سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلم يقول:

---

(1) البخاري (1/ 1918) ، مرجع سابق.
(2) شرح النووي (6/ 78) ، مرجع سابق.
(3) النسائي في الصغرى (1/ 558) ، مرجع سابق.
(4) النسائي في الكبرى (5/ 521) والصغرى (2/ 543) .

«ليس منا من لم يتغن بالقران» «1» ومثله عن ابن عباس «2» ، ونحوه عن عائشة «3» وابن الزبير رضي الله عنهم «4» ، وعن أبي لبابة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلّى الله عليه وسلم يقول:

«ليس منا من لم يتغن بالقران» فقيل: لابن أبي مليكة: يا أبا محمد! أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت؟ قال: يحسنه ما استطاع «5» ، وعن عبد الرحمن بن السائب قال: قدم علينا سعد بن أبي وقاص– وقد كف بصره– فسلمت عليه فقال: من أنت؟ فأخبرته فقال: مرحبا بابن أخي بلغني أنك حسن الصوت بالقران سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلم يقول: «إن هذا القران نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا، وتغنوا به فمن لم يتغن به فليس منا» «6» .

معنى التغني الوارد في الأحاديث:

اختلف العلماء في معنى التغني الوارد في الحديث على قولين مشهورين:

المعنى الأول: معنى التغني الاستغناء وحدوث الكفاية به، وقد ذهب إلى هذا الإمام البخاري فقال: «باب من لم يتغن بالقران وقوله سبحانه وتعالى: أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ يُتْلى عَلَيْهِمْ (العنكبوت: 51) «7» ، وهو مذهب سفيان بن عيينة قال: تفسيره يستغني به» «8» .

---

(1) ابن حبان (1/ 327) ، الضياء في المختارة (3/ 172) .

(2) الحاكم (1/ 760) ، مرجع سابق.

(3) قال في مجمع الزوائد (7/ 170) : «رواه البزار والطبراني ورجال البزار رجال الصحيح» .

(4) قال في مجمع الزوائد (7/ 170) ، مرجع سابق: «رواه الطبراني ورجاله ثقات» .

(5) البيهقي في الكبرى (2/ 54) ، مرجع سابق، وقال في مجمع الزوائد (7/ 171) ، مرجع سابق: «رواه الطبراني ورجاله ثقات» .

(6) ابن ماجه (1/ 424) ، مرجع سابق.

(7) البخاري (1/ 1918) ، مرجع سابق.

(8) البخاري (1/ 1918) ، مرجع سابق.

المعنى الثاني: معناه التطريب به والحداء و «تحزين القراءة وترقيقها» «1» ، وفق قواعد معلومة لأنه أوقع في النفوس، وأنجع في القلوب «2» ، وقد ذهب إلى هذا «الشافعي وأصحابه وأكثر العلماء من الطوائف وأصحاب الفنون يحسن صوته به» «3» ، «وقال صالح قلت لأبي (أي أحمد بن حنبل) : «زينوا القران بأصواتاكم» ما معناه؟ قال: أن يحسنه، وقيل له: ما معنى «من لم يتغن بالقران» قال: «يرفع صوته به، وقال الليث: يتحزن به، ويتخشع به، ويتباكى به» «4» ، ورد الإمام الشافعي على ابن عيينة تأويله، فقال رحمه الله تعالى: نحن أعلم بهذا. لو أراد النبي صلّى الله عليه وسلم الاستغناء به لقال ليس منا من لم يستغن بالقران فلما قال ليس منا من لم يتغن بالقران علمنا أنه التغني به «5» وقال: معناه يقرأه حزنا وتحزينا «6» .

تعريف الغناء:

هو كما قال «الأصمعي: كلّ من رفع صوته ووالاه فصوته عند العرب غناء» «7» ، فالغناء عند العرب هو المردد المرجّع من الكلام لا شأن له بالالات، «وفي حديث عائشة: وعندي جاريتان تغنّيان بغناء بعاث أي تنشدان الأشعار

---

(1) شرح النووي (6/ 79) ، مرجع سابق، وقد أوصل القرطبي في تفسيره التاويل الواردة في معنى التغني الوارد في حديث «ما أذن الله..» إلى ست تأويلات، ورد بقوة أن يكون المعنى هو تحسين الصوت والترنم بالقران. انظر تفسير القرطبي (1/ 15) ، مرجع سابق.
(2) شرح السنة (4/ 485) .
(3) شرح النووي (6/ 78) ، مرجع سابق.
(4) المغني (10/ 178) ، مرجع سابق.
(5) النسائي في الصغرى (1/ 559) ، مرجع سابق.
(6) النسائي في الصغرى (1/ 559) ، مرجع سابق.
(7) لسان العرب (15/ 136) ، مرجع سابق.

التي قيلت يوم بعاث، ولم ترد الغناء المعروف بين أهل اللهو واللّعب، وقد رخّص عمر رضي الله عنه في غناء الأعراب وهو صوت كالحداء «1» .

وقد تأيد هذا التأويل بالتالي:
1- بقوله صلّى الله عليه وسلم لأبي موسى الأشعري: «لقد أعطى هذا مزمارا من مزامير ال داود» «2» .
2- ويؤيد هذا المعنى تأييدا متينا رواية (يجهر به) فعن الشافعي أنه قال:
معناه تحسين القراءة وترقيقها، قال: ومما يحقّق ذلك الحديث الاخر:
«زيّنوا القران بأصوآتاكم» «3» ، والعرب تقول: سمعت فلانا يتغنى بكذا أي يجهر به «4» .
3- سئل ابن أبي مليكة- وهو أحد رواة الحديث-: يا أبا محمد! أرأيت أن لم يكن حسن الصوت قال: يحسنه ما استطاع «5» ، وهذا يدل على إرادة الصوت.
4- ويدل له رواية «ما أذن لنبي في الترنم في القران» أخرجه الطبري «6» ، وفي لفظ: «ما أذن لنبي حسن الصوت» «7» ، وفي لفظ «حسن الترنم بالقران» «8» «والترنم

---

(1) لسان العرب (15/ 137) ، مرجع سابق.
(2) النسائي في الصغرى (1/ 559) ، مرجع سابق.
(3) لسان العرب (15/ 136) ، مرجع سابق.
(4) فتح الباري (9/ 71) ، وانظر: شرح النووي (6/ 79) ، مرجعان سابقان.

(5) سنن البيهقي الكبرى (2/ 54) ، مرجع سابق، مجمع الزوائد (7/ 171) ، مرجع سابق: «رواه الطبراني ورجاله ثقات» .
(6) فتح الباري (9/ 71) ، مرجع سابق.
(7) البخاري (6/ 2743) ، مسلم (1/ 545) ، مرجع سابق.
(8) البيهقي في الكبرى 10/ 228، وفي الترغيب والترهيب 2/ 237، مرجع سابق: «خرجه ابن جرير الطبري بإسناد صحيح» .

لا يكون إلا بالصوت إذا حسنه القاريء وطرب به قال: ولو كان معناه الاستغناء لما كان لذكر الصوت ولا لذكر الجهر معنى» «1» .
وأما حديث «إن الله لم يأذن لمترنم بالقران» «2» فإن كان معناه المنع فهو ممنوع بعدم ثبوته بل هو إلى الوضع أقرب، ولقد علمهم النبي صلّى الله عليه وسلم تحسين أصواتهم بالقران، وكان يثني على حسن الصوت منهم حتى قال عن سالم مولى أبي حذيفة: «الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا» «3» ، وذلك لما قالت عائشة عن حسن صوته: كنا نسمع قراءة رجل من أصحابك في المسجد لم أسمع مثل صوته ولا قراءة من أحد من أصحابك، «وأخرج ابن أبي داود أن عمر: كان يقدم الشاب الحسن الصوت لحسن صوته بين يدي القوم، ولا شك أن النفوس تميل إلى سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم لأن للتطريب تأثيرا في رقة القلب، وإجراء الدمع» «4» .

الجمع بين المعنيين أولى عند الباحث:
ولأن الجمع مقدم على الترجيح فبين أن إرادة المعنيين واردة، بل ظاهرة فأما من حيث اللغة فهو صالح للمعنيين، فما فسر به ابن عيينة ليس بمدفوع، وإن كانت ظواهر الأخبار ترجح أن المراد تحسين الصوت «5» ، إلا أن ورود يتغنى بمعنى يستغني ليس منكرا عربية كما أنكره الشافعي، ولذا رد ابن حجر على الطبري

---

(1) ذكر ابن حجر في فتح الباري (9/ 71) ، مرجع سابق.
(2) في مجمع الزوائد (7/ 170) ، مرجع سابق: «رواه الطبراني في الأوسط وفيه سليمان بن داود الشاذكوني وهو كذاب» .
(3) ابن ماجه (1/ 425) ، مرجع سابق، وقال في مصباح الزجاجة (1/ 158) ، مرجع سابق: «هذا إسناد صحيح» .
(4) انظر: فتح الباري (9/ 72) ، مرجع سابق.
(5) فتح الباري (9/ 71) ، مرجع سابق.

فقال: «وأما إنكاره أن يكون تغنى بمعنى استغنى في كلام العرب فمردود، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ، ... (و) في حديث الخيل: «ورجل ربطها تعففا وتغنيا» وهذا من الاستغناء بلا ريب، والمراد يطلب الغنى بها عن الناس بقرينة قوله تعففا» «1» فيكون الجمع بين التأويلات المذكورة هو الصحيح البين، ومال إليه عدد من المحققين كابن حجر فيقال في معنى التغني الوارد في الأحاديث: يحسن به صوته جاهرا به مترنما على طريق التحزن متغنيا به عن غيره من الأخبار طالبا به غنى النفس راجيا به غنى اليد، ونظم ابن حجر ذلك في بيتين فقال:

تغن بالقران حسّن به الصوت حزينا جاهرا رنم ... واستغن عن كتب الألى طالبا غنى يد والنفس ثم الزم

«2» وكذلك أن يجعل القران مكان الغناء أمر مقصود شرعا كما هو ظاهر، وتقدم ذكر الزجر عن الامتلاء بالشعر ولذلك صار القران هو الذي يترنم به العارفون مكان غناء القوم وحدوهم وإنشادهم فقد قال بعض العارفين لمريد:

أتحفظ القران؟ قال: لا، قال: وا غوثاه يا لمريد لا يحفظ القران فيم يتغنى؟ فيم يترنم؟ فيم يناجي ربه تعالى؟ «3» .

وقد كان أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلم يتفاضلون في حسن تغنيهم بالقران، ويثني النبي صلّى الله عليه وسلم عليهم في كل ذلك، وتقدم ما قاله في سالم، وأبي موسى، وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم في الأشعريين: «إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقران حين يدخلون بالليل واعرف منازلهم من أصواتهم بالقران بالليل وان كنت لم

---

(1) فتح الباري (9/ 71) ، مرجع سابق.

(2) انظر: فتح الباري (9/ 72) ، مرجع سابق.

(3) الشريعة الإسلامية والفنون ص 307- 318.

أر منازلهم حين نزلوا بالنهار» «1» ، وقد عدوا من حكم تلاوة النبي صلّى الله عليه وسلم على أبي «أن يتعلم أبي الفاظه، وصيغة أدائه، ومواضع الوقوف، وصنع النغم في نغمات القران على أسلوب ألفه الشرع وقدره بخلاف ما سواه من النغم المستعمل في غيره» «2» .

ينبغي أن يتجه التغني بالقران وتزيين التصويت بألفاظه نحو التحزن:

من الضوابط الهامة في التغني بالقران الكريم أنه لا بد من الميل باتجاه التصويت نحو الحزن، ويدل على ذلك في تعليم النبي صلّى الله عليه وسلم لأصحابه قوله صلّى الله عليه وسلم:

«اقرؤوا القران بالحزن فإنه نزل بالحزن» «3» ، ويشهد لهذا الحديث قوله صلّى الله عليه وسلم: «إن أحسن الناس قراءة من إذا قرأ القران يتحزن» «4» ، والميل بالقراءة نحو الحزن إخبار ضمني من

القارئ بفقره وخشيته من ربه، واعترافه بالتقصير، وهي الضابط الحقيقي لحسن القراءة وزينتها، ثم ضبط النبي صلّى الله عليه وسلم لهم هذا التحزن وهو يعلمهم بأنه الذي يحقق هذا المقصد من إظهار الجزع على النفس بين يدي الله جل جلاله، والخشية منه، والإشفاق من عذابه، والطمع في رحمته كما في حديث ابن عمر قال سئل رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «من أحسن الناس صوتا بالقران قال: من إذا سمعت قراءته رأيت أنه يخشى الله عزّ وجلّ» «5» .

---

(1) البخاري (4/ 1547) ، مسلم (4/ 1944) ، مرجعان سابقان.
(2) شرح النووي (16/ 19) ، مرجع سابق.
(3) مجمع الزوائد (7/ 170) ، مرجع سابق، وقال: «رواه الطبراني في الأوسط وفيه إسماعيل بن سيف وهو ضعيف» .
(4) مجمع الزوائد (7/ 170) ، مرجع سابق، وقال: «رواه الطبراني وفيه ابن لهيعة وهو حسن الحديث وفيه ضعف» .
(5) سعيد بن منصور (1/ 194) ، وفي زوائد تاريخ بغداد على الكتب السنة (2/ 543) ، مرجع سابق: «والحديث حسن بمجموع طرقه» .

ولا ينبغي أن يقال إن في ذلك رئاء؛ إذ هذا أمر قلبي لا يحكم به ها هنا فقد كان صلى الله عليه وسلم القدوة العظمى في ذلك، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «اقرأ علي القران» ، قلت: اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «إني أحب أن أسمعه من غيري» ، قال: نعم! فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الاية فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً (النساء: 41) قال حسبك الان، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان.
وتسلسلت المنهجية فكان الترتيل سمت الصحابة رضي الله عنهم يميل نحو الحزن فعن بن أبي مليكة قال: صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة كان إذا نزل قام شطر الليل، فسأله أيوب: كيف كانت قراءته؟ قال قرأ وَجاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذلِكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (ق: 19) فجعل يرتل ويكثر في ذلكم النشيج «1» ، وهكذا علم النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه من أئمة الإقراء، فكانت قراءتهم كذلك: فعن سليمان بن مسلم بن جماز الزهري قال: سمعت أبا جعفر يحكي لنا قراءة أبي هريرة رضي الله عنه عنه في إذا الشمس كورت يحزنها شبه الرثاء «2» .

المطلب الثالث: تعليمهم الترجيع لألفاظ القران الكريم:

الأحاديث التعليمية الواردة في ذلك:

علمهم النبي صلى الله عليه وسلم الترجيع ففي حديث عبد الله بن مغافل رضي الله عنه قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وهو على ناقته أو جمله وهي تسير به وهو يقرأ سورة الفتح أو من

سورة الفتح قراءة لينة يقرأ وهو يرجع «3» قال معاوية بن قرة: لولا أن أخشى أن

(1) فضائل الصحابة (2/ 950) .
(2) السبعة ص 57، مرجع سابق.
(3) البخاري (4/ 1560) ، مرجع سابق.

يجتمع عليكم الناس لحكيت لكم عن عبد الله بن مغافل ما حكى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقيل لمعاوية: كيف كان ترجيعه؟ قال: ااا ثلاث مرات «1» ، وقد ثبت الترجيع في غير هذا الموضع من حديث أم هانئ– رضي الله تعالى عنها–: كنت أسمع صوت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ وأنا نائمة على فراشي يرجع القران «2» .
هل حدث منه ذلك عمدا؟: ذهب بعضهم إلى هذا «إنما حصل منه يوم الفتح لأنه كان راكبا فجعلت الناقة تحرّكه وتنزّيه فحدث التّرجيع في صوته» «3» ، ورجح عدد من المحققين أن ذلك تحسين للصوت وتغن بالقران على سبيل القصد، وهو أشبه بالسياق ففي لفظ: وهو يقرأ قراءة لينة فقال: لولا أن يجتمع الناس علينا لقرأت ذلك اللحن «4» .

الدلالة اللغوية والشرعية للترجيع:
الترجيع هو الترديد ومنه قوله جل جلاله: يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ الْقَوْلَ (سبأ: 31) أي يتلاومون، والمراجعة المعاودة يقال راجعه الكلام، ورجّع الرجل وترجّع: ردّد صوته في قراءة أو أذان أو غناء أو زمر أو غير ذلك مما يترنم به «5» ، وعلى هذا فالترجيع في القراءة يتضمن ما يلي:
1– ترديد القراءة، ومنه ترجيع الأذان، فترجيع الصوت هو ترديده في الحلق كقراءة أصحاب الألحان «6» .

(1) فتح الباري (13/ 515) ، مرجع سابق.
(2) ابن ماجة (1/ 429) ، شرح معاني الاثار (1/ 344) ، مرجعان سابقان، وقال في مصباح الزجاجة (1/ 159) ، مرجع سابق: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات» .
(3) انظر: النهاية (2/ 202) ، مرجع سابق.
(4) انظر: فتح الباري (5/ 584، و 9/ 92) ، مرجع سابق.
(5) انظر: لسان العرب (8/ 115) ، مرجع سابق.
(6) انظر: لسان العرب (8/ 115) ، مختار الصحاح (1/ 99) ، مرجعان سابقان.